مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

القسم الثاني: من الحلقة الحادية عشر الى الحلقة العشرين

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

الحلقة الحادية عشر

معنى وَقادَةَ الأُمَمِ وأَوْلِياءَ النِّعَمِ

السَّلامُ عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، هذه الحلقة الحادية بعد العاشرة من برنامجنا الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة، لازلت أقرأُ الزيارة من كتاب مفاتيح الجنان لشيخنا المُحَدِّث القُمي رضوان الله تعالى عليه، مَرَّ علينا في الحلقات الماضية قَولُهُ صلوات الله وسلامه عليه، أعني إمامنا الهادي: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلمِ، وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ**، كلامُنا في الحلقة الماضية وصل إلى هنا. اليوم أتناول عنواناً جديداً من عناوين الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَقادَةَ الأُمَمِ**، هناك عنوانٌ يأتي بعده: **وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ**، وهنا يوجدُ تَعانُقٌ وتوافقٌ واتساقٌ وارتباطٌ بين هذين العنوانين سيتضح ذلك من خلال ما أورده من نصوص وما أبينه من مطالب، في هذه الحلقة نقفُ في أجواء قولِ الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ**.

قادة الأمم القادةُ هي جمعٌ لقائد، والقائدُ هو الذي يقودُ المُقاد، وعملية القيادة هي عملية جذب وعملية جر وعملية سحب، القائد حينما يقودُ شيئاً إن كان إنساناً أو إن كان دابةً من الدواب فإنما يجره خلفه، إذا كان المَقود إنساناً فإن الإنسان قطعاً لا يُربَط بحبل وإنما الرباط يكون رباطاً معنوياً، يكونُ رباطاً عقائدياً ربما، رباطاً رحمياً ربما، رباطاً قانونياً سلطوياً، هناك نوعٌ من الرباط بين القائد وبين المُقاد إذا كان المُقاد إنساناً، أما إذا كان المُقاد حيواناً فالمتعارفُ والمُعتادُ أن يُربَطَ بحبل، أن يُربَط بزمام، والقائدُ يقود الناقة إذا قادها من زمامها، بالنتيجة القائدُ هو الذي يصدرُ منه فعلُ الجذب، فعلُ السحب، فعلُ الجر، والمَقودُ هو الذي يتبع القائد، فالقيادةُ تطلقُ على العلاقة فيما بين القائد والمُقاد، وقد نطلقُ أيضاً القيادةُ على نفس القائد، قد تطلقُ على المَلَكَة والقدرة التي يمتلكها القائد لقيادة غيره – **وَقادَةَ الأُمَمِ** – هذا معنى القادة ومعنى القيادة بشكلٍ مجمل كما وقع في كلام العرب.

الأمم جمعٌ لأُمَّة والأُمَّة بنحوٍ عام هي المجموعة، مجموعة من البشر أو مجموعة من غير البشر، فالقرآنُ أستعمل هذا العنوان حتى في الحيوانات، جاء في الكتاب الكريم في سورة الأنعام في الآية الثامنة والثلاثين ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم** ﴾ الدابة تُطلقُ على كل ما يدبُ على

الأرض، من الحشرات، من الديدانِ، من الهوامِ، من الطيور أيضاً، من الحيوانات وحتى من البشر، كلُ ما يدبُ على الأرض، لكن الكلام هنا جاء استعمال الدابة في الحيوانات لأن الآية تقول:

﴿إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ يعني هناك تشبيه بين أمم الحيوانات وأمم الطيور وبين أمم الإنسان، إذاً المُراد من الدابة هنا الحيوانات وإن كان يمكن إطلاقها على الإنسان لأنه يدبُ على الأرض ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ إذاً هذه الحيوانات وهذه الطيور هي أُمَمٌ وبعد ذلك تُحشر الآية صريحة ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ الحديث هنا عن الطائر الذي يطير بجناحيه، لماذا هذا التشخيص؟ لأنه توجد هناك أنواع من الطيور أشكالها أشكال الطيور وهي محسوبة في عداد الطيور إلا أنها لا تطير، النعامةُ مثلاً، وغير ذلك من الدواجن التي تُربى في البيوت ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ إذاً تلكم الطيور داخله تحت عنوان الدابة ﴿إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ كل شيءٍ إنما هو تحت دائرة التنظيم تحت دائرة التقنين ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فإذاً هناك أُمم وهناك حشر وهذا تشابهٌ واضحٌ وأكيدٌ بين الحيوانات وبين الطيور وبين الإنسان، ما المراد من الأُمَّة؟!

الأُمَّة مجموعة قد تكون من الناس قد تكون من الطيور قد تكون من الحيوانات كما هو في التعبير القرآني، هذه الأُمَّة تتشابه فيما بينها، إذا كانت في الحيوانات تتشابه في غرائزها في طباعها في منافعها في مضارها إلى غير ذلك، وإذا كانت في الإنسان هناك توافق في الأهداف في الآمال في الطموحات في المصالح وفي المنافع وفي المضار أيضاً وفي التفكير وفي أنحاء مختلفة من أنحاء الحياة، ولكل أُمَّة هناك من يقودها وهذه قضيةٌ طبيعية، حينما تقول أُمَّة الأُمَّةُ بحاجةٍ إلى قيادة وهذه قضيةٌ ضرورية، قطعاً هناك القيادات العرفية، القيادات الاجتماعية، القيادات الدينية، القيادات السياسية هذه موجودة عبر التأريخ، لكن الزيارة هنا تتحدث عن نحوٍ من أنحاء القيادة ليس هي هذه القيادة السطحية، تتحدث عن نحوٍ من أنحاء القيادة العميقة جداً ولذلك قلت هناك ترابط، هناك تواثق، هناك توافق بين هذين العنوانين: **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ**، قيادتهم منشأها وجذرها من كونهم يملكون ولاية النعم – **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – وإنما هم قادةٌ لكل هذه الأُمم التي جاءت في الكتاب الكريم.

النبي صلى الله عليه وآله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ والعالَمون هذا العنوان ليس محصوراً في الأرض

فقط وإنما في كل ما خلق الله، والذين في الأرض ليس الكلامُ محصوراً في الإنس فقط، هناك الجن وهناك الحيوانات هذه الأمم ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ لماذا يحشرون؟! هناك حساب، كيف يكون الحساب مع هذه الطيور مع هذه الحيوانات، كيف يكون الحساب؟! القرآن صريح، نحن حينما نذهبُ مثلاً إلى سورة التكوير ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ متى تُكوّر الشمس؟ هي من علامات يوم القيامة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ هذه أوصاف يوم القيامة ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ هناك إذاً حشر، الوحوش هم غير الآدميين، يعني من الحيوانات، من الطيور، هذه الأمم التي جاء ذكرها في سورة الأنعام ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ هذا الحشر الذي جاء مذكوراً في سورة الأنعام هو نفسه الذي جاء مذكوراً في سورة التكوير ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ لماذا تُحشر؟ الأُمم تُحشر، هناك قانون، وهناك قائدٌ لهذا القانون، سورة فاطر الآية الرابعة والعشرون، ماذا تقول؟

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ الخطاب لِمن؟! للنبي الأعظم ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ – يعني ولا توجد أُمَّة – إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وبحسب التعبير القرآني ﴿إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ ويحشرون، يعني هذه الحيوانات، هذه الطيور أممٌ أمثالنا ثم إلى ربهم يُحشرون، الحشرُ للحساب، الحساب لا يكون إلا بوجود قانون وبوجود مشرف على هذا القانون، بوجود قائد، لابد من وجود قيادة، الآية هنا تقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ يعني إلا كان فيها نذير، وقطعاً كُلُّ أُمَّة يكون النذير بحسبها، لو أردنا أن نستمر في قراءة آيات سورة فاطر نجد أن السورة تُقَرِّبنا من هذه الأجواء، القرآن فيه أساليب، القرآن فيه أساليب الإيحاء، فيه أساليب التلقين، فيه أساليب الدفع للتفكير، فيه أساليب الإثارة، هناك أنحاء مختلفة من الأساليب في الكتاب الكريم، الآية السابعة والعشرون وما بعدها من نفس السورة من سورة فاطر هذه الآية ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ الآية الرابعة والعشرون، الآية السابعة والعشرون، الثامنة والعشرون ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيض

﴿وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ – الحديث في هذا الجو – ﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ هناك جو تريد هذه الآيات أن تثيره، جو تريد هذه الآيات أن تشير إليه وهو أن هذه الأمم من الحيوانات، هذه الأمم في نظامها تتناغم مع الأمم البشرية، ولذلك في زمان ظهور إمامنا صلوات الله وسلامه عليه النظام الأُممي لهذه الحيوانات سيتغير، وما جاء في الروايات من إشاراتٍ إلى أن الذئب والشاة معاً يأكلان في الحقل في المراعي وغير ذلك، وأن الصبيان تلعبُ بالأفاعي والحيات ولا يضرها شيء، كلُ ذلك يشير إلى أن المنظومة الأُممية لهذه الحيوانات هي أيضاً ستتغير، لأن هذه الأُمم أيضاً محكومة بقادة، وبرنامج القيادة سيتغير عند ظهور الإمام صلوات الله وسلامه عليه.

وأنا لا أريد أن أدخل في كل هذه التفاصيل وفي كل هذه الجزئيات فقط أشير إشارات، إذاً حين نخاطب الأئمة – **وَقَادَةَ الْأُمَمِ** – هم قادة لكل الأمم، إذا كانوا قادةً لهذه الأمم من الحيوانات ومن الطيور فهم من باب الأولى هم قادة الأمم من البشر ومن الجن ومن الملائكة ومن كل ما خلق الله ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ وهذا هو معنى ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ هي أمم تُحشر لها نُذر إذاً هي في دائرة القيادة وستتغير أنظمتها حين الظهور الشريف، حينما تعيش السباع في الحقول وترعى في الحقول، وقد حدثتنا الروايات عن تفاصيل أكثر عن طبائع الحيوانات في زمان ظهور إمامنا صلوات الله وسلامه عليه.

الآن تحققت لنا صورة مُجملة لمعنى: **قَادَةَ الْأُمَمِ**، هم قادة الأمم، هذا المعنى المعنى المجمل، هم قادةٌ لكل هذه الأمم، وهذه الأمم من دون قيادتهم ينفرط عقدها، الحديث هنا ليس عن القيادة السياسية، القيادة السياسية هي مظهر من مظاهر قيادتهم للأمم لكنها في أسفل السلم، قيادتهم للأمم أولاً هم قادةٌ في عالم الهداية والهدايةُ على مراتب، هناك الهداية التكوينية فهم قادةٌ للأمم في هداية الأمم التكوينية من الجانب التكويني، وهم قادةٌ للأمم في الهداية العلمية والمعرفية هم مصدر العلم والمعرفة، وهم قادةٌ للأمم في الهداية الأخلاقية في الأخلاق والآداب والخصال، وهم قادةٌ للأمم في العبادات والروحانيات، وهم قادةٌ للأمم في الدين وما يتفرع على الدين من أحكام وقوانين وحدود، وهم قادةٌ للأمم في نَظْمِ أمور الناس في جانبها السياسي الاجتماعي الاقتصادي كما قلتُ قبل قليل قيادتهم السياسية هي في أسفل سلّم قيادتهم للأمم، هم قادةٌ إلهيون، هم قادة الفيض الإلهي وقادةُ التكوين الإلهي، ولهذه القيادة مظاهر تتجلى، ولذلك هذا التأكيد وهذا الحث على قيادة الأئمة صلوات الله عليهم وعلى الارتباط بهذه القيادة هو لأجل التوافق فيما وضعه الله سبحانه وتعالى في قوانين فطرة الوجود، في قوانين فطرة الوجود هناك قادةٌ يقودون هذا الوجود، نحن نقرأُ في دعاء شهر رجب المنقول عن إمامنا الحُجّة صلوات الله وسلامه عليه: **أعضادٌ وأشهاد ومُناةٌ**

وأذواد وحَفَظَةٌ وروّاد – هذه الأوصاف هي أوصافُ القادة التكوينيين، أوصاف قادة الفيض الإلهي – **أعضادٌ وأشهاد ومُناةٌ وأذواد وحَفَظَةٌ ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – هذا الظهور ليس ظهوراً لفظياً، هذا ظهور الفيض، الوجود هو عنوان لا إله إلا الله، الوجود كله يشهد أن لا إله إلا الله، لا إله إلا الله هو عنوانٌ لفيض الوجود الإلهي، هم قادةٌ لذلك المعنى الأعمق كما يقول الدعاء الشريف: **أعضادٌ وأشهاد ومُناةٌ وأذواد وحَفَظَةٌ ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – من هنا جاء الحثُّ والتأكيدُ على الالتصاق بهذه القيادة في كل مظاهرها، لأننا إذا التصقنا بهذه القيادة في كل مظاهرها فإننا قد مشينا قد اتجهنا بنفس الاتجاه الذي وضعه الله سبحانه وتعالى في فطرة هذا الوجود، في أصل هذا الوجود.

هناك روايةٌ جميلة جاءت في تفسير إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه، هما روايتان روايةٌ عن الحسن السبط وروايةٌ عن الحسين السبط عن سبطي رسول الله أما حسننا صلوات الله وسلامه عليه ماذا يقول؟!

من دَفَع فضل أمير المؤمنين عليه السلام على جميع من بعد النبي – من دفعه يعني من أنكره، من دفعه يعني من رفضه – **من دَفَع فضلَ أمير المؤمنين عليه السَّلام على جميع من بعد النبي صلى الله عليه وآله فقد كَذبَّ بالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وسائر كتب الله المُنزلة** – لماذا؟ لأن هذه القيادة قيادةٌ لكل الأمم، هم قادةُ الأمم، هذه القيادة جاءت مذكورةً، هذه القيادة أمر الله بها جميع الأنبياء، وقد صرَّحَ الأنبياء لأممهم إما بالجملةِ وإما بالتفصيل – **من دَفَع فضلَ أمير المؤمنين عليه السَّلام على جميع من بعد النبي صلى الله عليه وآله فقد كَذبَّ بالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وسائر كتب الله المُنزلة فإنه ما نزل شيءٌ منها** – فإنه ما نزل شيءٌ من هذه الكتب من كل الكتب السماوية – **فإنه ما نزل شيءٌ منها إلا وأهم ما فيه** – ما نزل شيءٌ من السماء – **إلا وأهم ما فيه بعد الأمر بتوحيد الله تعالى والإقرار بالنبوة** – ما هو الشيء هذا الأهم؟ – **الاعترافُ بولاية عليٍّ والطيبين من آله عليهم السلام** – هذا أهم شيءٍ ليس في القرآن فقط وإنما في كل الكتب المُنزلة.

أما ما حدَّثنا به حسيننا السبط صلوات الله عليه، ماذا يقول سيد الشهداء؟!

إن دفع الزاهد العابد – إذا كان هناك من زاهدٍ ومن عابد، الدفع هو الإنكار والرفض – **إن دفع الزاهد العابد لفضل عليٍّ على الخلق كلهم بعد النبي** – لأن القيادة لكل الخلق لمن؟! لعليٍّ بعد النبي، ليس في هذه الأُمَّة، الحديث هنا عنوان أكبر أوسع – **إن دفع الزاهد العابد لفضل عليٍّ على الخلق كلهم بعد النبي صلى الله عليه وآله ليصيرُ** – يعني هذا الدفع – **ليصيرُ كشعلة نارٍ في يوم ريحٍ عاصف وتصيرُ سائر أعمال الدافع لفضل عليٍّ** – ذلك الزاهد العابد تصير – **كالحَلفاء** – الحلفاء واضح هذا العشب

الذي ينمو في الصحارى، ينمو في الحقول وحينما يصيبه اليبس فإذا ما وقعت فيه شرارةٌ من نار فإنه يستعر سعيراً شديداً وسريعاً، بسرعة يحترق – **وتصيرُ سائر أعمال الدافع لفضل عليٍّ كالحَلفاء وإن امتلأت منه الصحاري** – حتى لو امتلأت الصحاري من الحَلفاء – **واشتعلت فيها تلك النار وتغشاها تلك الريح حتى تأتي عليها كلها فلا تبقى لها باقية** – الروايتان جميلتان جداً والمعاني فيهما واضحة ولا أريد أن أطيل الوقوف عند النصوص لكثرة المطالب التي أريد الإشارة إليها، فهذا التأكيدُ في كل الكتب المُنزلة هو بيانٌ بوجهٍ من الوجوه لمعنى قيادتهم للأمم، الأئمة هم قادة الأمم، وهذه القيادةُ لها ظهورات، هذه القيادةُ لها جذور في باطن العُمق التكويني البشري.

مثلاً في نفس تفسير الإمام الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه، هناك حديثٌ جميل مرويٌ عن سيدة النساء، عن فاطمة صلوات الله عليها: **وقالت فاطمة عليها السلام لبعض النساء: أرضي أبَوي دينك مُحَمَّداً وعليّاً بسخط أبَوي نسبك ولا تُرضي أبوي نسبك بسخط أبوي دينك** – المعنى واضح – **أرضي أبوي دينك مُحَمَّداً وعليّاً بسخط أبوي نسبك** – طبعاً هذا في أي حال؟ في حال إذا كان آباء النسب لا يريدون من أبنائهم أن يكونوا مع أباء الدين مع مُحَمَّد وعليّ، وإلا لو كانوا من شيعتهم ومن أوليائهم فلا يكون هذا المعنى – **أرضي أبوي دينك مُحَمَّداً وعليّاً بسخط أبوي نسبك ولا ترضي أبوي نسبك بسخط أبوي دينك فإن أبوي نسبك إن سخطا أرضاهما مُحَمَّد وعليٌّ بثواب جزءٍ من ألف جزءٍ من ساعةٍ من طاعاتهما** – من طاعاتهما يعني من طاعات مُحَمَّد وعليّ، فكيف لا يرضيان – **فإن أبوي نسبك إن سخطا أرضاهما مُحَمَّد وعليٌّ بثواب جزءٍ من ألف ألف جزءٍ من ساعةٍ من طاعاتهما وإن أبوي دينك مُحَمَّداً وعليّاً إن سخطا لم يقدر أبوا نسبك أن يرضياهما لأن ثواب طاعات أهل الدنيا كلهم لا يفي بسخطهما** – الرواية واضحة ولا تحتاج إلى كثير شرحٍ أو إلى كثير توضيح، منشأ القيادة مظهرُ القيادة أحد مناشئه هو هذه الأبوة، كانوا قادةً للأمم لأن لهم الأُبوة، الأُبوة لكل الأمم، وما عليٌّ أبو تراب إلا فيه إشارة إلا فيه تلويح، تلويح من بعيد وإشارة من بعيد إلى مثل هذه المضامين، والتراب هنا ليس فيه الإشارة إلى تراب الأرض فقط، التراب هنا فيه الإشارة إلى المادة التي نشأت منها الأشياء، هذه المعاني لا تُفهم هكذا من اللغة فقط وإنما لابد من الجمع بين هذه النصوص وبين هذه الروايات الكثيرة جداً وبين المضامين والإشارات والتلويحات التي جاءت في الكتاب الكريم وبين كلمات أئمتنا وبين زياراتهم الشريفة، من كل ذلك تُستَنج هذه المعاني وإلا من الخطأ الواضح ومن الاشتباه الفاضح أن نستنتج المعنى من كلمةٍ واحدةٍ فقط، لأننا إذا اعتمدنا على كلمةٍ واحدةٍ فقط فإننا سنقع في دائرة الخطأ، لابد من الإحاطة ومن الجمع بكل ما جاء عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كي ترتسم الصورة كاملة وكي يتضح

المعنى جلياً واضحاً بيّناً، هذه الأبوةُ هي جذرٌ ومظهرٌ في تكوين قيادتهم للأمم، ولذلك ما جاء في رواياتنا التي تتحدث عن نبوات الأنبياء السابقين وعن أساس الديانات، وهذه نماذج:

الرواية عن إمامنا موسى بن جعفر: **ولايةُ عليٍّ مكتوبةٌ في جميع صحف الأنبياء** – ومرت علينا قبل قليل الرواية التي تتحدثُ عن أن أهم شيءٍ جاء مكتوباً في التوراة والإنجيل والزبور وفي سائر كتب الله المُنزلة ولاية عليٍّ، هذه الرواية عن إمامنا الكاظم – **ولايةُ عليٍّ مكتوبةٌ في جميع صحف الأنبياء ولن يبعث الله نبياً إلا بنبوة مُحَمَّد وولاية وصيه عليٍّ عليه السلام** – الروايات هذه من كتاب بصائر الدرجات لشيخنا الصفار من أصحاب إمامنا الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه.

روايةٌ ثانية: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **ما تكاملت النبوةُ لنبيٍ في الأظلّة** – في عالم الأظلّة – **حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومُثلُوا له فأقروا بطاعتهم وولايتهم.**

الروايةُ الثالثة: عن مُحَمَّد بن مُسلم قال: سمعتُ أبا جعفرٍ عليه السلام يقول: **إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على ولاية عليٍّ وأخذ عهد النبيين بولاية عليٍّ عليه.**

وروايةٌ أخرى: عن إمامنا الصادق: **ما نُبيء نبيٌ قط إلا بمعرفة حقنا وبفضلنا عمن سوانا.**

وروايةٌ أخرى: عن أبي بصيرٍ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: **ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث الله نبياً قط إلا بها.**

وروايةٌ أخرى: عن أبي بصيرٍ عن إمامنا الصادق عليه السلام: **ما من نبيٍ نبيء ولا من رسولٍ أرسل إلا بولايتنا وبفضلنا على من سوانا.**

وروايةٌ أخرى: عن حمران عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: **إن الله تبارك وتعالى أخذ الميثاق على أولي العزم: أني ربكم ومُحَمَّد رسولي وعليٌ أمير المؤمنين وأوصيائه من بعد ولاة أمري وخُزّان علمي وأن المهدي أنتصر به لديني** – إن الله تبارك وتعالى أخذ الميثاق على أولي العزم: ما هو الميثاق؟! – **أني ربكم ومُحَمَّد رسولي وعليٌ أمير المؤمنين وأوصيائه من بعد ولاة أمري وخزان علمي وأن المهدي أنتصر به لديني.**

روايةٌ أخرى: عن جابرٍ الجعفي عن الباقر صلوات الله عليه قال: **سألته عن تعبير الرؤيا عن دانيال** – عن النبي دانيال أهو صحيح؟! – **قال: نعم، كان يوحى إليه وكان نبياً وكان مما عَلّمه الله تأويل الأحاديث وكان صدّيقاً حكيماً وكان والله يدينُ بمحبتنا أهل البيت، قال جابر: بمحبتكم أهل البيت؟! قال: إي والله وما من نبيٍ ولا مَلَك إلا وكان يدينُ بمحبتنا** – هم قادة الأمم، للملائكة، للأنبياء، للجان ولكل الأمم.

وهناك روايةٌ عن إمامنا العسكري: **إن ولاية مُحَمَّد هي الغرض الأقصى والمراد الأفضل ما خلق الله أحداً من خلقه** – من خلقه مطلقاً – **ما خلق الله أحداً من خلقه ولا بعث أحداً من رسله إلا ليدعوهم إلى ولاية مُحَمَّد وعليٍّ وخلفائه ويأخذ به عليهم العهد ليقيموا عليه وليعمل به سائر عوام الأمم.**

روايةٌ أخرى: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لمَّا عُرج بي إلى السماء انتهى بي المسير مع جبرئيل إلى السماء الرابعة فرأيتُ بيتاً من ياقوتٍ أحمر فقال لي جبرئيل: يا مُحَمَّد هذا هو البيت المعمور خلقه الله تعالى قبل خلق السماوات والأرضيين بخمسين ألف عام، قُم يا مُحَمَّد فصلي إليه، قال النبي صلى الله عليه وآله: وجمع الله إليَّ النبيين عند البيت المعمور فصفهم جبرئيل عليه السلام ورائي صفاً فصليتُ بهم، فلمَّا سلمتُ أتاني آتٍ من عند ربي فقال لي: يا مُحَمَّد ربكُ يقرئك السلام ويقول لك: سل الرسل على ماذا أرسلتهم من قبلك؟ فقلتُ: معاشر الرسل على ماذا بعثكم ربي من قبلي؟ فقالت الرسل: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب وهو قوله تعالى:** ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ هذه آية من آيات الكتاب الكريم، وهي الآيةُ الخامسةُ والأربعون من سورة الزخرف. ومثل هذه الروايات كثيرٌ وكثير في كتب الحديث، في الكافي الشريف، في البصائر، في البحار، في كل مصادرنا الحديثية، هناك الكثير، الكثير من هذه النصوص التي تتحدث عن معنى وعن مضمون قيادتهم للأمم السالفة للأنبياء للملائكة ولكل ما خلق الله، وهذا وجهٌ آخر ومظهرٌ آخر من مظاهر قيادتهم للأمم ولكل ما خلق الله سبحانه وتعالى.

هناك روايةٌ في الكافي الشريف ينقلها أيضاً السيد هاشم البحراني في تفسيره، الرواية في بيان معنى الآية الخامسة والخمسون من سورة المائدة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الرواية عن أحمد بن عيسى يرويها الشيخ الكليني بسنده: عن أحمد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ – ماذا يقول إمامنا الصادق؟– **قال: إنما يعني أولى بكم** – ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ – منهم الذي أمنوا؟ – ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ – الآية الخامسة والخمسون من سورة المائدة، ما المراد من الولاية هنا؟ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ إمامنا الصادق يقول – **إنما يعني أولى بكم، أي أحقُ بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم** – إنما وَلِيُّكُمُ اللّهُ: المراد من الولاية هنا هو هذا المعنى – **إنما يعني أولى بكم، أي أحقُ بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم الله ورسوله والذين أمنوا، قال: يعني عليّاً وأولاده الأئمة عليهم السلام إلى يوم القيامة** – هم قادة

الأمم، ما المراد من القيادة؟ هذا مظهرٌ آخر من مظاهر القيادة، فهم أحقُ بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم إلى يوم القيامة، هذا مظهرٌ آخر من مظاهر القيادة.

مرت علينا روايات تتحدث عن معنى أبوتهم، ومرت علينا روايات تتحدث عن معنى العهود والمواثيق التي أُخِذت على كل الأنبياء وعلى أولي العزم منهم وعلى كل الرسل في كل الديانات في كل الأمم الماضية وعلى الملائكة وعلى كل الكائنات، مرت علينا الروايات، وهذه الروايةُ تفصلُ جانباً آخر، وجهاً آخر من قيادتهم للأمم، فهم أحق بنا وبأمورنا وأنفسنا وأموالنا إلى يوم القيامة، أنا قلتُ في بداية الأمر بأنهم هم قادةٌ في الفيض كما مر علينا في دعاء شهر رجب المنقول عن إمامنا الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليهما، المضامينُ في كلمات أهل البيت كثيرةٌ جداً التي تأتي في هذا السياق، حين نسلم عليهم: **وَقادَةَ الأُمَمِ** – هذا جزءٌ يسيرٌ من معنى قيادتهم للأمم، هناك جهات أخرى تحدّثت عنها روايات أهل البيت، كلمات أهل البيت، على سبيل المثال وليس على سبيل الاستقصاء، هم لهم القيادة المُطلقة في كل طبقات الوجود، لذلك هناك الكثير من النصوص لا يمكن أن تُفهم إلا في ضوء هذا العُمق من التفكير.

هذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي، وهذا هو حديثُ معرفتهم بالنورانية، لربما نُفردُ وقتاً إذا سنح المجال إن شاء الله في أيام شهر رمضان أتحدَّثُ فيه عن هذا الحديث لا لشرحه فإن شرح هذا الحديث يحتاجُ إلى وقتٍ طويل، وإنما نقرأ الحديث ونسبرُ غوره بشكلٍ مُجمل، إذا ما سنح الوقت إن شاء الله في أيام شهر رمضان فإني أعدكم بذلك فإن لم يسنح الوقت إن شاء الله أتحدث عنه بعد شهر رمضان، حديثُ المعرفة بالنورانية حديثٌ ينقله لنا سلمان وأبو ذر عن سيد الأوصياء، أقتطف هذه المقاطع التي تحَدِّثُنا عن معنى قيادتهم للأمم، ماذا يقول سيد الأوصياء؟

يا سلمانُ ويا جُندب – جندب هو اسمُ أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه – **يا سلمانُ ويا جُندب قالا: لبيك صلوات الله عليك.**

قال عليه السلام: أنا أميرُ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ممن مضى وممن بقي – ممن مضى على وجه الإطلاق، وهذا الوصف يشمل الأنبياء يشمل الأوصياء – **أنا أميرُ كلُ مؤمنٍ ومؤمنةٍ** – هذا يشمل الجميع من الأناس، من الملائكة، من الجان، ومن كل ما خلق الله – **أنا أميرُ كلُ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ممن مضى وممن بقي** – أليس هذا من أجلى معاني قيادة الأمم؟ هذا المعنى واضح – **أنا أميرُ كلُ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ممن مضى وممن بقي وأُيدتُ بروح العظمة** – وهذا هو سرُّ القيادة لكل الناس – **وأُيدتُ بروح العظمة وإنمَّا أنا عبدٌ من عبيد الله، لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كُنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر** – ولا يوجد في لغة العرب مقدار أصغر من هذا المقدار – **وإنمَّا أنا عبدٌ من**

عبيد الله، لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كُنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر – لماذا يا سيد الأوصياء؟! هو يقول – **لأنَّا آيات الله ودلائله وحُجَجُ الله وخُلفائُه وأُمنائه وأئمته** – وأنتم كذلك – **لأنَّا آيات الله ودلائله وحُجَجُ الله وخُلفائُه وأُمنائُه وأئمته** – وبعد – **ووجه الله وعين الله ولسان الله، بنا يعذب الله عباده، وبنا يثيب، ومن بين خلقه طهرنا واختارنا واصطفانا وتلك هي القيادة الكونية ولو قال قائلٌ لمَا وكيف وفيما لكفر وأشرك لأنه لا يُسئل عما يفعل وهم يسئلون** – أستمر في كلام سيد الأوصياء فإني عالِمٌ أنه يُدخِل السرور والبهجة على قلوبكم أنتم، أنتم يا أحباب عليّ – **يا سلمانُ ويا جُندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك.**

قال عليه السلام: من آمن بما قُلتُ وصدق بما بيّنتُ وفسّرتُ وشرحتُ وأوضحتُ ونوّرتُ وبرهنتُ فهو مؤمنٌ ممتحنٌ امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام، وهو عارفٌ مستبصرٌ قد انتهى وبلغ وكَمُل، ومن شكَّ وعَنَدَ وجحد ووقف وتحير وارتاب فهو مُقصِّرٌ وناصب، يا سلمانُ ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك.

قال عليه السلام: أنا أحيّ وأُميت بإذن ربي، وأنا أنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم بإذن ربي، وأنا عالِم بضمائر قلوبكم، والأئمة من أولادي يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا لأنَّا كلنا واحد أولنا مُحَمَّد وآخرنا مُحَمَّد وأوسطنا مُحَمَّد وكلنا مُحَمَّد فلا تُفَرِّقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله، الويلُ كلُ الويلُ لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربنا لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزَّ وجل ومشيته فينا، يا سلمانُ ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك.

قال عليه السلام: لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجلُّ وأعظمُ وأعلى وأكبرُ من هذا كله، قلنا: يا أمير المؤمنين ما الذي أعطاكم ما هو أعظمُ وأجلُّ من هذا كله؟ قال: قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ عِلمَنا للاسم الأعظم – للاسم الأعظم بكله حتى المستأثر، وإلا فحروفٌ من الاسم الأعظم عند الأنبياء، العلم الأعظم هو ذلك الحرفُ المُستأثر ومر الكلام بخصوصه عند بيان معنى: وخزان العلم – **قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ عِلمَنا للاسم الأعظم الذي لو شأنا خرقنا السماوات والأرض والجنة والنار ونعرجُ به إلى السماء ونهبطُ به الأرض ونُغرِّبُ ونُشرِّق** – وتلك هي القيادةُ المُطلقةُ في كل طبقات الوجود، إذا كان مُحَمَّد قد بُعث لكل العالمين كيف يتواصلُ مع كل العالمين؟! كيف يتواصلُ إذا كانت الرسالةُ لكل العالمين، كيف يتواصلُ مُحَمَّد مع كل العالمين؟! إذاً لابد لمحَمَّدٍ من وسيلةٍ ومن طريقٍ يتواصل به مع كل العوالم، وتكون له الظهورات في كل العوالم – **قد أعطانا ربنا عزَّ وجل عِلمَنا للاسم الأعظم الذي لو شئنا خرقنا**

السماوات والأرض والجنة والنار ونعرج به إلى السماء ونهبط به الأرض ونُغَرِّبُ ونُشَرِّق وننتهي به إلى العرش فنجلس عليه بين يدي الله عزَّ وجلَّ ويطيعنا كل شيءٍ حتى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجرُ والدواب والبحار والجنة والنار، أعطانا الله ذلك كله بالاسم الأعظم الذي عَلَّمَنا وخصنا به، ومع هذا كله نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا ونحن عباد الله المُكرَمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمرهِ يعملون – الحديث طويل أنا اقتطفت مقاطع من هذا الحديث الشريف المروي والمنقول عن سيد الأوصياء برواية سلمان وأبي ذر رضوان الله تعالى عليهما، وهذه الكلمات كلها بحاجةٍ إلى شرح، لكنني أكتفي بما يظهر منها بالجملة، كل هذه المضامين تتحدث عن أي شيءٍ؟ تتحدث عن قيادتهم لهذا الوجود، عن قيادتهم للأمم، الأمم بكل طبقاتها، ليس في طبقةٍ واحدة أو في مظهرٍ واحد، هذه النصوص وهذه الكلمات كُلُّها تكشف لنا شيئاً من هذا المعنى ومن هذا المضمون الذي ذكره إمامنا أبو الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه في الزيارة الجامعة الكبيرة حين يقول: **وَقادَةَ الأُمَمِ**.

العنوان الذي بعد هذا العنوان: **وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – وهما يرتبطان رباطاً وثيقاً فيما بينهما، فقيادتهم مردها إلى ولايتهم على كل النعم – **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – هم لهم الولاية علينا ولهم الولاية على غيرنا ولهم الولاية على كل ما خلق الله سبحانه وتعالى – **وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – الأولياء جمعٌ لولي والولي تحمل معنيين، تحمل معنى القريب وتحمل معنى المُتَسَلِّط، وهم يحملون هذين المعنيين، هم القريبون إلى الله وهم القريبون من كل شيء، فما من شيء إلا وقد خُلِق من نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، من نور الحقيقة المُحَمَّدية، تلكم الحقيقة التي هي أقرب إلى كل شيء من نفس الشيء إلى نفسه، هل هناك شيء أقرب إلى أي شيءٍ من نفس الشيء إلى نفسه؟ الحقيقة المُحَمَّدية لأن نورها نافذ في كل شيء، الله سبحانه وتعالى أشتق جميع الأشياء من نور الحقيقة المُحَمَّدية، الولي هو القريب ولقربه هذا تكون له السلطة، إنما هو تَسَلَّط وأحاط بالأشياء من داخلها ومن خارجها، لأي شيءٍ؟ لأنه قريبٌ إليها، أولياء جمع ولي والولي قريبٌ إلى الله، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، وقريبٌ إلى المخلوقات فإن المخلوقات اشتُقت من أنوارهم، فهم قريبون منها وأقرب إليها من أنفسها إلى أنفسها، وتلكم معانٍ عميقة تحتاج إلى تدبر، تحتاج إلى تفكر، نحن حين نتبصر في معنى الأولياء وفي معنى النِعَم، والنِعَم جمعٌ لنعمة، والنعمة هي ما تكون سبباً لكمال الإنسان لرقيه، النعم تأتي لسد النقص يكون المخلوق عنده نقص وهذا الشيء يكمل هذا النقص، ما يكمل هذا النقص هو النعمة، أو ما يكون سبباً لزيادة كماله، نورٌ على نور، هو هذا نعمةٌ أخرى، النِعَم إما أن تكون لإكمال النقص وإما أن تكون كمالاً فوق كمال، وكل ما في هذا الوجود من فيضهِ سبحانه وتعالى إما أن

يكون إكمالاً لنقص وإما أن يكون كمالاً فوق كمال، لذلك نحن نقرأ في سورة إبراهيم عليه السلام الآية الرابعة والثلاثون ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ آتاكم من كل ما سألتموه، هذا السؤال هنا ليس سؤالاً لفظياً، قد يدخل السؤال اللفظي ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ لأن الله سبحانه وتعالى لا يعطينا كل ما نسأله بالسؤال اللفظي وإنما هذا هو السؤال التكويني ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ من جهة التكوين من جهة السؤال التكويني أن الله سبحانه وتعالى آتانا وآتى الكائنات كل ما يحتاجه تكوينها، طبعاً هذا في أفق من أفاق الآية، وإلاّ إذا كانت الآية في خطابها موجهة لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فذلك يعني كمالهم الذي وهبه الله إليهم ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ كل شيءٍ سألهُ آل مُحَمَّد إن كان بلسان التكوين، إن كان بلسان التشريع، إن كان بلسان العبادة وبلفظ القول، وإن كان بلسان الفيض، وإن كان بلسان الفناء، وإن كان بلسان القرب وقرب القرب فإن الله سبحانه وتعالى قد أعطاهم إياه ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ نعمهُ لا تُعد ولا تحصى، وهي إما أن تكون إكمالاً لنقص أو كمالاً فوق كمال، هذا بالنسبة لعالم المخلوقات في عالم الخلق الثاني ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ وهم أولياء النعم، كل هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى هم أوليائها، يعني هم أصحابها وهم الذين لهم السُلطة والحكومة عليها.

في سورة لقمان في الآية العشرين من سورة لقمان ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ هذه النعم الظاهرة والباطنة هل هي متجلية لنا بالوجه الحقيقي؟ هناك شيء من التجلي لنِعَم الله، يعني هذه الآية لَمَّا تقول ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ نحن هل رأينا حقيقةً، هل رأينا التسخير في عالم السماوات، نحن ماذا رأينا من السماوات؟ هل رأينا التسخير في عالم الأرض؟ قطعاً الكلام هنا في حقيقتهِ مُوجّه لأولئك الذين يملكون الرؤية الإحاطية، إذا كان يوجه إلينا فهو عَرَضاً يوجه إلينا، لأن هذه الرؤية إذا كان الكلام موجهاً إلينا فهي الرؤية القلبية أو الرؤية العقلية، لكن الرؤية الحقيقية المذكورة في الآية هي الرؤية الإحاطية، يعني هناك من خلق الله من لهم الإحاطة، الرؤية الإحاطية بحيث يطلعون على كل هذه التفاصيل، فهم محيطون بكل التسخير الموجود في السماوات وفي الأرض أما نحن نملك رؤيةً عقلية رؤية قلبية نقول بأن الله سخر السماء والأرض مجرد صورة

ذهنية ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ الآية هنا تتحدث عن نِعَم ظاهرةٍ وعن نِعَم باطنة، الآية تتحدث عن تسخيرٍ لكل ما في السماوات وما في الأرض وهذا المعنى نفسه يمكن أن نجدهُ في سورة النحل، في الآية السادسة والتسعين ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ – إلى آخر الآية – وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ الحديث هنا عن أي شيءٍ؟ عن العطاء الذي لا ينفد، عن هذه النِعَم الظاهرة والباطنة التي لا انقطاع لها ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ ما عندكم يعني ما حُسِب لكم بحسب وعاء تَقَبُّل الفيض، الله سبحانه وتعالى يَهَب المخلوق عطاءاً بحسب قابليته لقبول ذلك العطاء، ومع ذلك فهذا العطاء لا يملكه المخلوق وإنما مردهُ إلى الله ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ .

وفي الآية التاسعة بعد المئة من سورة الكهف المباركة ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ جئنا ببحر آخر، وكل هذا يشير إلى العطاء المتواصل الذي لا انقطاع له، في سورة لقمان أيضاً في الآية السابعة والعشرين ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قطعاً في روايات أهل البيت هذه الآيات في وجهٍ من وجوهها إنها في فضائل عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، إنها في فضائلهِ ومناقبهِ والآيات لها وجوه ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ في سورة ص في الآية الرابعة والخمسين آية قصيرة تجمع كل هذه المعاني ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ هذه الآية جاءت في سياق آياتٍ تتحدث عن الجنان ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ إلى آخر الآيات الشريفة، إلى أن تقول في الآية الرابعة والخمسين ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ هذا الرزق الذي لا نفاد له، وهذه النعم التي لا تُعَدُّ ولا تحصى، هذه مظاهر، هناك نِعَم ظاهرة وباطنة، هناك نِعَم لا تُعَدُّ ولا تُحصى، هناك رزق لا نفاد له، ما عند الله باقٍ وما عندكم ينفد، كل هذا حديث عن مراتب وعن مظاهر لتلكم النِعَم التي أشار إليها إمامنا الهادي

صلوات الله وسلامه عليه، حين نخاطب أئمتنا بما جاء في زيارته الشريفة زيارة إمامنا الهادي الجامعة الكبيرة – **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – الأولياء هم القريبون المُتَسَلِّطون، هم أصحاب الولاية، والنِعَم كل هذا الفيض الذي تمت الإشارة إليه في آيات الكتاب الكريم التي عشنا في أجواءها شيئاً من دقائق نتبصر في معانيها وفي مضامينها.

أما لو رجعنا إلى كلمات المعصومين لوجدنا الكثير من ذلك في كلماتهم القدسية، في نفس الزيارة الجامعة الكبيرة سيأتينا نقرأ فيها ونحن نخاطبهم صلوات الله وسلامه عليهم: **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ الله، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّماءَ اَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلاّ بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ.** وهذه الباء هذه باء السببية باء الواسطة، هم السبب في ذلك، الله سبحانه وتعالى هو مُسبب الأسباب من غير سبب، لكن هذه الأسباب هي تتجلى بتمام حقيقة معناها فيهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهذه الزيارة الجامعة هنا تتحدث على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، لا يعني أن هذه الأمور فقط المذكورة في الزيارة هي التي تأتي بسببهم وإنما هذه أمثلة – **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ** – هذا عنوان عام – **وَبِكُمْ يَخْتِمُ الله** – ما من شيءٍ إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه، يعني ما من شيءٍ إلا والفتح فيه من جهتهم والختم فيه من جهتهم – **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ** – فتح في كل شيء، وبكم ختم الله في كل شيء، ما من شيء إلا وفاتحتهُ منهم وخاتمته إليهم – **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ الله، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّماءَ أنْ تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاّ بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وبكمَ يَكْشِفُ الضُّرَّ** – هذه أمثلة ونماذج كما أن الزيارات والروايات والأدعية هي الأخرى أيضاً تتحدث عن نماذج أخرى، حينما نتدبر ونتبصر بجميع هذه الأمثلة نستنتج صورة، تتجلى لنا صورة بينة وواضحة.

مثلاً في الزيارة الرجبية التي يُستحب أن يُزار بها الأئمة صلوات الله عليهم في شهر رجب، ماذا نخاطب الأئمة صلوات الله عليهم – **أنا سائلكم وآمِلُكُم فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض فبكم يُجبر المهيض** – المهيض يعني المكسور – **فبكم يُجبر المهيض ويشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض** – هذا من الزيارة الرجبية التي يستحب أن يزار بها الأئمة في شهر رجب، وهذه نماذج، هذه صور، لقطات، مثل ما مرَّ علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة لقطات، هذه لقطات أخرى في الزيارة الرجبية – **أنا سائلكم وآمِلُكم فيما إليكم التفويض** – فأنتم أولياء النعم الأولياء الذين فوضت إليهم الأمور – **فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض** – أنتم الأولياء، الولي هو الذي تُفَوَّض إليه الأمور ويكون بيده التعويض – **أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض فبكم يُجبر المهيض ويشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض** – تغيض يعني تنقص، وهذه مجرد مصاديق وأمثلة، الكلام هنا ليس من باب

الاستقصاء والإحاطة، إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، هذه المعاني لا تحصى ولا تُحصر ولا تُعد بالألفاظ، مثلاً في زيارة سيد الشهداء، الزيارة المطلقة الأولى من زيارات سيد الشهداء بحسب ترتيب مفاتيح الجنان، وهذه الزيارة ينقلها المُحَدِّث القمي عن كتاب الكافي الشريف، ماذا نخاطب سيد الشهداء في هذه الزيارة؟ **وبكم تُنبِتُ الأرضُ أشجارها وبِكُم تُخرِجُ الأرض ثمارها وبِكُم تُنَزِّلُ السّماءُ قَطرَها ورِزقَها وبِكُم يَكشِفُ الله الكرب وبِكُم ينزِّل الله الغَيثْ** – وهذه نماذج صور لقطات، لا تتصوروا أن هذه النصوص على سبيل الحصر، المُطّلع على بقية النصوص يعرف هذه الحقيقة التي أنا أقولها – **وبكم تُنبِتُ الأرضُ أشجارها وبِكُم تُخرِجُ الأرض ثمارها وبِكُم تُنَزِّلُ السّماءُ قَطرَها ورِزقَها وبِكُم يَكشِفُ الله الكرب** – في القضايا المادية والمعنوية – **وبِكُم يُنَزِّلُ الله الغَيثْ** – في عالم السماء وفي عالم الأرض، في العوالم الظاهرة وفي العوالم الباطنة، في عالم المادة وفي عالم المعنى، أليس هذه الصور نماذج من كل هذه الطبقات، وما ذلك بشيءٍ غريب. نحن على سبيل المثال نقرأ مثلاً في زيارة النُدبة وهي زيارة للإمام الحجة، زيارة الندبة هي غير دعاء الندبة، هذا هو البحار الجزء: 102، هذه الزيارة تُسمّى بزيارة الندبة أو تسمى بزيارة آل ياسين غير المشهورة، هذه غير مذكورة في المفاتيح موجودة في البحار، ونحن نخاطب الإمام الحُجّة صاحب الأمر:

ومن تقديرهِ – يعني من تقدير الله – **منائح العطاء بكم** – منائح العطاء من الله، منائح جمعٌ لمنحة – **ومن تقديرهِ منائح العطاء بكم إنفاذهُ محتوماً مقروناً** – ثم تبين الرواية هذا القانون، قانون واضح – **فما شيءٌ مِنّا** – يا صاحب الزمان – **إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل** – ولذلك نحن نخاطبه في دعاء النُدبة – **أين السبب المتصل بين الأرض والسماء** – تلاحظون الأدعية والزيارات والنصوص المعصومية، الأحاديث، الآيات القرآنية كلها يعضد بعضها بعضاً، ألا يكشف ذلك عن منظومة واحدة، لو كانت هذه الأحاديث ضعيفة كيف اتسقت فيما بينها؟ لو كانت هذه الأحاديث ليست مُفَسِّرة للقرآن كيف تعاضد القرآن مع هذه الأحاديث؟ ألا يا أصحاب العقول، ألا يا أصحاب الأفكار، فَكِّروا، هذه الأحاديث وهذه الزيارات لم توضع في زمانٍ واحد ومن كان عنده خبرة بكتب الحديث يعرف والقرائن قائمة، هذه أحاديث منها ما جاء مروياً عن النبي، منها ما جاء مروياً عن سيد الأوصياء، وهكذا عن بقية الأئمة، كل هذه النصوص تُنتِجُ حقيقةً واحدة ألا يدل ذلك على أن هذه النصوص وهذه المضامين كل ذلك صحيح؟ مثل ما تكون عندنا صورة مُقَسّمة إلى قطع، فحينما نجمع فيما بينها وتظهر عندنا صورة كاملة هذا يكشف لنا عن أن هذه الأجزاء أجزاء الصورة كلها صحيحة بدليل أنها اجتمعت فيما بينها فأوجدت لنا صورة كاملة – **ومن تقديرهِ منائح العطاء بكم إنفاذهُ محتوماً مقروناً فما شيءٌ مِنّا** – وليس منا فقط لكن لأن الزيارة هي زيارة إنسان يزور الإمام – **فما شيءٌ مِنّا** – فما شيءٌ من الوجود – **إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل** – وهذا المعنى

هو الذي يتردّدُ في الزيارات التي قرأتها على مسامعكم قبل قليل، لذلك حينا نقرأ في دعاء العديلة الذي يستحب قراءتهُ عند المُحتَضِر إلى أن يقول الدعاء:

ثم الحُجّة الخَلَفُ القائم المُنتَظَرُ المهدي المُرجى الذي ببقائه – هذه أيضاً باء السببية – **الذي ببقائه بقيت الدنيا وبُيمنه رُزِقَ الورى وبوجودهِ ثَبتت الأرضُ والسماء.** هذه أوصاف لمن؟ لقائدٍ سياسي؟ أم لقائد التكوين، لولي النعمة الحقيقي في هذا الوجود – **الذي ببقائه بقيت الدنيا وبُيمنه رُزِقَ الورى وبوجودهِ ثَبتت الأرضُ والسماء** – وهذه المعان ليست في نص واحد أو في كلمة واحدة أو في رواية واحدة هذه مئات من النصوص، وما أعرضه بين أيديكم يا أحباب عليٍّ واللهِ ما هو إلا أمثلة، إذا أردت أن أتناول كل النصوص فإن الوقت لا يكفي وحتى العمر لا يكفي، هذه نماذج وأمثلة، ومثل هذه النماذج ومثل هذه النصوص هناك الكثير الكثير الكثير، ويأتينا بعض الجهَلة وبعض المتحذقين ممن لا يحسنون لا أقول آيتين لا يحسنون آيةً، لا يحسنون فهم آيةٍ من آيات الكتاب فيريدون منا أن نضرب بكل هذا عرض الجدار، وليس لهم من هدفٍ إلا تسطيح الفكر، أهل البيت هم أصحاب الفكر العميق، وهذه النصوص كلها تقودنا إلى الفكر العميق.

نحن نقرأ في حديث الكساء الشريف، ماذا نقرأ وأنتم تعرفون هذا، فقط أخذ هذا المقطع: **فهبطَ الأمين جبرئيل وقال: السَّلامُ عليك يا رسول الله العَليُّ الأعلى يُقرئك السَّلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: وعزتي وجلالي إني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً** – وهذه أيضاً نماذج لا على نحو الإحصاء التام ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ القرآن هكذا قال فالألفاظ حتى لو جاءتنا من طريق الوحي الألفاظ محدودة، الله هو الذي يُصَرِّح ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ ليس الله عاجزاً عن الإحصاء لكن اللغة عاجزة، النقص هنا في اللغة، فاللغة لا تتمكن من إحصاء ومن عد النعم، فهذه نماذج من النعم – **وعزتي وجلالي إني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فَلَكاً يدور لا بحراً يجري ولا فُلكاً يسري إلا لأجلكم ومحبتكم** – وهذه إلا لأجلكم ومحبتكم ليست قضية اجتماعية، مثل ما أقول أنا جئت بهذه الهدية وما جئت بها من ذلك المكان البعيد وهي ثقيلة إلا لأجلكم، إلا لأجلك يا فلان، هذه قضية اجتماعية وعاطفية، الله هنا سبحانه وتعالى يُكَلِّم الحقائق الأولى، إلا لأجلكم ومحبتكم لا تُفهم بهذا المعنى الاجتماعي السطحي الساذج، وإنما هذه المعاني يعضد بعضها بعضاً، هذه المعاني هي التي أشارت إليها الزيارة، الزيارة الجامعة الكبيرة بأنهم أولياء النعم، لهم الولاية المُطلقة ولهم القُرب المُطلق وهم محيطون بهذه النِعَم التي لا تعد ولا تحصى وهم متصرفون فيها، ومن هنا أيضاً نشأ معنى القيادة الكونية – **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – نحن نتناول

نصوصاً من هنا ومن هناك تكشف لنا عن شيءٍ من معنى ولايتهم للنعم.

هذه الرواية في الكافي الشريف، الرواية عن أبي بصيرٍ عن إمامنا الصادق قلت له، أبو بصير يسأل الإمام الصادق – **قلت له: أمَا على الإمام زكاة؟** – سؤال يتناسب مع عقولنا – **أمَا على الإمام زكاة؟ فقال: أحَلْتَ يا أبا مُحَمَّد** – أحَلْت يعني ذهبت في طريقٍ ليس سديداً، أحَلْت يعني كأنك قلت المستحيل، ذهبت في طريقٍ هذا الطريق ليس سديداً – **أحَلْتَ يا أبا مُحَمَّد أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيثُ يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائزُ له ذلك من الله، إن الإمام يا أبا مُحَمَّد لا يبيت ليلةً أبداً ولله في عنقهِ حقٌّ يسأله عنه** – يعني الإمام شيءٌ آخر، موطن الشاهد هنا – **أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيثُ يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائزُ له ذلك من الله** – هذه هي المعاني التي تتآلف فيما بينها في كلمات المعصومين، هذه الرواية تعطينا خلاصة، خلاصة موجزة – **أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيثُ يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائزُ له ذلك من الله** – الله هو الذي أجاز له ذلك، الله هو الذي وهب له ذلك، وهذا هو مظهر أيضاً من مظاهر ولايتهم للنِعَم وإلا فهم أصل النعم، بهم فتح الله وبهم يختم الله سبحانه وتعالى، وكل شيءٍ خُلِق من أنوارهم فمرد النعم بتمامها إليهم، كلمات المعصومين من هذا النحو كثيرة جداً.

في أحد التوقيعات الصادرة من الناحية المقدسة من إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الجزء الثالث والخمسون من بحار الأنوار الشريف، رسالة الإمام يكتبها إلى أشياعه جاء فيها – **لأن الله معنا** – الإمام يقول إمام زماننا – **لأن الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره** – فلا فاقة فلا حاجة، وإنما الكُلُّ يحتاجون إليهم – **لأن الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره، والحقُّ معنا فلن يوحشنا من قعد عنا ونحن صنائع ربنا والخلق بعدُ صنائعنا** – العبارة واضحة وصريحة – **ونحن صنائع ربنا** – يعني ما عندنا من النعم فمن ربنا – **والخلق بعدُ صنائعنا** – وكل ما من صنيعةٍ يعني من نعمةٍ من حُسنٍ من فضلٍ من معروفٍ من خيرٍ من كمالٍ فهو منا – **ونحن صنائع ربنا** – يعني ما عندنا من فضلٍ فهو من ربنا – **والخلق بعدُ صنائعنا** – وما في الخلق من صنيعةٍ أي من فضلٍ فهو منا – **فكل النعم مردها إلينا** – كل هذه النصوص تتحدث في هذه الأجواء وتتحدث في هذه الظلال.

لذلك ليس غريباً أن نقرأ في حديث المعرفة بالنورانية أيضاً، أن نقرأ هذا المعنى – **يا سلمان ويا جُندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: أنا الذي حملت نوحاً في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بأذن ربي، وأنا الذي أجريت أنهارها وفجرت عيونها وغرست**

أشجارها بأذن ربي – هذه المعاني هي مظاهرٌ في طبقةٍ من طبقات الوجود لولايتهم على النِعَم على مُطلق النِعَم، هذه صور هذه أمثلة لنعم مادية وإنما ذُكر الأنبياء لأن الأنبياء هم أشرف الخلق هم أفضل الخلق وهم أوضح مظاهر النبوة والولاية في هذه الكائنات، فجاء ذكر الأنبياء لا أن الأمر مخصوصٌ بالأنبياء فقط، ذكر الأنبياء هنا لعلو مراتبهم، فإذا كانت نعمة أهل البيت جارية على الأنبياء الذين هم الأفضل والأشرف بين الخلق فمن باب الأولى أن نعمة أهل البيت جارية على غيرهم، القضية هنا على سبيل الأمثلة وعلى سبيل النموذج، وإلا المسألة أوسع وأكبر من ذلك.

مرَّ علينا قبل قليل الدنيا والآخرة هي بيد الإمام يعطيها إلى من يشاء ويمنعها عمن يشاء وذلك عطاءٌ من الله إليه، لذلك أمير المؤمنين يخاطب أبا ذر في نفس الحديث – **إعلم يا أبا ذر أنا عبد الله** – لا يذهب الذهن بعيداً فيشط في الفهم، أنا قلت سابقاً هذه المعاني نحتاج في فهمها إلى قاعدتين: قاعدة حفظ المقامات حفظ مقام العبودية مع حفظ مقام الربوبية، وقاعدة الحيثيات، تعدد الحيثيات، لابد أن نفهم هذه النصوص وفقاً لهاتين القاعدتين: حفظ المقامات وتعدد الحيثيات، لذلك سيد الأوصياء يقول – **إعلم يا أبا ذر أنا عبد الله عزَّ وجلَّ وخليفتهُ على عباده لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لا تبلغون كُنه ما فينا ولا نهايته** – لماذا؟ الإمام يقول – **فإن الله عزَّ وجل قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم** – يعني حتى قوى الخيال لا تستطيع أن تصل إلى ذلك الفناء الطاهر – **فإن الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون** – وأعيد وأكرر بأن هذه المطالب وهذه المعاني وهذه المضامين يحتاج فهمها إلى الالتزام بهاتين القاعدتين الذهبيتين: القاعدة الأولى حفظ المقامات، كل مقام نحفظ له خصوصياته. والقاعدة الأخرى وهي قاعدة تعدد الحيثيات، حينما ننظر إلى جهةٍ لا يعني أننا ننكر الجهات الأخرى، وحينما تتجه عقولنا وقلوبنا وأفكارنا باتجاه جهةٍ معينة لا يعني أن هذه العقول والقلوب والأفكار حُصرت فقط في هذه الجهة، هناك حيثيات متعددة في هذا الوجود، وهناك مقامات ولابد من حفظ خصوصية كل مقام لذلك المقام، وإلا سنقع في خبطٍ وخلط.

يمكن أن يتجلى من كل هذه المضامين معنى أنهم أولياء النعم ومعنى أنهم قادة الأمم، هناك بعض النصوص هذه النصوص تتجلى في طقوس الحياة اليومية، هي أيضاً تشير من بعيدٍ إلى هذه المضامين الواسعة، هناك جملة من النصوص وردت عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليه أجمعين، مثلاً: هذه الرواية في الكافي الشريف – **عن ابن بكير، قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فأطعمنا ثم رفعنا أيدينا فقلنا الحمد لله، فقال أبو عبد الله عليه السلام بعد أن رفع يدهُ من الطعام: اللهم هذا منك ومن مُحَمَّد رسولك**

اللهم لك الحمد صلي على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد – هذا الدعاء يستحب أن يُقرأ، هذا الذكر يستحب أن يذكر بعد أن يتناول الإنسان طعامه، الرواية في الكافي الشريف – **اللهم هذا منك ومن مُحَمَّد رسولك اللهم لك الحمد صلي على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد** – وما ذلك بغريبٍ فعندنا في الأحاديث من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق وهذا المعنى واضح ولا أعتقد أن أحداً ينكر هذا المضمون، هذا المضمون عقلاً مقبول، شرعاً مقبول، المنطق، الفطرة تقبل كل هذه المعاني.

عندنا في رواياتنا على سبيل المثال مثلاً: هذه رواية يرويها زرارة عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، الرواية عن أمير المؤمنين، ماذا قال أمير المؤمنين؟ – **ضاقت الأرض بسبعة** – مقصود من ضيق الأرض إشارة إلى علو منزلتهم وأن لهم منزلة لا تسعهم الأرض هذا المراد ضاقت الأرض، يريد الإمام هنا أن يتحدث عن عظمة منزلتهم ودرجتهم قال – **ضاقت الأرض بسبعة بهم تُرزقون وبهم تُنصرون وبهم تمطرون** – من هؤلاء؟ الإمام يقول – **منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة** – رحمة الله عليهم – **وكان عليٌّ عليه السلام يقول وأنا إمامهم وهم الذين صلوا على فاطمة عليها السلام** – إذا كانت هذه المعاني يمكن أن تتجلى في أولياء أهل البيت فما بالك بأهل البيت، وروايات عديدة في هذا المضمون أنا هنا جئت بنموذج، أنا قلت قبل قليل أنا لا أستطيع في هذا الوقت الضيق وفي هذه العُجالة والتي قد يراها البعض أنها وقتٌ طويل، يعني برنامج يصل إلى ساعتين أو أكثر من ساعتين قد يراها البعض مملة وأنا أعذرهُ في ذلك لكنني لا أجد وقتاً لبيان هذه المطالب الكثيرة والطويلة، مع ذلك أنا فقط أأتي بنماذج، وهذا يشير إلى قضية واضحة، هذا ينبئنا بشيء، ينبئنا بمظلومية أهل البيت، بمظلومية حديث أهل البيت، بمظلومية فكر أهل البيت، مؤسساتنا الشيعية غافلة عن هذا الفكر، غافلة عن هذا الحديث، قنواتنا الفضائية غافلةٌ عن هذا الفكر، منابرنا حسينياتنا غافلة عن هذا الفكر، ولو أردنا أن نختبر وأن نمحص ما يقال في مؤسساتنا الإعلامية، في قنواتنا الإعلامية، في صحفنا، في مجلاتنا، على منابرنا لوجدنا أن الكثير مما يقال لا علاقة له بأهل البيت، وحديث أهل البيت مركونٌ على جانب، لذلك إنني لا أجد وقتاً لطرح كل أحاديثهم وإنما أقتبس من هنا ومن هناك، وهذه الرواية نموذج من رواياتٍ كثيرة ماذا تقول الرواية؟ **ضاقت الأرض بسبعة بهم** – هذه الباء باء السببية – **بهم ترزقون وبهم تُنصرون وبهم تمطرون، منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة، وكان عليٌّ يقول: وأنا إمامهم وهم الذين صلوا على فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.**

رواية أخرى، أيضاً من الكافي الشريف – **يونس بن ضبيان يقول: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فحضر وقت العشاء** – وقت العَشاء هو وقت الطعام، ووقت العِشاء هو وقت صلاة العِشاء، لذلك

عندنا في الروايات أنّه إذا حضر العِشاء والعَشاء فقَدِّم العَشاء على العِشاء، العَشاء هو طعام العَشاء وقت طعام العَشاء، والعِشاء هو وقت صلاة العِشاء، إذا حضر العَشاءُ مع العِشاء فقدموا العَشاء على العِشاء، أحتراماً للنعمة، وهذا هو جزءٌ من حديثنا وفيه إشارة لطيفة وتلويحة جميلة جداً – **كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فحضر وقت العَشاء فذهبت أقوم، فقال: أجلس يا أبا عبد الله فجلست حتى وُضِع الخوان** – الخوان هي السفرة – **فسمى حين وُضع، فلمَّا فرغ قال: الحمد لله هذا منك ومن مُحَمَّد صلى الله عليه وآله** – هذه الرواية في الكافي الشريف في وسائل الشيخ الحر العاملي وفي محاسن البرقي وفي مصادر حديثية عديدة أخرى.

هناك رواية أيضاً منقولة عن إمامنا الكاظم صلوات الله عليه ينقلها عن أبيه الصادق – **وكان الصادق عليه السلام إذا قُدِّم إليه الطعام يقول: بسم الله وبالله وهذا من فضل الله وبركة رسول الله** – هذا حين يُقَدَّمُ إليه الطعام، غير الروايات التي مرت وحدثتنا عمَّا يقولهُ بعد انتهاء الطعام – **وكان الصادق عليه السلام إذا قُدِّم إليه الطعام يقول: بسم الله وبالله وهذا من فضل الله وبركة رسول الله وآل رسول الله، اللهم كما أشبعتنا فأشبع كل مؤمنٍ ومؤمنة وبارك لنا في طعامنا وشرابنا وأجسادنا وأموالنا** – الرواية موجودة في البحار في نوادر الراوندي وفي مستدرك الوسائل لشيخنا المُحدِّث النوري رحمة الله.

هناك رواية ينقلها المحدث الكراجكي رحمة الله عليه في كتابه كنز الفوائد، الرواية منقولة عن إمامنا الصادق وعن أبي حنيفة، ماذا تقول الرواية؟ أقرأ عليكم نص الرواية: **إن أبا حنيفة أكل طعاماً مع الإمام الصادق جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام، فلمَّا رفع الصادق عليه السلام يدهُ من أكله قال: الحمد الله رب العالمين اللهم إن هذا منك ومن رسولك صلى الله عليه وآله، فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد الله أجعلت مع الله شريكاً** – وهذا الكلام هو هوَ القديم الحديث – **فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد الله أجعلت مع الله شريكاً** – إمامنا الصادق ماذا قال؟ بعد أن أكمل الطعام – **قال: الحمد الله رب العالمين اللهم إن هذا منك ومن رسولك صلى الله عليه وآله** – أبو حنيفة قال – **يا أبا عبد الله أجعلت مع الله شريكاً** – ماذا قال له الإمام الصادق؟ – **فقال له: ويلك فإن الله تعالى يقول في كتابه:**

﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ – هذه هي الآية الرابعة والسبعون من سورة التوبة – ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ – الآية تقول هكذا أن الذي أغناهم الله ورسوله – **فقال له: ويلك فإن الله تعالى يقول في كتابه:** ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ **ويقول في موضعٍ آخر** – وهي الآية التاسعة والخمسون من سورة التوبة – ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ **فقال أبو حنيفة: والله لكأني ما قرأتهما من كتاب الله ولا سمعتهما إلا في هذا الوقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: بلى قد قرأتهما وسمعتهما ولكن الله تعالى أنزل فيك وفي أشباهك** ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ **وقال:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ – هذه الرواية موجودة في وسائل الشيعة لشيخنا الحر وموجودة كذلك في الجزء السادس والستين من بحار الأنوار، وموجودة في مصادر عديدة أخرى، هذه الرواية أخر رواية قرأتها على مسامعكم تنبئنا عن واقعٍ قديمٍ جديد، نفسهُ الواقع الذي نعيشهُ في أيامنا هذه.

بعد هذه الجولة في هذه النصوص التي أخترتها من هنا ومن هناك حتى أتمكن من أن يكون حديثي متناسباً مع حيثيات المطالب، فحينما أقول: **وَقادَةَ الأُمَمِ**، قيادتهم للأمم لها حيثيات متعددة، لها مظاهر متعددة لذلك جئت بالروايات من هنا ومن هناك، ولَمَّا كان الكلام عن أنهم: **أولياء النعم**، أيضاً جئتُ بالروايات وبالأحاديث من هنا ومن هناك لتعطينا صوراً لتعطينا لقطات لتعطينا بيانات عن مقامات وعن حيثيات هذا المضمون العظيم الذي أشارت إليه الزيارة الجامعة الكبيرة.

في ختام حديثي أقول: السلام عليكم سادتي يا قادة الأمم ويا أولياء النعم، سادتي آل مُحَمَّد فما شيءٌ منا،كما قرأت قبل قليل في زيارة الندبة، فما شيءٌ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل، ما بنا من نعمةٍ فمنكم، ما بنا من فضل فمنكم، ما بنا من كمالٍ ومن حُسنٍ فإليكم يعود، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله بكم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هديتمونا أنتم، وكل هذه المعاني صحيحة وواضحة ومتصلة ويشد بعضها بعضاً، فنحن منكم وإليكم، ما عندنا من حسن فهو منكم وإليكم، وما عندنا من قبحٍ ومن عِثارٍ ومن زلةٍ فهي عائدةٌ إلينا.

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلمِ، وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ.

أَشْهَدُ أَنَّكُم كَذَلِك، مَا كَانَ لأوّلِكُم فَهوِ لآخِرِكُم، ومَا كَانَ لآخِرِكُم فَهوِ لأوّلِكُم، أوّلُكُم مُحَمَّد وَأوسَطُكُم مُحَمَّد وَآخِرُكُم مُحَمَّد بَلْ كُلُّكُم مُحَمَّد، أوّلُكُم عَليٌّ وأوسَطُكُم عَليٌّ وآخِرُكُم عَليٌّ بَلْ كُلُّكُم عَليٌّ.

وأنتم يا أحباب عليٍّ سلامٌ عليكم أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة الثانية عشر

معنى وَعَناصِرَ الأبرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ

السلام عليكم جميعاً يا أحباب فاطمة وآل فاطمة ورحمة الله وبركاته، وهذه الحلقة الثانية بعد العاشرة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، مفاتيح الجنان بين يدي وها هي الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة المرويةُ عن إمامنا أبي الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه، مَرَّ علينا في الحلقات الماضية قول الزيارة الشريفة:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلمِ، وَمُنْتَهَى الحلمِ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ.

العنوان الذي نتناوله اليوم: **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ**. وهذان العنوانان متعانقان كما مر التعانق بين العناوين السابقة – **وَمُنْتَهَى الحلمِ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ** – وكذلك ما مر في الحلقة الماضية – **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – هناك تعانقٌ وهناك ترابط بين هذين العنوانين – **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ** – وسيتجلى بعض هذا المعنى من خلال ما أبيّنه وأوضّحه. الزيارةُ نخاطب بها أئمتنا – **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ** – العناصر في لغة العرب جمع عنصر، والأبرار جمعٌ لِبَر أو بار، العناصر جمعُ عنصر والعنصر في لغة العرب هو الأصل، وإذا أردنا أن نبّين المعنى بنحوٍ دقيق فإن العنصر في لغة العرب هو الأصل الصافي الذي لا تشوبه شائبة، ولذلك في علم الكيمياء أُخِذَ هذا اللفظ وأستُعمِلَ على المواد الأساسية الموجودة في الطبيعة التي سميت بالعناصر، هناك في علم الكيمياء هناك العناصر وهناك المركبات، المركبات لو أردنا أن نحللها لو أردنا أن نجزئها فإنها سوف تُحلل وتُجزئ إلى أكثر من عنصر، ربما إلى عنصرين، ثلاثة، أكثر من ذلك، المركبات ركبت من مجموعة عناصر، أما العناصر، العناصر إذا حللت فإنها ستتحول إلى ذرات إلى أجزاء صغيرة، فإن العنصر إنما هو متكونٌ من نفسه بنفسه، العنصر متكون من ذراته التي باجتماعها تشكل هذا العنصر فلا يوجد وراء العنصر أجزاء أخرى تركبت كما يوجد وراء المركبات أو وراء المركب أجزاء تركبت وولدت المركب، العنصر هو الأصل، لذلك في لغة العرب العنصر هو الأصل الصافي الذي لا تشوبه شائبة – **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ** – الأبرار جمعٌ لبار، والبار قد يأتي بمعنى الخيِّر الذي يعمل البر الذي يتصف بالبر، وما البر في لغة العرب إلا الخير، والبارُ يأتي بمعنى الصالح والصالح هو الخَيِّر بمعنى

واحد، ويأتي بمعنى الرحيم الذي تملأ الرحمة قلبه، وله دلالاتٌ أخرى لكن جميع هذه الدلالات هي ترجعنا إلى الخيرية، ترجعنا إلى البر، والبار أيضاً تعني الصادق، والصدقُ والرحمةُ والخيرُ والفضلُ كلها تعود إلى جذرٍ واحد إلى حقيقة الجمال، كل هذه المعاني معاني جميلة فتعود إلى حقيقة الجمال – **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ** – فبما أن عنوان الأخيار قد جاء مذكوراً فإذاً الأبرار هنا قد يراد منها الصالحون وقد يُراد منها الصادقون والمعاني كلها صحيحةٌ واضحةٌ وبيّنة، الذين شرحوا الزيارة الجامعة الكبيرة من علمائنا المُتقدمين رضوان الله تعالى عليهم قالوا بأن الأبرار هنا هم الصادقون وكلامهم صحيحٌ، ولو قلنا الصالحون الكلام صحيح، ولو قلنا الفاضلون الكلام صحيح، ولو قلنا ولو قلنا، نحن أيضاً وفقاً لِمَا مَروا عليه ولما ذكروه من أن الأبرار هنا هم الصادقون فنقول هم الصادقون إذاً، وذلك لا يعني أن كلمة الأبرار بالضرورة أن تكون محصورةً في هذا المعنى، وإلا فالأبرار هم الأخيار ولكن لأن وصف الأخيار جاء مذكوراً بعدها فلذلك قال علمائنا بأن الأبرار هنا هم الصادقون وقد صدقوا في قولهم هذا – **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ** – الأبرار في حقيقة المعنى هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الأبرار في المظهر الأتم في الصورة الأكمل هم صلوات الله عليهم، لكن العبارة هنا تقول – **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ** – تقول بأنهم هم الأصل الصافي الذي لا تشوبه الشائبة والذي تفرَّعَ عنه الأبرار.

الأبرار هنا هم فرعٌ من تلكم العناصر، المراد من الأبرار هنا الأنبياء، المراد من الأبرار هنا أولياء أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم الذين بلغوا المراتب العالية في المعرفة واليقين والذين وصلوا إلى الحد الأقصى في دائرة القرب الإلهي، الزيارة تصف أن هؤلاء الأبرار يعودون إلى تلكم العناصر الطاهرة الطيبة، فهم عناصر الأبرار، وأهل البيت على وجه الحقيقة إذا أردنا أن ننظر إلى العقيدة الواضحة التي تحدَّثت عنها الأعداد الهائلة من النصوص المروية عن النبي وعن الأئمة والتي تُنْبِئُنا بأنهم أول ما خلق الله، حقائقهم القادسة الأولى من نورها صدر النور الذي خُلِقت منه كل الكائنات، ذلك النور تشقق إلى أنوار، فإن الكائنات على مراتب، تلكم الأنوار التي تشققت من النور الذي صدر من حقائقهم القادسة هي تلكم العناصر، وإنما جاء ذكر الأبرار هنا لأن الأبرار هم أرقى مرتبة وأوضح صورة وأجلى مظهر من مظاهر الولاية، ومرادي من الولاية هو الرابطة التي تربط الموجودات بالله سبحانه وتعالى، هناك شيءٌ يربطُ بين الوالد والولد، هناك رابطة تربط بين الوالد والولد، وأعني بالرابطة التي تربط بين الوالد والولد ما وراء الرابطة الرحمية، ما وراء رابطة اللحمة النسبية، ما وراء رابطة تكوين النطفة وما ترتب عليها، هناك رباطٌ بين الوالد والولد من جهةٍ يمكن أن نسميه بالوالدية، ومن جهةٍ يمكن أن نسميه بالبنوة، هذه الرابطة التي لها وجهان من جهةٍ الوالدية ومن جهةٍ البنوة، نحن لا نستطيع أن نشخصها بدقة إنما ندركها بالوجدان، حينما أقول نحن لا نستطيع أن نشخصها بدقة أعني لا نستطيع أن نشخصها بالألفاظ إنما ندركها

بالوجدان، العلاقة بين الوالد والولد، العلاقة بين الوالدة والولد هذه العلاقة علاقةٌ تدرك بالوجدان، أما ما يبدو على السطح في الحياة من الرابطة النسبية ومن رابطة اللحمة ومن رعاية الوالد أو من رعاية الأم لأولادها فتلك هي مظاهر عملية واقعية على الأرض لتلكم الرابطة الحقيقية التي لا نتلمسها بالحس البصري أو بالحس السمعي وإنما نتلمسها بالوجدان، هناك رابطة بين الوالد والولد هي رابطة الوالدية هي رابطة البنوة سمي ما شئت من التسميات وأنحت ما شئت من الاصطلاحات فكما يقولون لا مشاحة في الاصطلاح، القضية ليست في الألفاظ ولا القضية في التصور الخارجي المادي والتمظهر الموجود على واقع الأرض، القضية في العمق الوجداني، في العمق الوجداني الحقيقي الذي يدرك الحقائق.

الذي يذهبُ بعيداً في غور الواقع وفي غور خلجات النفس الإنسانية، الوجدان ينبئنا عن تلكم العلاقة، علاقة الولاية بين الله وبين الخلق هي علاقةٌ يمكن أن تكون علاقة الوالدية تقرب لنا معناها بوجهٍ من الوجوه وتُبَعِّد لنا المعنى أيضاً بوجهٍ من الوجوه، فالأمثلة في مثل هذه المعاني وفي مثل هذه المقامات تُقرِّبُ من وجهٍ وتبعدُ من وجه لكنني أريدُ أن أنظر إلى الوجه المُقَرِّب كي تتضح الصورةُ عند المشاهد وعند المُستمِع – **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ** – هناك رابطةٌ بين هذه العناصر وبين الأبرار الذين تتجلى فيهم أجلى مظاهر الولاية، الولاية التي تحدثتُ عنها قبل قليل وهي رابطةُ الكائنات بالله وهي سرُ وجود الكائنات، من دون هذه الولاية، من دون هذه الرابطة فإن الكائن يُعدم لا وجود له، سر وجود الكائن ارتباطه بالله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحمِيدُ﴾ أنتم الفقراء هناك رابطةٌ تربطكم بالغني الحميد، رابطةُ الافتقار ﴿أَنتُمُ الْفُقَرَاء﴾ ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحمِيدُ﴾ رابطةُ الافتقار هي هذه رابطةُ الوجود، هي هذه رابطةُ الولاية، افتقار الكائنات للغني الحميد هو سر وجودها وهو سرُ ثباتها، وفي ميدان افتقارها تقترب الكائناتُ من دائرة القُرب، وللكائنات مراتب ومظاهر ومن أجلى وأوضح وأنظف وأنقى المرايا التي تتجلى فيها الولاية هي مراية الأبرار، لذا جاء الذكر للأبرار هنا لسببين:

السبب الأول لأن الزيارة هذه مصبوبةٌ لبني آدم، الذين يوصفون بهذه الأوصاف ولمن كان مثلهم من الجن أو غيرهم. ومن جهةٍ أخرى وهو المعنى الأعمق أن الأبرار هم المظهر الأكمل للولاية بين الكائنات وبين الله، لأن الأبرار تتمظهرُ فيهم الولايةُ بكل أنحاءها، تتمظهرُ فيهم الولاية الكونية وتتمظهرُ فيهم الولاية الشرعية، والولاية الشرعية فيها جانبُ اختيارٍ وجانبُ إبداعٍ من نفس الأبرار، الولاية التكوينية ليس للأبرار من يدٍ في تعلقها بهم فذلك أمرٌ له ﴿أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ فالخلقُ والأمرُ إليه سبحانه وتعالى وتقدست ذاته عما يقول الظالمون. – **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ** – هم عناصرُ الأبرار، هم الأنوار الأولى التي

تشققت منها سائر بداياتِ ومقدماتِ وجذورِ هذه الكائنات، فهم العناصر الأولى، من أنوارهم القادسة تشققت الأنوار فكانوا هم العناصر الأولى وكانوا صلوات الله عليهم الماء الأول، الطينة الأولى، وقد حدثتنا روايات أهل البيت عن مظاهر من هذا المعنى من معنى العناصر ومن معنى التعنصر ومن معنى هذه الاشتقاقات، على سبيل المثال ما جاء في كتاب بصائر الدرجات أمر على طائفةٍ من الأحاديث والروايات، ولا أريد أن أشرح هذه الروايات لأن الدخول في تفاصيلها يحتاجُ إلى بسطٍ في القول ويحتاج إلى سعةٍ من الوقت والمقام لا يسنح بذلك، أنا أتلو على مسامعكم النصوص وما يحتاجُ إلى بيانٍ بنحو الاضطرار أبيّنه ولكنني أعتمدُ على الفهم العام الذي يمكن أن يفهم من كل هذه النصوص.

الروايةُ: عن بشر بن أبي عقبة عن أبي جعفرٍ وأبي عبد الله – عن الإمامين، عن الباقرين، عن الصادقين صلوات الله عليهما – **إن الله خلق مُحَمَّداً من طينةٍ من جوهرةٍ تحت العرش** – هذه الرواية ناظرة إلى مرتبةٍ من مراتب خلقه صلى الله عليه وآله وإلا مر علينا في الروايات السابقة العرشُ من نوره، الحديثُ هنا في أفق الخلق الثاني، الحديثُ هنا في أفق ما بعد تشقق الأنوار وما بعد تولد العناصر – **إن الله خلق مُحَمَّداً من طينةٍ من جوهرةٍ تحت العرش وإنه كان لطينته نضح** – تنضح الطينة بحسب المعنى المُتعارف وإلا هذه رموز، تنضح الطينة ما يندُ منها، ما يخرجُ منها من ماءٍ وما يخرجُ منها من شيءٍ يشابه مزاجها – **وإنه كان لطينته أو لطينه نَضْح فَجَبَّلَ طينة أمير المؤمنين عليه السلام** – فَجَبَّل: جَبَّل يعني خلق، يعني أوجد – **فَجَبَّلَ طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضحِ طينة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نَضحٌ فَجَبَّلَ طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين** – هذا الكلام كلام الأئمة من ولده – **فَجَبَّلَ طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام وكان لطينتنا نضحٌ فَجَبَّلَ طينة شيعتنا من نضح طينتنا فقلوبهم تحنّ إلينا وقلوبنا تعطف عليهم تَعَطُّفَ الوالد على الولد** – قبل قليل أنا جئت بمثال العلاقة بين الوالد والولد، وفي ذلك إشارة أيضاً إلى هذا المعنى – **فقلوبهم تحنُّ إلينا وقلوبنا تعطف عليهم تَعَطُّفَ الوالد على الولد ونحنُ خيرٌ لهم وهم خيرٌ لنا ورسول الله صلى الله عليه وآله لنا خيرٌ ونحنُ له خير.**

رواية جميلة جداً، ورواية تتحدث عن حقيقةٍ في هذا الوجود، لكن هذه الرواية لا أستطيعُ أنا ولا يستطيع غيري أن نُدرك أغوارها الحقيقية، كل ما نفهمه من هذه الرواية أن فيها مجموعة من المصطلحات نفهمها هكذا فهماً سطحياً بعيداً عن غور الحقيقة، لكنها تنبئنا وتوحي إلينا بعض شيءٍ من معنى أنهم عناصر الأبرار، عناصر الأبرار هم الطينة التي اشتقت منها طينة الأبرار، كما قال إمامنا الباقر وإمامنا الصادق – **وكانت لطينتنا نضحٌ فَجَبَّلَ طينة شيعتنا من نضح طينتنا** – والدليل الباقي، الأثر الباقي –

فقلوبهم تحن إلينا وقلوبنا تعطف عليهم تَعَطُّفَ الوالد على الولد – وأعتقدُ أن الرواية تنبئ بشيءٍ من هذا المعنى من معنى عناصر الأبرار، ولكن كما قلتُ في أفقٍ من الآفاق.

رواية أخرى، الروايات كثيرة سأقتطف بعضاً منها لتتضح لنا صورة مُجملة عن هذا المعنى، الرواية: عن أبي الحجاج قال: **قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الحجاج إن الله خلق مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد من طينة عليين وخلق قلوبهم من طينةٍ فوق ذلك** – القلوب هي العقول، القلوب هي الأرواح، القلوب هو الجانب الأعلى عند الإنسان – **إن الله خلقَ مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد من طينة عليين وخلق قلوبهم من طينةٍ فوق ذلك، وخلق شيعتنا من طينةٍ دون عليين وخلق قلوبهم من طينةٍ عليين فقلوب شيعتنا من أبدان آل مُحَمَّد** – أبدان آل مُحَمَّد من طينة عليين وعقولهم من فوق ذلك، شيعة آل مُحَمَّد أبدانهم من طينةٍ دون عليين أما عقولهم فمن طينةٍ عليين من فاضل الطينة التي خُلقت منها أبدان آل مُحَمَّد، وكل ذلك رموز كل ذلك إشارات – **وإن الله خلق عدو آل مُحَمَّدٍ من طين سجين وخلق قلوبهم من طينٍ هو أخبث من ذلك وخلق شيعتهم** – شيعة عدو آل مُحَمَّد – **من طينٍ دون طين سجين وخلق قلوبهم من طين سجين فقلوبهم من أبدان أولئك وكل قلبٍ يحنُ إلى بدنه** – أنا لا أريد أن أدخل في هذه الروايات وأتناول موضوع الجبر وموضوع الشقاء والسعادة الذي عادةً ما يتناول حين إيراد مثل هذه الروايات فليس المقام لطرح هذا البحث، الحديث هنا في بيان معاني الزيارة الجامعة الكبيرة، وقد وصلتُ إلى هذا العنوان – **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ** – من خلال هذه الروايات أريدُ أن أكوّن صورةً عامة ومُجملة لمعنى التعنصر ولمعنى أنهم عناصر الأبرار، قد أتناول هذا المعنى في وقتٍ آخر لأنني إذا دخلتُ فيه فإنني سأترك الأصل وسأتشعبُ في الفروع.

الرواية التي بعدها: عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: **إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه** – إن الله خلقنا من أعلى عليين: أعلى مرتبة – **وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إلينا أو تهوي إلينا لأنها خُلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية:** ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ – والحديث هنا: **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ**. تلاحظون التوافق والتناسق بين هذه الروايات وبين الآيات وبين الزيارات – **ثُم تلا هذه الآية:** ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾. الكتاب ليس هو أوراقاً، الكتاب الحقيقةُ الجامعة، الكتاب هو الصورة الناطقة مما كتب القلم من مدادٍ أخذه من نون ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ الكتاب المرقوم هو مما كتبه القلم الأعلى، مما كتبه القلم الأول بالمداد

الأول بالماء الأعلى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الكتاب المرقوم يعني الكتاب المكتوب بكامله فقد رُقِمَ فقد كتب، كتابٌ مرقوم، فقد كتب هذا الكتاب، فقد رُقِمَ هذا الكتاب ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ويستمرُ إمامنا الصادق فيقول: **وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك فقلوبهم تهوي إليهم لأنها خُلِقت مما خُلِقوا منه ثم تلا هذه الآية:** ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾.

ولايتي لأميـر النحـل تكفيني عنـد المماتِ وتغُسـلي وتكفيني
وطينتي عُجِنت من قبل تكويني في حُبِّ حيدرَ كيف النارُ تكويني

الروايةُ عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه: **إن الله تعالى خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم** – النبيون هم من شيعتهم لذلك خلقت قلوب النبيين من طينة عليين التي هي الطينة التي خُلِقت منها أبدان آل مُحَمَّد – **إن الله تعالى خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم** – فالنبيون كما في هذه الرواية خلقت قلوبهم وأبدانهم من طينة عليين، ماذا أصبح لدينا؟! أصبح لدينا مراتب، أهل البيت، آلُ مُحَمَّد خلقت أبدانهم من طينة عليين وقلوبهم يعني حقائقهم من فوق طينة عليين، أما شيعتهم فقد خلقت أبدانهم من طينةٍ دون عليين وعقولهم من طينة عليين، وأما النبيون وهم على مراتب، وأما النبيون فقد خلق عقولهم وأبدانهم من طينة عليين أي من طينة أبدان آل مُحَمَّد كما تقول هذه الرواية وروياتٌ أخرى تدل على غير ذلك فكل ذلك يتحدثُ عن المراتب – **إن الله تعالى خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وخلق أبدان المؤمنين من دون ذلك، وخلق الكفارُ من طينة سجين قلوبهم وأبدانهم فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافرُ ويلد الكافرُ المؤمن، ومن ها هنا يصيبُ المؤمن السيئة ومن ها هنا يصيبُ الكافرُ الحسنة، فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه** – وهذه الروايات لا تدل على الجبر على الكفر أو على الإيمان أبداً، هذه الروايات بيانات ولها شروح نأتي عليها في وقتٍ آخر، أنا هنا فقط أُورد هذه الروايات لأجل بيان معنى قول الزيارة وعناصر الأبرار.

الروايةُ: **عن جابرٍ الجعفي قال: كنتُ مع مُحَمَّد بن عليٍّ عليه السلام** – يعني الإمام الباقر صلوات الله عليه – **فقال: يا جابر خلقنا نحن ومُحبّونا من طينةٍ واحدة بيضاء نقية من أعلى عليين فخلقنا نحن**

من أعلاها وخُلِق محبونا من دونها فإذا كان يوم القيامة ألتفت العليا بالسفلى وإذا كان يوم القيامة ضربنا بأيدينا إلى حجزة نبينا – إلى حجزة إلى عروة إلى جهة نبينا – **وضرب أشياعنا بأيديهم إلى حجزتنا فأين ترى يُصَيِّرُ الله نبيه وذريته؟!** – أي وذرية النبي – **فأين ترى يُصَيِّرُ الله نبيه وذريته؟! وأين تُرى يُصَيِّرُ ذريته ومحبيها؟! فضرب جابرٌ يده على يده فقال: دخلناها ورب الكعبة ثلاثاً، دخلناها ورب الكعبة، دخلناها ورب الكعبة** – الرواية جميلة جداً – **فإذا كان يوم القيامة ألتفت العليا بالسفلى** – العليا كما قال – **خُلقنا نحن ومحبونا من طينةٍ واحدة بيضاء نقية من أعلى عليين فَخُلقنا نحن من أعلاها وخُلق محبونا من دونها فإذا كان يوم القيامة ألتفت العليا بالسفلى** – إلى آخر الرواية – فقال جابر، جابر الجعفي – **فضرب جابرٌ يده على يده فقال: دخلناها ورب الكعبة** – دخلناها دخلنا إلى جنان الله إلى رحمة الله إلى رضوان الله، لأننا من سافل هذه الطينة من سفلاها، والإمام قال: فإن أعلاها سيلتف بسفلاها.

روايةٌ أخرى عن إمامنا الصادق: **إن الله عجن طينتنا وطينة شيعتنا فخلطنا بهم وخلطهم بنا فَمَنْ كانَ في خلقه شيءٌ من طينتنا حَنَّ إلينا فأنتم والله مِنّا** – وهذا هو سرُ ما نجده في قلوبنا باتجاه مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، القضية أعمق من المعاني النَسَبية وأعمق من المعاني الاجتماعية وأنا هنا لا أريد الخوض في هذا المعنى نتناوله في وقتٍ آخر، فقط أورد الروايات لكي تتضح الصورة لمعنى الزيارة حين تقول: وعناصر الأبرار، وأعتقد أن المعنى بدأ يتجلى واضحاً، أن الأبرار عنصرهم الأصلي هو تلكم الطينة.

الرواية أيضاً عن صادق العترة: **عن الفضل بن عيسى الهاشمي قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام أنا وأبي عيسى** – الفضل وأبوه عيسى دخلوا على الإمام الصادق – **فقال له** – عيسى الهاشمي قال له – **أَمِن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: سلمان رجلٌ منا أهل البيت؟!** – هذا عيسى الهاشمي يسأل الإمام – **أَمِن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: سلمان رجلٌ منا أهل البيت؟! فقال: نعم، فقال: أي من ولد عبد المطلب؟!** – هو هذا عباسي، حينما نجد لفظ الهاشمي في الروايات يعني عباسي من بني العباس – **عن الفضل بن عيسى الهاشمي** – دخل هو وأبوه عيسى الهاشمي، والعباسيون يفكرون بمنطق معين، كانت هذه قضية الانتساب للعباس قضية تعتبر من أساسيات الفكر الذي أنشئوا عليه دولتهم، على أي حال الكلام الآن ليس في هذا الجانب، فسأل – **أمن قول رسول الله: سلمان رجلٌ منا أهل البيت؟! فقال: نعم، فقال: أي من ولد عبد المطلب؟!** – الإمام ماذا قال؟ – **فقال: منا أهل البيت، فقال له: أي من ولد أبي طالب؟!** – باعتبار أن الإمام الصادق من ولد أبي طالب، في البداية قال من ولد عبد المطلب؟ باعتبار هو هذا عباسي والإمام طالبي

وكلاهما من ولد عبد المطلب، فالإمام قال: منا أهل البيت، فماذا تصور؟ تصور أن الإمام يريد أن ينسبه إلى أبي طالب – **أي من ولد أبي طالب؟! فقال: منا أهل البيت، فقال له: إني لا أعرفه** – من الذي قال؟ عيسى الهاشمي قال: إني لا أعرفه، لا أعرف سلمان الفارسي أنه ينتسب إلى أهل البيت، باعتبار أنه يفسر أهل البيت بعنوان قَبَلي، بعنوان نَسَبي معين، أُسَري – **فقال: إني لا أعرفه** – الإمام ماذا قال؟ – **فاعرفه يا عيسى فإنه منا أهل البيت** – عندنا في الروايات أن سلمان من أنكره كان كافراً ومن عرفه كان مؤمناً، هذا المعنى موجود في الروايات – **فقال: فاعرفه يا عيسى فإنه منا أهل البيت، ثم أومأ بيده إلى صدره** – منا أهل البيت لا يقصد العنوان النَسَبي يقصد العنوان الحقيقي، يقصد أنه عنصر الأبرار، وسلمان من سادة الأبرار – **فاعرفه يا عيسى فإنه منا أهل البيت، ثم أومأ بيده إلى صدره ثم قال: ليس حيثُ تذهب إن الله خلق طينتنا من عليين وخلق طينة شيعتنا من دون ذلك فهم منا، وخلق عدونا من سجين وخلق طينة شيعتهم** – طينة شيعة عدو مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **من دون ذلك وهم منهم، وسلمان خيرٌ من لقمان** – لقمان هو أحكم الحكماء – **وسلمان خيرٌ من لقمان فسلمان منا أهل البيت.**

روايةٌ أخرى عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: خُلقنا من عليين وخُلق أرواحنا من فوق ذلك وخُلق أرواح شيعتنا من عليين وخُلق أجسادهم من دون ذلك فمن أجل تلك القرابة بيننا وبينهم قلوبهم تحنُّ إلينا.

إليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ضِماءٌ وألبـبُ

هذا الكميت يقول هكذا.

وروايةٌ أخرى، رواية قد تكون جامعةً ومانعة للمعاني، الروايةُ : **عن مُحَمَّد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول** – الإمام يقول، ماذا يقول؟ – **خلقنا الله من نور عظمته** – الحديث هنا عن عالم الأنوار القادسة – **ثم صور خلقنا من طينةٍ مخزونةٍ مكنونةٍ من تحت العرش** – فهذه الرواية كما قلت جامعة ومانعة، فهي تتحدث عن الخلق الأول ثم تتحدث عن الخلق الثاني والتجليات العالية في الخلق الثاني – **خلقنا الله من نور عظمته** – هذا في الخلق الأول – **ثم صور خلقنا** – هذا في الخلق الثاني في أعلى تجلياته – **ثم صور خلقنا من طينةٍ مخزونةٍ مكنونةٍ من تحت العرش فاسكن ذلك النور فيه** – أسكن ذلك النور في العرش – **ثم صور خلقنا من طينةٍ مخزونةٍ مكنونةٍ من تحت العرش فاسكن ذلك النور فيه** – إما أسكن ذلك النور في العرش أو أسكن ذلك النور في تكلم الطينة فتجلى ذلك النور في تلكم الطينة – **فكُنا نحن خُلقنا نورانيين لم يجعل لأحدٍ في مثل الذي خلقنا منه نصيباً** – هم

العناصر عناصر الأبرار – **لم يجعل لأحدٍ في مثل الذي خلقنا منه نصيباً وخلق أرواح شيعتنا من أبداننا وأبدانهم من طينةٍ مخزونةٍ مكنونةٍ أسفل من ذلك الطينة، ولم يجعل الله لأحدٍ في مثل ذلك الذي خلقهم منه نصيباً إلا الأنبياء والمرسلين** – لأن الأنبياء والمرسلين هم من شيعتهم، ولكن الإمام هنا يذكر هذا الكلام لأجل أن يُفهم المُستمع فلربما يتصور المُستمع أن الأنبياء والمرسلين لهم مرتبة غير هذه المرتبة – **ولم يجعل الله لأحدٍ في مثل ذلك الذي خلقهم منه نصيباً إلا الأنبياء والمرسلين فلذلك صرنا نحنُ وهم الناس** – الناس نحنُ وشيعتنا مع الأنبياء فالأنبياء من شيعتهم – **وصار سائر الناس هَمَجاً في النار وإلى النار** – أعتقد أن هذه الروايات التي تلوتها على مسامعكم وهي بمجموعها من كتاب بصائر الدرجات لشيخنا الصفار رضوان الله تعالى عليه من أصحاب إمامنا الحسن العسكري عليه أفضل الصلاة والسلام، هذه الروايات بِمُجملها تتحدث بخطوط عامة عن معنى أنهم عناصر الأبرار ولكن في أفقٍ من الأفاق، وإن كانت الرواية الأخيرة أشارت إلى الخلق الأول وأن الله خلقهم من نور عظمتهِ ثم تحدّثت عن الطينة المكنونة المخزونة عند العرش وأن الله أودع ذلك النور في تلكم الطينة، ثم كان الذي كان من خلق الأنبياء والمُرسلين ومن خلق أشياعهم، ومن هنا كانت هذه الرابطة، لذلك من جملة المعاني التي نفهم بها معنى التشيع، صحيح في اللغة أن التشيع من المشايعة وهو المتابعة، لكن هناك معانٍ وإشارات وردت في الروايات أن التشيع وأن الشيعة إنما هم شيعة لأنهم خُلِقوا من شعاع أنوارهم، الشيعة من الشُعاع فكانوا شيعةً لأنهم خُلقوا من شعاع أنوارهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا هو معنى التعنصر، معنى أنهم صلوات الله عليهم عناصر الأبرار، فالأبرار أشياعهم، والأبرار أوليائهم من الأنبياء والمرسلين ومن أمثال سلمان رضوان الله تعالى عليهم.

روايةٌ في كتاب الكافي الشريف في الجزء الثاني من أصول الكافي، الرواية أحببت أن أوردها فلربما تشرح شيئاً من المعاني والمضامين التي مرت في الروايات السابقة التي تلوتها على مسامعكم من بصائر الدرجات – **الرواية: عن حمران بن أعين عن إمامنا الباقر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى حيثُ خلق الخلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أُجاجاً** – الماء الأُجاج الماء الذي يكون شديد الملوحة – **حيثُ خلق الخلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أُجاجاً فامتزج الماءان فأخذ طيناً من أديم الأرض** – الأديم هو وجه الأرض تراب الأرض – **فأخذ طيناً من أديم الأرض فَعَرَكَهُ عركاً شديداً** – الكلام هنا عن الماء العذب، عن الماء الأجاج، عن أديم الأرض، هذه كلها مصطلحات وعناوين ورموز تتحدث عن عناصر الخلقة، ليس الحديث هنا عن ماءٍ كهذا الماء الذي نشربه وكذلك بقية العناوين – **إن الله تبارك وتعالى حيثُ خلق الخلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أُجاجاً فامتزج الماءان فأخذ طيناً من أديم الأرض فَعَرَكَهُ**

عركاً شديداً فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون – يتحركون، كالذر، المراد من الذر ليس هذا المعنى اللغوي لكلمة الذر، وإنما المراد من الذر هو أساس الخلقة، العنصر الأول الذي تَكَوّن منه الخلق، لربما يكون قريباً من معنى الذرات في المصطلح الكيمائي في المصطلح الفيزيائي، إنما أقول قريباً بوجهٍ من الوجوه لأن الحديث هنا عن عوالم ما قبل المادة الطبيعية – **فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون إلى الجنة بسلام وقال لأصحاب الشمال إلى النار ولا أبالي ثم قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شَهِدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** – يعني هذه الشهادة وهذا الإقرار أُخِذ منهم حتى لا تقولوا – **أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال: ألست بربكم وأن هذا مُحَمَّدٌ رسولي وأن هذا عليٌّ أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى فثبتت لهم النبوة، وأخذ الميثاق على أولي العزم أنني ربكم ومُحَمَّدٌ رسولي وعليٌّ أمير المؤمنين وأوصيائه من بعده ولاة أمري وخُزَّان علمي وأن المهدي أنتصر به لديني وأُظهِرُ به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأُعْبَد به طوعاً وكُرهاً، قالوا: أقررنا يا ربي وشهدنا ولم يجحد آدم ولم يُقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي** – يعني أن العزم هو ولاية إمام زماننا، أولوا العزم هم الذين عزمت عقائدهم وقلوبهم ونواياهم على ولاية وطاعة إمام زماننا – **ولم يجحد آدم ولم يُقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي ولم يكن لآدم عزمٌ على الإقرار به وهو قولهُ عزَّ وجل:**

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ **قال: إنما هو فترك** – فنسي بمعنى فترك – **ثم أمر ناراً فَأُجِّجت** – الله أمر ناراً فأُجِّجت – **فقال لأصحاب الشمال** – والحديثُ ليس عن نارٍ حسيةٍ – **ثم أمر ناراً فَأُجِّجت فقال لأصحاب الشمال: أدخلوها فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: أدخلوها فدخلوها كانت عليهم برداً وسلاما، فقال أصحاب الشمال: يا ربي أقِلنا، فقال: قد أقلتكم أذهبوا فادخلوها فهابوها فثم ثبتت الطاعة والولاية والمعصية** – الرواية عميقة جداً وفيها الكثير من الرموز لكنها تكشف عن جانب من جوانب سر التكوين، وكيف كان الناس على أنحاء، وكيف كانت النبوات على الولاية، وما معنى أولوا العزم، وكل ذلك يتعاضد مع المعاني التي مرت علينا في الروايات التي تلوتها على مسامعكم من كتاب بصائر الدرجات.

هذا هو المعنى المُجمل أو المعنى العام الذي يمكن أن نستقيه من طائفةٍ من النصوص المعصومية التي تحدثنا عن معنى عناصر الأبرار، الأبرار هم أوليائهم والعناصر هي الأصول وأئمتنا آلُ مُحَمَّد هم عناصر الأبرار من الجهة التكوينية كما مرت النصوص، وهم عناصر الأبرار من الجهة الشرعية ومن الجهة المعنوية، وعنوان الأبرار في أصلهِ هو عنوانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهم أبرار الأبرار وهم

عناصرُ الأبرار، كلمة العناصر هنا أيضاً تأتي بمعنى الأبرار وفقاً لإطلاق هذا العنوان على ذواتهم المقدسة، فقد أطلق القرآن هذا العنوان عليهم، حينما نقرأ في الكتاب الكريم في سور الإنسان أو في سورة الدهر، حينما نقرأ هذه الآيات والسورة بكاملها في عليٍّ وآل عليّ لكنني ألتقط لقطات، أقف وقفات هنا وهناك، وهناك تلويحات وإشارات عميقة جداً في هذه السورة ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ هنا جاءت التسمية صريحةً واضحةً في من هم الأبرار ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أنا لا أريد أن أشرح الآيات، الكافور معروف معناه في لغة العرب، الكافور هو الشراب الرائق، الشراب الذي يكون مزاجهُ رائقاً، رائق يعني صافياً مع طيب العطر والرائحة، مع حلاوة المذاق، مع خفته، ومع ذلك فإن الكافور هنا ليس هو هذا، مجرد عنوان هنا ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ما فيها من شرابٍ هذا الشراب مزاجه كافور، بأي شيءٍ مُزج؟ الآية هكذا تقول ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ هذا الكأس فيه شراب ما هو هذا الشراب؟ الجواب: لا أدري، لكن هذا الشراب مُزِج بالكافور ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ما هو هذا الكافور؟ الجوابُ: لا أدري.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ هناك كأس مزاجهُ كافور وهناك عين يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً، هم يفجرونها، هنا في هذه السورة جاء الشراب في ثلاثة تجليات، في ثلاث تجليات جاء الشراب: الشراب الأول هو هذا ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ هذا شرابهم ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ هذه عينٌ يشرب منها عباد الله يفجرونها تفجيراً، هذه العين شرابها لعباد الله لأولياء هؤلاء الأبرار، أما الأبرار شرابهم خاص، يشربون من تلكم الكأس، يشربون من كأس وعادةً يقدم الكأس لمن؟ يقدم الكأس للضيف للمالك، لمالك الدار يأتي الخادم يأتي أهل البيت يقدمون له الكأس أو يُقدم صاحب الدار لضيفة الكأس ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا﴾ هذه العين هم يفجرونها تفجيراً ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ وهنا الذات والصفات والأفعال، الشراب هنا من هذا الكأس الذي مزاجهُ الكافور هو في مرحلة الأفعال هو في تجلي الأفعال هو في عالم الأفعال لذلك يفجرونها تفجيراً ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ طبعاً إذا أردنا أن نرجع إلى كتاب الكافي الشريف، هذا

هو الجزء الثاني من كتاب الكافي الشريف الرواية عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام، عن إمامنا موسى بن جعفر – **في قول الله عزَّ وجل:** ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ – ما هو هذا النذر؟ ماذا يقول إمامنا الكاظم – **قال:** ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ **الذي أخذ عليهم من ولايتنا** – فهل أُخِذت العهود بالولاية عليهم على نفس أصحاب الولاية؟ لذلك قلت بأن هذه العين يشرب بها عباد الله هم أشياعهم أوليائهم ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ آيات القرآن لها أفاق، هذه كلمة الإمام موسى بن جعفر، في قول الله عزَّ وجل ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ **قال:** ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ **الذي أخذ عليهم من ولايتنا** – النذر هنا في وجهٍ من وجوههِ ولاية عليٍّ وآل عليّ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ على حب من؟

صحيح قال المفسرون على حب الله ولكن بحسب القواعد في لغة العرب الضمير يعود على الأقرب فلا يوجد ذكرٌ لله هنا بحسب هذه القاعدة الضمير يعود على الأقرب ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ ويُطعمون الطعام على حب الطعام، الضمير يعود إلى الطعام لا يعني أن المعنى الأول ليس صحيحاً، الآيات لها أفاق متعددة ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ على حب الله إنما يُفهم التقدير هنا من جملة المضامين ومن جملة الموضوع، العرب في كثيرٍ من الأحيان تحذف الأسماء أو تحذف الكلمات التي حينما تُحذف يوجد هناك من الآثار المعنوية أو من الآثار اللفظية الذي يدل على حذفها ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ على حب الله، ولكن لو أردنا نحن والألفاظ الظاهرة فإن الضمير يعود على الأقرب، وأقرب الأسماء إلى الضمير هو الطعام في الآية ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ على حب الطعام، وفي ذلك إشارة إلى ما قاله سيد الأوصياء فإنه ما رأى شيئاً ألا ورأى الله قبله وبعده ومعه وفيه وتلك هي الإحاطة، هذه الآيات تتحدث عن معنى عميق ولكن كل ذلك في أفق الأفعال، ثم تأتي الآية فتقول ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ والنصوص واضحة في الكتاب وفي الروايات هم وجه الله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ أنا لا أنفي المعاني الظاهرية، إن قوماً آمنوا بالظاهر كما تقول الروايات وكفروا بالباطن فما كانوا على شيء، وإن قوماً كذلك كفروا بالظاهر وآمنوا بالباطن قادهم ذلك إلى الضلال ما كانوا على شيءٍ أيضاً، وإنما الإيمان إيمانٌ بظاهرٍ وباطن هكذا نخاطب الأئمة في زياراتهم: **إني مؤمنٌ بظاهركم وباطنكم بسركم وعلانيتكم**. هناك أفاق السر وهناك أفاق العلانية، وهناك أفاق الظاهر

وهناك أفاق الباطن ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ فوجه الله يُطعِمُ لوجه الله، ولا غرابة في ذلك، لو رجعنا إلى القرآن لوجدنا في سورة الأنفال الإشارة صريحةٌ جليةٌ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ إذاً من الذي قتلهم؟ في بدر من الذي خاض غمار الحرب في بدر؟ هل غيرُ عليٍّ! ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ إذاً من الذي قتلهم؟ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ من الذي قتلَ وقتلَ وقتلَ في بدر ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ﴾ الخطاب لنبينا حين أخذ حفنة من الحصباء حفنة من التراب ورماها في وجوههم وقال شاهت الوجوه الحادثة المعروفة ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ إذاً من الذي رمى؟ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ وما رميت هنا نفي، إذ رميت إثبات، ولكن الله رمى تحويل، وما رميت هنا الآية تنفي أنه رمى، إذ رميت تُثبِتُ أنه رمى، ثم تُحول المعنى يتجلى بشكل آخر ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ هذا عليٌّ هنا ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ هذا مُحَمَّدٌ هنا ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ فوجه الله يُطعِم لوجه الله، المعاني دقيقة جداً وأنا الحقيقة لا أريد أن أطيل الوقوف أكثر في هذه المطالب فقط أردت أن أشير إشارات سريعة لأنني إذا بقيتُ أتتبع هذه الإشارات في الكتاب الكريم فذلك سيحتاجُ إلى وقتٍ طويل. فهذا الشراب الأول ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ هذا في مرحلة الأفعال.

الشراب الثاني وهو في مرحلة الصفات ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ الزنجبيل أكثر نقاءً وأكثر رقة وصفاءً من الكافور ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ العين ليست لهم، لعباد الله يفجرونها تفجيراً، شربوا كأساً مزاجها كافورا، وشربوا كأساً مزاجها زنجبيلاً ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ هم يشربون، هنا ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ الأبرار يشربون في مرحلة الفعل هم يفعلون، الأفعال صادرة منهم، لكن في مرحلة الصفات هناك تجلي، تجلى الله فيهم ولذلك يُسقون فيها كأساً، في مرحلة الأفعال ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ هم يشربون، في مرحلة الصفات ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ هناك تجلي ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ هنا تأتي الآية فتقول ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ وهذا هو المعنى الذي أشارت إليه الآية ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ

﴿إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ المُلك العظيم ما هو؟ الإمامة الكونية إمامة الفيض وهذا واضح في روايات أهل البيت ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ فهنا في مرحلة تجلي الصفات في ذواتهم في حقائقهم جاء الحديث عن المُلك الكبير فلمَّا تجلت فيهم الأسماء الحسنى فاضت الأسماء الحسنى من مرآتهم الكبرى فكان المُلك الإلهي - **اللهم إني أسألك من مُلكِكَ بأفخرِهِ** - في دعاء البهاء - **من مُلكِكَ بأفخرِهِ** - هذا المُلك الأفخر هو هذا المُلك الكبير ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾. هنا تأتي المرتبة الثالثة وهو مرتبة ذواتهم لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ سقاهم ربهم، الآية السابقة يُسقون، هو أيضاً يُسقون من الذي يسقيهم؟

الله يسقيهم ولكن يُسقون لأنه تجلي في مرتبة من مراتب التجلي، أما حينما يكون الفناء هو بنفسه يأتي التعبير، التعبيرات تُقرِّب المعنى لا تتحدث عن الحقائق ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ شراب وطهور، والطهور هو الطاهر في نفسه المطَهِّرُ لغيرِهِ، فأيُّ شرابٍ هذا؟ وأيُّ طهورٍ هذا؟ لله أنتم يا آل مُحَمَّد ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ إلى أن تقول السورة ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ هذه تذكرة لنا ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ابحثوا عن سبيلٍ يوصلكم إلى ربكم ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ والسبيلُ نحن قد شخّصناه وعرفناه حينما نقرأ في دعاء الندبة الشريف ونحن نخاطب إمام زماننا: **أين السبيل بعد السبيل**. السبيل واضح لديكم، ثم تقول هذه الآية وهي الآية الثلاثون ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ في الروايات الشريفة هذه الآية تخاطب مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد الخطاب هنا لآل مُحَمَّد ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ﴾ يعني أن مشيئتهم مشيئة الله، وأن مشيئة الله مشيئتهم، وأنهم مظاهر مشيئة الله، وأن مشيئتهم متفرعة عن مشيئة الله ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ المشيئة أولاً لله، وهذا هو المعنى الذي جاء في الرواية في الكافي الشريف - **أول ما خلق الله المشيئة بنفسه** - فهذا هو ما يشاءه الله - **ثم خلق الأشياء بالمشيئة** - فذلك ما صدر عن المشيئة وهم المشيئة ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ هذا بعض شيءٍ عشناه في فناء هذه السورة الشريفة سورة الدهر، ربما لو سنحت لنا فرصة لشرحت وفسرت بقية الآيات في هذه السورة

الكريمة المباركة لكنني أكتفي بهذه الومضات باعتبار أن الكلام هنا في شرح وفي توضيح معاني الزيارة الجامعة الكبيرة، من كل ذلك يتضح لنا:

أولاً: أن الأبرار في أصل المعنى هم، كما في سورة الإنسان في سورة الدهر، وقد ظهرت لنا بعض التلويحات من خلال هذه الآيات، من خلال هذه الومضات، وأنهم هم عناصر الأبرار وتجلت لنا بعض شيءٍ من المعاني من خلال الروايات التي تلوتها على مسامعكم من بصائر الدرجات أو من الكافي الشريف. بعد ذلك تأتينا الزيارة فتقول: **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ**. الدعائم جمعٌ لدعامة والدعامة في الغالب تستعمل في البناء، ما يُدعم فيه البيت، والعرب قديماً كانوا يسكنون الخيام، العمود الكبير الذي يكون أساساً لثبات الخيمة هو هذا الدعامة، الدعامة ما يدعم به البناء، ما تُدعم به الخيمة، ما يُدعم به الفسطاط، الدعامة هي كل شيءٍ يتوقف على وجودها وجود شيءٍ آخر بحيث لا يمكن أن يثبت إلا بوجود هذه الدعامة – **وَدَعائِمَ الأَخْيارِ** – أما الأخيار فهي جمعٌ لخيِّر، والخيِّر هو الذي يؤمل صدور الخير ويؤمن صدور الشر منه هو هذا الخيِّر، الأخيار جمعٌ لخيِّر والخيِّر الذي تصفه الروايات بأنهُ مأمول الخير مأمون الشر، نتأمل خيره ونتوقع خيره ونستبعد صدور الشر منه فنأمن منه من هذه الجهة – **وَدَعائِمَ الأَخْيارِ** – الأخيار إنما قيل لهم أخيار لأنهم قد تلبسوا بصفة الخيرية، فحين قلنا الأخيار نظرنا إلى هذه الجهة إلى جهة الخيرية، حينما نصف موصوفاً بوصف ونوجه النظر إلى ذلك الوصف يعني أن المقصود الأول عندنا في الكلام هو هذه الجهة، فحين نقول الأخيار فإن النظر متوجه إلى الخيرية فيهم، إلى الخيرية الظاهرة الساطعة فيهم، فحين أقول – **وَدَعائِمَ الأَخْيارِ** – أي أن هذه الدعائم هي أساس الخيرية عند هؤلاء الأخيار، حين أقول أخيار فإن نظري مصبوبٌ إلى خيريتهم، وحين أقول دعائم الأخيار فإن نظري مصبوبٌ إلى أن هذه الدعائم هي أساس الخيرية، من دون هذه الدعائم فلا خيرية عند هؤلاء الأخيار، وأعتقد أن المعاني التي بينتها في معنى عناصر الأبرار تتعاضد مع هذا المعنى.

هم أصل البر في الأبرار وهم كذلك دعامة الخير في الأخيار، قد يتجلى هذا المعنى أكثر وأجلى وأبين حين أتصفح الروايات الشريفة والآيات الكريمة، إذا بقي عندنا وقت سأذهب إلى الكتاب الكريم وسأسلط الضوء على بعض الآيات، وإذا تم وقت البرنامج فإن شاء الله في وقتٍ آخر قد أتناول هذه المعاني والمضامين، بالنتيجة ستأتينا الكثير من المطالب والتي تتعاضد في المعنى مع هذه المعاني، لكنني أقوم بجولةٍ في أحاديث أهل البيت وهذا هو الجزء الرابع والعشرون من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي رحمة الله عليه، أقرأ على مسامعكم هذه الرواية:

الرواية: عن محمد بن سليمان الديلمي مولى أبي عبد الله، يعني كان من مواليه، يعني كان خادماً عنده –

عن محمد بن سليمان الديلمي مولى ابي عبد الله، عن سليمان قال: سألت أبا عبد الله – سليمان أبوه – **عن محمد بن سليمان الديلمي مولى أبي عبد الله عن سليمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى:** ﴿سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ – سدرة المنتهى التي جاء ذكرها في القرآن في سورة النجم أو التي جاء ذكرها في زيارات أهل البيت أو التي جاء ذكرها في الأحاديث المروية عن النبي الأعظم والأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بالنتيجة السؤال عن سدرة المنتهى – **قال الإمام: أصلها ثابت وفرعها في السماء، ثم قال: رسول الله صلى الله عليه وآله جذرها** – هو الأصل، هو الدعامة، هو الأساس – **فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله جذرها وعليٌّ عليه السلام ذروها** – يعني أعلاها – **وفاطمة فرعها والأئمة أغصانها** – المراد من ذروها أعلاها، يعني الساق الذي نبت على الجذر هذا المراد – **وفاطمة فرعها** – الفروع الخارجة من الساق – **والأئمة أغصانها** – الفروع التي خرجت من الفرع الكبير في هذه الشجرة – **وشيعتهم أوراقها** – الورق الذي يتفرع عن الأغصان، قال عن سدرة المنتهى – **أصلها ثابت وفرعها في السماء، ثم قال: رسول الله صلى الله عليه وآله جذرها وعليٌّ عليه السلام ذروها وفاطمة فرعها والأئمة أغصانها وشيعتهم أوراقها، قال: قلتُ: جُعلت فداك فما معنى المنتهى؟ قال: إليها والله انتهى الدين من لم يكن من الشجرة فليس بمؤمن وليس لنا شيعة** – لأن هذه الشجرة هي الدعامة، أصلها ثابت، فرعها في السماء، رسول الله جذرها، عليٌّ ساقها، فاطمة فرعها، الأئمة أغصانها، شيعتهم أوراقها، هذه الأوراق أين هي قائمة؟ أين ثابتة؟ دعامة هذه الأوراق على الأغصان، ودعامة الأغصان على الفروع الكبيرة، والفرع دعامتهُ على الساق، والساق دعامتهُ على الجذر – **جُعلت فداك فما معنى المنتهى؟ قال: إليها والله انتهى الدين من لم يكن من الشجرة فليس بمؤمن وليس لنا شيعة** – فالشجرة هي دعامة هذا الدين، هي دعامة هذه الخيرية، حين نقول أنهم دعائم الأخيار، هذه الخيرية بأي شيء تقومت؟ تقومت بهذه الرابطة المعنوية التي أساسها تلكم العناصر، تلكم الطينة المخزونة المكنونة عند العرش والتي كانت منها قلوب المحبين ولهذا السبب تحن إليهم، تحن وتعود وتريد الرجوع إليهم، وهذا هو معنى حب الوطن من الإيمان، هم وطننا الذي نَحِنُّ إليه، وهم أصلنا الذي نؤوب إليهم وإيابُ الخلق إليكم، إيابٌ إلى الوطن، إيابٌ إلى الأصل.

في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول من الأصول، نمر مروراً سريعاً على طائفةٍ من النصوص تصب في هذا المعنى، الرواية عن إمامنا الباقر صلوات الله عليه في قول الله عزَّ وجل: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ ماءً غدقاً، الماء الغيداق هو الماء الصافي، الماء الطاهر، الماء العذب المتفجر

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بها عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ كما مر علينا في سور الدهر ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بها عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ **يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي ولاية عليّ بن أبي طالب والأوصياء عليهم السلام.** ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ لأشربنا قلوبهم الإيمان – وهل الخيرية إلا هذا؟! حينما نقول الأخيار يعني أن الخيرية قد أشربت فيهم قد دخلت فيهم، قد تشربت في قلوبهم، فواحدهم مأمول الخير مأمون الشر – **لأشربنا قلوبهم الإيمان والطريقة** ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ **والطريقة هي ولاية عليّ بن أبي طالب والأوصياء** – هذه كلمات الباقر، وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، يكفينا ويكفيكم إن شاء الله تعالى، أحاديث آل مُحَمَّد تكفينا للدنيا وللآخرة.

رواية أخرى – **عن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفرٍ عليه السلام عن قول الله تعالى** – كله قرآنٌ وعترة، هنيئاً لنا ونحن نعيش أجواء القرآن والعترة، كله هذا قرآنٌ وعترة ما بين القرآن وما بين العترة، فهل هناك من موطنٍ آخر نبحث فيه عن الحق والهدى؟ الحق والهدى هنا ما بين القرآن والعترة، صموا أسماعكم عن كل صوتٍ لا يصدر من القرآن والعترة، صموا أسماعكم، طهّروا أسماعكم، طهروا قلوبكم بصوت القرآن والعترة، لأن صوت القرآن والعترة ولا أعني به صوتي أبداً لا والله وإنما أقصدُ صوت مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، أقصد صوت الله في القرآن، وأقصد صوت مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في حديثهم، هذا الصوت يحتاج إلى وعاءٍ طاهر، أنت حينما تأتي بماءٍ بلبنٍ كي تشربه عند إفطارك فهل تذهب إلى آنيةٍ وسخة أو آنية نجسة تضع فيها هذا الشراب؟! قطعاً تبحث عن إناء نظيف إناء طاهر تضع فيه الشراب، تضع فيه هذا العصير، هذا اللبن، هذا الماء، كي تسقي ظمأك عند وقت الإفطار تضع هذا الماء البارد في إناءٍ نظيف، ولربما تتأنق فتأتي بإناءٍ زجاجيٍ شفاف كي تلمح فيه صفاء الماء وقطع الثلج وهي تتحرك فيه لتتلمس جمال الماء وعذوبة الماء في شكله قبل أن تتناوله، كما يقول الصاحب بن عباد رضوان الله تعالى عليه من شعراء الشيعة المبدعين:

قعقعة الثلج بِماءٍ عذبِ تُخرج الهم من أقصى القلبِ

يعني حين ترى الثلج في هذا الماء فأنت تحتاج إلى إناءٍ، وأنتم في هذا الجو الحار يا شيعة عليٍّ في بلاد الرافدين، في هذا الجو الحار الخانق تبحثون عن ماءٍ عذب في إناءٍ عذب، في إناءٍ نظيف، في إناءٍ طاهر، وهذا الحديث حديث آل مُحَمَّد هو هذا الماء العذب يحتاج إلى أسماع نظيفة، يحتاج إلى قلوب نظيفة.

عن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفرٍ عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ – واحدة فقط، أنا أعظكم بشيءٍ واحد فيه نجاتكم، فيه سلامتكم، فيه مستقبلكم، فيه كل خيرٍ لكم، لعوائلكم لأولادكم ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ فقط واحدة، ماذا يقول باقر العترة؟ – **فقال: إنما أعظكم بولاية عليٍّ هي الواحدة التي قال الله تبارك وتعالى:** ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ – لأنها هي الدعامة، دعامة الخيمة واحدة، دعامة البيت واحدة، هي دعامة الحقيقة – ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ **قال: إنما أعظكم بولاية عليٍّ هي الواحدة** – هي الواحدة التي فيها نجاتنا لا في غيرها ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ قال ولاية عليٍّ هي الواحدة، هي هذه الدعامة، الخيرية من هنا تأتي، الخيرية لن تتدعم إلا بهذه الواحدة، الروايات والأحاديثُ كثيرةٌ جداً وإني والله أقتطف منها نماذج لأنني إذا أردت أن أفيَ الموضوع بكاملهِ فلابد أن اقرأ كل هذه الصفحات، لكنني أقتطف نماذج من هنا ومن هناك، وفي بعض الأحيان تصيبني الحيرة لكثرة النصوص، فأيُّ النصوص أختار! النصوص كثيرة والكثير منها يحتوي على عظيم المعاني، وإني والله يؤذيني أن يكون من شيعة أهل البيت أن يعيش يعيش وهو لم يكن قد سمع بكل هذه المعاني وبكل هذه الحقائق، وربما يموت ويذهب وهو خالي الوفاض من كل هذه الحقائق.

الرواية **عن صادق العترة في قولهِ عزَّ وجل:** ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ – هناك عقبة هذه العقبة إذا تجاوزتها قد فككت رقبتك ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ فك رقبة من أي شيء؟ فك رقبة من الضلال، فك رقبة من الخسران، فك الرقبة هو عتق الرقبة، هذه العقبة إذا تجاوزتها فقد تخلصت من عبودية الهوى من عبودية الدنيا من عبودية الطواغيت ولكن إذا كانت بمعناها الحقيقي – **في قولهِ عزَّ وجل:** ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ – إمامنا الصادق يقول – **يعني بقولهِ** – الله يعني بقوله: فك رقبة – **ولاية أمير المؤمنين فإن ذلك فك رقبة** – هذه العقبة إذا ما تجاوزناها فقد فُكّت الرقاب، ولا تُفَكُّ الرقاب حقيقةً إلا بولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، ونحن في هذه الأيام في أيام شهر رمضان نَلِحُّ في الأدعية على أن تُفَكَّ الرقاب، أن تُفَكَّ رقابنا من نار جهنم، شهر رمضان الشهر الذي تُفَكُّ فيه الرقاب، فَكُّ الرقاب الحقيقي في التمسك بعليٍّ وآل علي، فَكُّ الرقاب الحقيقي في أن نعرف مقامات عليٍّ وآل علي.

الرواية عن صادق العترة أيضاً في قولهِ تعالى: ﴿بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أيُّ بشارةٍ

هذه؟ ما أعظم هذه البشارة: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ماذا يقول إمامك الصادق – **قال: ولاية أمير المؤمنين صلوات الله عليه** – من هنا تعرفون لماذا هذه الحملات الكبيرة والكثيرة، ولِمَا هذا التشويه بكتاب الكافي الشريف، ودوماً يرددون بأن الكافي فيه غثٌ وسمين، هذا هو الغث الذي يقصدونه، الغث الذي يقصدونه هو هذا، إذا كان هو هذا الغث فوالله ما أحلى هذا الغث، فليأخذوا هم لهم السمين نحن لا نريد السمين، إذا كان هو هذا الغث الذي يقصدونه فوالله هو هذا الغث الذي نحن لا نريد سواه.

وأما عن هوى ليلى وتركي زيارتـــها فأنـي لا أتـــوبُ

﴿بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ **قال: ولاية أمير المؤمنين.**

وروايةٌ أخرى: **عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزَّ وجل:**

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ **قال: صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق** – بولاية عليٍّ وآل عليّ – ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ **قال: صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق** – صلوات الله عليكم سادتي، ورضوان الله تعالى عليك شيخنا أبا جعفر الكليني، رضوان الله تعالى عليك ونَوَّر وجهك بولائك لعليٍّ وآل عليّ وصَبَّ الله تعالى شآبيب رضوانهِ ورحمتهِ وقدسه على ثراك الطاهر يا أبا جعفر، الحديث طويلٌ وطويل وطويل ومهما طولنا وعرضنا فإننا لا زلنا على الشواطئ لأن البحر هذا الذي نريد أن نخوض فيه هذا بحر علي ومن ذا الذي يقدر على أن يخوض في بحر علي.

نماذج من روايات وأحاديث أخرى توضح لنا شيئاً من المعنى، هذا هو الجزء الثالث والعشرون من بحار الأنوار الشريف، والرواية عن سعد بن طريف – **عن أبي جعفرٍ صلوات الله عليه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط** – لأي شيءٍ؟ حتى لا يجوز الأشرار، فقط الأخيار، نحن بصدد بيان معنى ودعائم الأخيار، لماذا يقعد مُحَمَّدٌ وعليٌّ وجبرئيل على الصراط؟ كي لا يجوز الأشرار فقط الأخيار، فهم دعائم الأخيار في كل طبقات الوجود – **يا عليّ إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط ولم يَجُز أحد** – لا يجوز أحد، لا يعبر – **ولم يَجُز أحد إلا من كان معه كتابٌ فيه براءةٌ بولايتك** – صك، لابد من وجود صك، هذه هي بوليصة التأمين، فلنؤمن على ديننا، ولنؤمن على حياتنا وعلى مستقبلنا – **ولم يَجُز أحد إلا من كان معه كتابٌ فيه براءة بولايتك** – صك الولاية العلوية.

الرواية: عن مُحمَّد بن المثنى الأزدي أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: **نحن السبب بينكم وبين الله عزَّ وجل** – والسبب أيضاً تعطي معنى الدعامة – **نحن السبب بينكم وبين الله عزَّ وجل.**

وروايةٌ: عن عبد الله بن سليمان قال: كنت عند أبي جعفرٍ صلوات الله عليه فقال كلاماً – إلى أن ذكر هذا الكلام أنا أقتطف هذه السطور، كان سؤال عن الحسن البصري – **فالإمام قال: فليذهب الحسن** – يعني الحسن البصري – **فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا** – الإمام يشير إلى هذا البيت إلى بيت مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **فليذهب الحسن يميناً وشمالاً** – في رواياتٍ أخرى صرحت الرواية بأن الإمام أشار إلى صدرهِ – **فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا** – إلا في صدور الباقر والصادق – **وكان عليه السلام يقول: محنة الناس علينا عظيمة إن دعوناهم لم يجيبونا وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا** – لأنهُ لا توجد دعامة للأخيار إلا هم – **محنة الناس علينا عظيمة** – في رواية أخرى بلية الناس – **إن دعوناهم لم يجيبونا وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا.**

عن بُريدٍ قال: سمعت أبا جعفرٍ عليه السلام يقول: **بِنا عُبِد الله وبِنا عُرِف الله وبِنا وُحّد الله ومُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله حجاب الله** – حجاب الله يعني فيما بين الخلق وبين الله.

عن الثمالي عن ابي جعفرٍ مُحَمَّد بن علي بن الحسين عليهم السلام قال: **من دعا الله بنا أفلح ومن دعاه بغيرنا هلك واستهلك** – هم الدعامة، هم السبب، هم الواسطة، هم الوسيلة – **من دعا الله بنا أفلح ومن دعاه بغيرنا هلك واستهلك.**

هذه الرواية عن أبي ذرٍ الغفاري رضوان الله تعالى عليه، عن رافع مولى أبي ذر، مولى يعني خادم كان خادماً لأبي ذر – **عن رافع مولى أبي ذر قال: رأيت أبا ذر رحمهُ الله أخذ بحلقة باب الكعبة وهو يقول: من عرفني فقد عرفني أنا جندب الغفاري ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قاتلني في الأولى** – قاتلني في الأولى يعني في أيام رسول الله – **وقاتل أهل بيتي في الثانية** – يعني في زمان سيد الأوصياء وفي زمان الإمام الحسن – **حَشَرَهُ الله في الثالثة** – يعني في زمان إمام زماننا الحجة بن الحسن – **مع الدجال** – أبو ذر الغفاري يقول – **سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قاتلني في الأولى** – في زمان النبي – **وقاتل أهل بيتي في الثانية** – في زمان عليٍّ وسبط رسول الله الإمام الحسن – **وقاتل أهل بيتي في الثانية حَشَرَهُ الله في الثالثة** – في أيام إمام زماننا – **مع الدجال، إنما مَثَلُ أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوحٍ من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثلُ بابِ حِطّة من دخله نجا ومن لم يدخله هلك** – وأعتقد أن هذا الحديث وأمثاله معروفٌ

وواضح وصريح في الدلالة والمعنى.

هناك رواية ينقلها شيخنا الطوسي بإسنادهِ عن الإمام الصادق – **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا ميزان العلم وعليٌّ كفتاه والحسن والحسين حباله وفاطمة عُلاقته والأئمة من بعدهم يزنون المُحبين والمبغضين الناصبين الذين عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين** – والأئمة من بعدهم يزنون المحبين بهذا الميزان – **قال: أنا ميزان العلم وعليٌّ كفتاه والحسن والحسين حباله وفاطمة عُلاقته** – العُلاقة هي التي تكون السبب في توازن الميزان – **والأئمة من بعدهم يزنون المحبين والمبغضين الناصبين الذين عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين** – الروايات كثيرة، وهذه آخر رواية أتلوها على مسامعكم وهي مسك الختام وهي تجمعُ بين المعنيين بين معنى عناصر الأبرار ودعائم الأخيار، فنحن في هذه الحلقة قد تحدثنا في معنى عناصر الأبرار ودعائم الأخيار.

الرواية: عن سعيد بن جبير **عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن ابي طالب: يا عليّ أنا مدينة الحكمة وأنت بابها ولن تؤتى المدينة إلا من قِبَل الباب، وكَذِب من زَعَمَ أنه يحبني ويبغضك لأنك منّي وأنا منك، لحمك من لحمي ودمك من دمي وروحك من روحي وسريرتك سريرتي وعلانيتك علانيتي** – وهذا هو العنصر، هذا هو الأصل الصافي الذي لا تشوبه شائبة، العنصر هو الأصل البسيط، لماذا لا تشوبه شائبة؟ ليس مركباً – **لحمك من لحمي، دمك من دمي، روحك من روحي، سريرتك سريرتي وعلانيتك علانيتي وأنت إمام أُمَّتي وخليفتي عليها بعدي سَعد من أطاعك** – هنا دعامتهم للأخيار – **سعد من أطاعك وشقي من عصاك وربح من تولاك وخسر من عاداك وفاز من لزمك وهلك من فارقك مَثَلُك ومَثَلُ الأئمة من ولدك بعدي مَثَلُ سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثلكم مَثل النجوم كلمَّا غاب نجمٌ طلع نجمٌ إلى يوم القيامة** – الرواية واضحة والمعاني صريحة وجلية وبينة.

لا المعاني تنتهي ولا أحاديث أهل البيت تنتهي ولا مقامات أهل البيت تنتهي.

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلمِ، وَمُنْتَهَى الحلمِ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ.

وأَنْتُمْ يَا شِيعَتَهُم السَّلامُ عَلَيْكُمْ أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة الثالثة عشر

معنى وَسَاسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ

كلامنا متواصلٌ في بيان معاني الزيارة الجامعة الكبيرة، أقول أسعد الله أوقاتكم وتقبل الله أعمالكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصل بنا الكلام في هذه الزيارة الشريفة إلى قولهِ عليه السلام: **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ.** وهذان العنوان متعانقان أيضاً كما مر في العناوين السابقة، مرَّ علينا الكلام مثلاً في قول الزيارة: **وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ.** كل هذه العناوين كانت متعانقة فيما بينها، هذان العنوانان متعانقان أيضاً فيما بينهما – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – ما المراد من الساسة؟

في لغة العرب الساسة جمعٌ لسائس والسائس قد تأتي بمعنى القائد وهنا لا يُقصد هذا المعنى فقد مرَّ علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَقادَةَ الأُمَمِ** – والسائس أيضاً تأتي بمعنى المُدَبِّر المُرَبّي، والمراد من الساسة هنا هو هذا المعنى – **وَساسَةَ الْعِبادِ** – هم المدبرون لأمر العباد المربون لهم، الراعون للعباد وأمورهم، العباد جمعٌ لعبد والعبد هو المملوك الذي يملكه سيده، وكما تقول الروايات العبد وما في يده لمولاه – **وَساسَةَ الْعِبادِ** – المُشار هنا في هذا العنوان من الزيارة الجامعة الكبيرة إلى سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في العباد، وتدبير أمور العباد إنَّما ذكر بهذا العنوان في الزيارة بعنوان سياسة العباد فالعباد هم المظهر الأجلى من المخلوقات التي يسوسها مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، وسياسة مُحَمَّدٍ وآلُ مُحَمَّد للعباد لها مظاهر ومراتب وهذا ما سأأتي على بيانه.

نلقي نظرةً إجمالية على بعضٍ من آيات الكتاب الكريم فنذهب إلى سورة القلم، في الآية الرابعة الخطاب للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أنا لست هنا في مقام شرح هذه العبارة، هذه الكلمة التي لا تستطيع لغة العرب بكل ما فيها أن تشرح معناها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وإنَّما نفهم من معانيها ما يرشح في فناء الآيات، الآية هنا تتحدث عن خُلُقِ رسول الله صلى الله عليه وآله، والمراد من الخُلُق الجنبة النفسية والجنبة العملية التي تكون جهة ارتباطه بالمخلوقات، الأخلاق ما هي؟ الأخلاق هي التصرفات، التصرفات الفعلية والقولية التي تنشأ من حالةٍ نفسية، الإنسان حينما يصدق في

قولهِ فهو يتصرف بتصرف فعلي وقولي لكن هذا الصدق منشئه من أين أتى؟ منشأ الصدق في نيته الداخلية، هو صادقٌ فيما بينه وبين نفسه، في داخله صدق هذا الصدق يُترجمُ إلى قولٍ وإلى فعلٍ في الحياة، فالأخلاق هي جنبة قولية وفعلية منشئها ومردها إلى جذورٍ نفسية إلى جذورٍ معنوية في باطن خلجات النفس البشرية، وهي الجهة التي يتعامل بها الإنسان أو يرتبط بها الإنسان مع غيره، خُلُق الإنسان ليس فقط مع الإنسان حتى مع الحيوان حتى مع الجماد، كيف يتعامل الإنسان مع الجماد، كيف يتعامل الإنسان مع البيئة التي يعيش فيها، كيف يتعامل الإنسان حتى مع الحيوانات، لكن المنظور بالدرجة الأولى هو تعامل الإنسان مع الإنسان، كيف يتعامل الإنسان مع الله وهذا أيضاً من مراتب خُلُق الإنسان في التعامل مع الله.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ هذا الخُلُق العظيم بالدرجة الأولى مع الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى يصف نبيه بأنه على خلق عظيم حين يتعامل مع الله، فالنبي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله رسول والرسول له جهة يتعامل بها مع مُرسله، وله جهة يتعامل بها مع من أُرسِلَ إليه، وله جهة يتعامل بها مع نفس الرسالة، هناك مُرسِلٌ وهو الله وهناك رسالة يحملها الرسول وهناك جهة أرسل إليها الرسول، حينما يخاطبه الباري ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ هذا الخُلُق العظيم مع الله مع الرسالة مع الذين أُرسل إليهم، وهذه هي مادة السياسة، هذه هي المادة التي يسوس مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ بها العباد ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ الخُلُق العظيم هو مادة هذه السياسة، سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد مادتها وطينتها وجوهرها هو هذا المعنى الذي جاء في هذه الآية ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وهذا المعنى لم يتجلى لنا ولم يتجلى لكل الكائنات بتمام حقيقتهِ، لماذا؟ لأن كل الكائنات دونهم في الفضل، وإنَّما هم يتعاملون مع الكائنات بحسب حاجة الكائنات، يتعاملون مع العباد بحسب حاجة العباد، هذه الآية حاكمةٌ على كل المعاني التي جاءت في الكتاب الكريم تحدثنا عن أخلاق رسول الله، هذه الآية هي الآية الحاكمة، هي الآية العليا التي لها اليد المبسوطة على سائر الآيات الأخرى، مثلاً ما جاء في سورة آل عمران، الآية التاسعة والخمسون بعد المئة وهي تخاطب النبي الأعظم ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ كل هذه مظاهر سياسة النبي مع أُمَّته مع أصحابه مع العباد، ولكن هذا المعنى هو داخلٌ في تلكم الآية، الآية معناها أوسع، الآية في سورة القلم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ هذه هي الآية الحاكمة،

كل هذه المعاني داخلة في جوف تلكم الآية ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ الفظ هو القاسي الشديد، الفظ هو الجافي ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فاعفُ عنهم، استغفر لهم، شاروهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل، وما كنت فظاً وما كنت غليظ القلب وإنَّما كنت معهم في غاية الرحمة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ كنت ليناً وكلمة النبي الأعظم تصك مسامعنا دائماً تتردد في أذاننا دائماً: **ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه.** الرفق هو اللين، هذا شعارٌ من أهم شعارات رسول الله صلى الله عليه وآله في سياسته للعباد – **ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه** – إلا زانهُ يعني إلا زَيَّنَهُ، جَمَّلَهُ، حَسَّنَهُ.

كذلك ما يأتينا في الآية الثامنة والعشرين بعد المئة من سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ما عَنِّتم ما أصابكم من العَنَت وهو الشدة والتعب والكد والألم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هذه مصاديق، مظاهر، صور من سياسة النبي الأعظم وهي سياسة عليٍّ وآل عليّ، هذه هي سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لكنها تَمتُ إلى تلكم الآية الكبيرة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه الأوصاف إن كان في آية سورة آل عمران ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعزُّ عليه أن يصيبكم الألم، أن يصيبكم الأذى ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ الحريص الذي يكون فِكرهُ مشغولاً بكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا الحرص وهذه الرأفة وهذه الرحمة كلها من مصاديق الخُلُق العظيم، لكن تبقى آية سورة القلم هي الآية الحاكمة والآية الوسيعة. كما قلت في أول حديثي بأن اللغة العربية بكل اشتقاقاتها وبكل قواميسها، وبكل بلغائها لن تستطيع أن تتحدث عن جانبٍ يسير من تلكم الآية، الله هو الذي يصفها بالعظمة، الله سبحانه وتعالى هو الذي وصف هذا الخلق بالعظمة، الشيء الذي يصفه الله سبحانه وتعالى بالعظمة هل تستطيع اللغات والألسنة وهل يستطيع مثلي وأمثالي أن يكشفوا عن حقائق هذه العظمة؟!

وأيضاً ما جاء في سورة الجمعة في الآية الثانية ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هذه صورة أخرى، مظهر آخر من سياسة العباد، من السياسة المُحَمَّدية، هذه هي السياسة المُحَمَّدية يا سائلاً عن سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هذه سياسة عليٍّ وآل عليّ، ليست السياسة الأكاذيب والاحتيال، ليست السياسة التزوير، ليست السياسة الوعود الكاذبة، ليست السياسة أن تجمع الأموال وأن تكدس الذهب والفضة، السياسة هي هذه سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ كل هذه مظاهر ومصاديق لهذه الآية في سورة القلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا الخُلُق العظيم هو مادة السياسة، مادة السياسة هذه هي سياسة الخلق طراً، وإنَّما جاءت الزيارة تتحدث عن العباد عن البشرِ بنحوٍ خاص، وإن كان الملائكة من العباد والجان من العباد لكن المتبادر إلى الأذهان دائماً والسبب في ذلك أن الإنسان ناظرٌ إلى نفسه فقط مشغولٌ بحاله وهذا نتيجة ضعفه ونتيجة جهلهِ ونتيجة محدودية عقلهِ ونتيجة ضيق الأفق الذي يعيش فيه، الإنسان دائماً مشدودٌ إلى نفسهِ كما قال صلى الله عليه وآله: **صاحب الحاجة أعمى لا ينظر إلا إلى حاجته**. والإنسان حاجتهُ نفسه، يسعى دائماً ويدور حول نفسه فلذلك لا يرى إلا نفسه، فهو أعمى، أعمى عن الحقائق لا يرى إلا نفسه، ولو أدعى بعضنا بأنه يرى شيئاً خارج نفسه فإنَّما يرى ذلك على سبيب العشو فهو يعشو، يراها أشباحاً من بعيد لأننا ننظر إلى الدين من خلال أنفسنا، وحتى ننظر إلى الله من خلال أنفسنا، وننظر إلى كل شيءٍ من خلال أنفسنا، قطعاً هذا لا يتعارض مع المعنى الكبير الذي أشارت إليه الأحاديث من عرف نفسه فقد عرف ربه أنا لا أتحدث عن هذه الجهة هذه الجهة الواسعة في النفس الإنسانية

أتزعم أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

من عرف نفسه فقد عرف ربه، تلك الجهة الأوسع الحديث ليس هنا عن الجهة الأوسع، حديثي عن الجهة الضيقة، عن الجهة التي نحبس أنفسنا دائماً فيها، الدنيا سجن المؤمن، ودنيانا أنفسنا، هذا الحبس المظلم الذي نعيش فيه فلا ننظر إلى الأشياء إلا من خلال أنفسنا، الناظور الذين ننظر فيه إلى الأشياء حتى إلى الله سبحانه وتعالى من خلال أنفسنا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه مادة السياسة ولذلك هذا الخُلُق العظيم يتناسب مع الآية الكريمة ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ هذا المُلك العظيم يحتاج إلى سياسة عظيمة ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ المُلك

العظيم يحتاج إلى سياسة عظيمة، والسياسة العظيمة أين هي مادتها؟ مادتها في قول الله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه هي مادة السياسة العظمى والسياسة العظمى هي سياسة ذلك المُلك العظيم، الله سبحانه وتعالى آتى آل إبراهيم آتاهم الكتاب والحكمة ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ هذا المُلك العظيم ليس مقصوراً على نفسي وعلى أسرتي وعلى أقربائي وعلى شؤوني وعلى جمعٍ محدودٍ من البشر، ليس محدوداً على بلدٍ من البلدان أو على مدينة من المدن، هذا المُلك العظيم ليس محصوراً بشيعة أو بسنة أو بيهود أو نصارى أو بوذيين، ليس محصوراً بيابسة وبماء، بشمسٍ أو بقمر، هذا هو المُلك العظيم، الله سبحانه وتعالى يصفُ هذا المُلك بالمُلك العظيم في الوقت الذي الدنيا بكلها وبكل ما فيها وبكل أسرارها وبكل كنوزها المودعة في باطن الأرض وفي باطن البحار فإنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، أيُّ مُلك عظيم إذاً؟!

هذا هو الملك الواسع الذي لا حدود له، والذي نسأل الله سبحانه وتعالى به في دعاء البهاء: **اللَّهُمَّ إني أسألك من مُلكك بأفخرهِ** ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ هذا المُلك الأفخر، هذا المُلك الأعظم يحتاج إلى سياسةٍ أعظم، السياسة الأعظم أين هي؟ السياسة الأعظم عند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ومادتها في هذه الآية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وأنا قلت لا تستطيع عربيتي ولا عربية غيري ولا قواميس اللغة لا في لغة العرب ولا في غيرها أن تتحدث عن جانبٍ يكشف عن نزرٍ يسير من معنى قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ كل الذي أفهمه بكل قدرة الخيال التي أملكها وبكل قدرات التصور التي أملكها وبما عندي من معلومات قليلة في اللغة في أوفي غيرها بكل الإشارات الذهنية، بكل الخطرات القلبية، بكل الخيالات، كل هذه المعاني أجمعها جميعاً وأركمها البعض فوق البعض الآخر كي أتصور شيئاً من بعيدٍ أن هذه الآية تتحدث عن شيءٍ عظيم ما هو؟ لا أدري، وغاية الإدراك أن أدري بأني لست أدري. فالحديث هنا عن مُحَمَّد، لأن هذا الخُلُق كما قلت قبل قليل الخُلُق في الإنسان العادي تصرف قولي وفعلي جذره في القلب، الخُلُق هنا جذرهُ في قلب مُحَمَّد فمن ذا الذي يستطيع أن يعرف ماذا يدور في قلب مُحَمَّد، ثم من ذا الذي يستطيع أن يعرف سعة قلب مُحَمَّد، ذلك القلب الذي قال عنه سبحانه وتعالى: **ما وسعتني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن**. أتظن أن هذا القلب هو قلبي وقلبك، قلوبنا هذه التي مُلئت بالذنوب والمعاصي، قلوبنا هذه التي أظلمت بالجهل والغفلة، هي هذه القلوب التي وسعت الله؟!

ما وسعتني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن. الكلمة التي تشرح المعنى صريحاً في الأحاديث الشريفة: **قلب المؤمن عرش الرحمن**. يعني أن الرحمن استوى على هذا القلب، الرحمن أليس

هو المستوي على العرش فقلب المؤمن عرش الرحمن، فالرحمن هو المستوي على هذا القلب ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ هذه الرحمة هي صورة، صورة من استواء الرحمانية على قلب مُحَمَّد، بل الرحمانية تتجلى من قلب مُحَمَّد، وقلب مُحَمَّد مرآة الرحمة والرحمانية، وذلك شيءٌ من معنى سياسة العباد، المعاني في هذا العنوان وفي العناوين الأخرى التي مرت علينا تتعانق وتتسق في كثيرٍ من جهاتها.

وَساسَةَ الْعِبادِ، لا زال الكلام في هذه الفقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة، لنبين معنى العباد ثم نعود إلى سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، العباد جمع لعبد ونحن عبادٌ لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ونحن عبيدٌ لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والعبودية لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد على مظاهر، هناك عبودية الطاعة، عبودية الطاعة التي جاء ذكرها في هذه الرواية في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، **عن مُحمَّدٍ بن زيدٍ الطبري قال: كنتُ قائماً على رأس الرضا عليه السلام بخراسان وعنده عدةٌ من بني هاشم** – من بني هاشم حينما تستعمل هذه العبارة وفي جو خراسان وعند الإمام الرضا في الغالب يُراد منهم العباسيون – **وعنده عدةٌ من بني هاشم وفيهم إسحاقُ بن موسى بن عيسى العباسي فقال:** – الإمام يخاطب إسحاق العباسي هذا – **فقال: يا إسحاق بلغني أن الناس يقولون إنا نزعم أن الناس عبيدٌ لنا، لا وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله، ما قلتهُ قط ولا سمعتهُ من آبائي قاله ولا بلغني عن أحدٍ من آبائي قاله** – يعني أن الأئمة ما قالوا هذه الكلمة الناس عبيدٌ لنا – **ولكني أقول الناس عبيدٌ لنا في الطاعة موالٍ لنا في الدين فليبلغ الشاهد الغائب** – الذين يعرفون لحن أهل البيت ويعرفون الطريقة التي يتكلم بها الأئمة صلوات الله عليهم فإن هذه الرواية تشوبها التقية هي في جوٍ من التقية، والتقية على مراتب، الإمام هنا بيَّن جانباً وسكت عن جانبٍ آخر، الإمام هنا أثبت لنا عبودية الطاعة – **ولكني أقول الناس عبيدٌ لنا في الطاعة** – لكن العبودية لأهل البيت لا تقفُ عند هذا المعنى، الرواية هنا في الكافي الشريف ثبتت هذا المعنى، ثبتت أن الناس هم عبيد لأهل البيت في الطاعة، هم عبيد طاعة.

ولكننا مثلاً نقرأ في الاستئذان لزيارة الأئمة صلوات الله عليهم لزيارة النبي والأئمة، ماذا نقرأ في الاستئذان، هذا الاستئذان موجود في مفاتيح الجنان وها هو بين يدي صفحة 313: **اللهم فأذن لنا بدخول هذه العرصات** – أيّ عرصات؟ المراد المشاهد المُشَرَّفة المُكرَّمة ونحن نقف على أبوابهم فنقول – **اللهم فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسماوات** – هناك استعبادٌ – **استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسماوات وأرسل دموعنا بخشوع المهابة وذلل جوارحنا** – بأي شيءٍ؟ – **بذل العبودية وفرض الطاعة** – فهناك عبودية وهناك فرض الطاعة، فرض الطاعة هي عبودية

الطاعة التي أشار إليها إمامنا الرضا في الحديث الذي قرأتهُ على مسامعكم من كتاب الكافي الشريف، معي مع هذا النص المشحون بالمعاني – **فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسماوات وأرسل دموعنا بخشوع المهابة وذلل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة حتى نُقِرَّ بما يجب لهم من الأوصاف ونعترف بأنهم شفعاء الخلائق** – إلى آخر الاستئذان – **حتى نُقِرَّ بما يجب لهم من الأوصاف** – ما هي هذه الأوصاف التي نُقِرُّ بها ونحن نطلب من الله أن يرسل دموعنا بخشوع المهابة وأن يذلل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة، هذه الأوصاف أننا نصفهم هم السادة ونحن العبيد، ما هي هذه الأوصاف التي نُقر بها؟ هم الموالي ونحن عبيدهم، رحمة الله على الشيخ الحر العاملي وهو يخاطب سيد الأوصياء:

وإني له عبـدٌ وعبـدٌ لعبدهِ وحاشاه أن ينسى غداً عبدهُ الحرَ

موطن الشاهد – **وذلل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة** – الاستئذان هنا يتحدث عن فرض الطاعة وهو عبودية الطاعة، وأما العبودية ما هي؟ فهي المعنى الأوسع، في زيارة سيد الشهداء، في زيارة أبي عبد الله الحسين والزيارة هذه مروية عن إمامنا الصادق وهي من أجمل الزيارات الحسينية، هذه هي الزيارة السابعة في الزيارات المطلقة من زيارات الحسين عليه السلام في مفاتيح الجنان، ماذا نخاطب سيد الشهداء ونحن نقف في حضرتهِ، وأنا أخاطبهُ من هنا، أخاطبه من هذا المكان البعيد، نحن هكذا نعتقد في زيارات أئمتنا في الاستئذان حينما نستأذن لنزور ماذا نقول في الاستئذان؟ نقول – **اللَّهُمَّ إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبتهِ كما أعتقدها في حضرتهِ** – فآلُ مُحَمَّد غائبون شاهدون، شاهدون غائبون، وما غاب آلُ مُحَمَّد – **اللَّهُمَّ إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبتهِ كما أعتقدها في حضرتهِ** – هذا في الاستئذان موجود في المفاتيح صفحة: 311 – **وأعلم أن رسولك وخلفائك عليهم السلام أحياءٌ عندك يرزقون يرون مقامي ويسمعون كلامي ويردون سلامي وأنك حجبت عن سمعي كلامهم** – سمعي هو المحجوب، سمعي هو الغائب، هم ليسوا بغائبين أنا الغائب – **وأنك حجبت عن سمعي كلامهم** – ولكن – **وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم** – وتلك منّةٌ كيف أشكرها يا ربي – **وأنك حجبت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم** – وكلما قلت لك الحمد يجب عليَّ أن أقول لك الحمد، فكيف أشكرك يا ربي، فأنا أخاطب الحسين كما تخاطبهُ أنت أيها الزائرُ – **السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله** – قلت هذا في الزيارة السابعة المطلقة عن صادق الآل – **السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين** – يا حسين – **عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك** – لستُ أنا عبداً وحدي أنا عبدٌ وأبي عبدٌ وجدي

عبدٌ وأمي أَمَةٌ وكلنا عبيدٌ لك يا ابن رسول الله – **عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك المُقرُّ بالرق** – هذه عبودية الرق، ذلل جوارحنا بأي شيءٍ؟ مرَّ علينا: بذل العبودية وفرض الطاعة، هذه العبودية هنا شُخِّصت ومُيِّزت في زيارة الحسين – **عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك المُقرُّ بالرق والتارك للخلاف عليكم والموالي لوليكم والمُعادي لعدوكم قصد حرمك** – ناداك من هذا المكان البعيد وأنا أعلم علم اليقين أن التضاريس الأرضية لا تحول بيني وبينك أبا عبد الله – **عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك** – موطن الشاهد هنا – **المُقرُّ بالرق** – أعود إلى الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَساسَةَ الْعِبادِ** – إذاً المراد من العباد هذا المعنى وهذه صورة من معنى العبودية، العباد جمعٌ لعبد والعبد هو المملوك، العبد هو المتلبس بصفة العبودية من هو العبد؟ العبد هو المتلبسُ بصفة العبودية، والمتلبس بصفة العبودية هو المملوك، والحديث هنا عن عبوديةٍ لا بمعنى عبودية الرق العرفي، ربما يذهب صاحب الأموال إلى سوق النخاسة فيشتري عبداً بأمواله ويقال له في الفقه بأنهُ يملك العبد وما في يدهِ وهذا صحيح، لكن هذه الرقية هذه رقيةٌ عرفية، الرقية هنا أن المعصوم عليه السلام أن النبي الأعظم هو أولى منا بأنفسنا، أولى منا بأنفسنا يعني هو مالكٌ لوجودنا ليس مالكاً للجانب الشخصي كما في الرقية العرفية، الرقية العرفية هي مِلكٌ للجانب الشخصي وإلا نحن عندنا في باب العتق والانعتاق في الفقه الشرعي أن المولى إذا نَكَّلَ بعبدهِ فإن العبد ينعتق، هناك العتق في الفقه وهناك الانعتاق، العتق أن المولى هو برغبتهِ يعطي لعبدهِ الحرية، أما الانعتاق هناك حالات العبد يكون حراً رغم أنف المولى سواء رضي أم لم يرضى، متى؟

إذا نَكَّلَ المولى بعبدهِ، كما كان مثلاً يفعلون في الأزمنة القديمة بأن المولى يُنَكِّل بعبدهِ مثلاً يعاقبهُ مثلاً بقطع عضوٍ من أعضائهِ كأن يقطع أصبعاً من أصابعه، كأن يقطع أنفه، كأن يقطع أذنه، كأن يقطع مذاكيره وهكذا كان يفعلون بالعبيد فهذا يسمى بالتنكيل، فإذا نَكَّلَ المولى بعبدهِ أنعتق، حينئذ لا يملكه وصار العبد حراً رغم أنف المولى، فإذاً المالكية هي مالكية للشخصية وليس للعبد بحقيقتهِ، إنَّما هو مالكٌ لشخصية العبد، يعني في إطار تصرفاتهِ، في إطار قوتهِ البدنية، في إطار ما يمكن أن ينفعه وهذا هو الجانب الشخصي من العبد، أما العبد كموجود لا يملكهُ المولى، فهذه الرقية رقية عرفية، رقية تسالم عليها الناس ورتبوا عليها آثاراً وحينما جاءت الشرائع السماوية فأقرتها أقرت هذا الجانب العرفي الجانب المجتمعي البُعد الشخصي، أما الحديث هنا عن رقية بمعنى أوسع، عبودية أوسع، رقية أوسع، هو أولى منا بأنفسنا، والمعنى مع ذلك أوسع وأوسع لكنني أكتفي بهذه الإشارات – **وَساسَةَ الْعِبادِ** – والحديث هنا عن البشر كما قلت لأن النظر في الزيارة بالدرجة الأولى للبشر للناس ولأن الإنسان يمثل الصورة الأمثل فيما بين المخلوقات خصوصاً ونحن نتحدث عن العالم الأرضي الذي استُخلِف فيه الإنسان – **وَساسَةَ الْعِبادِ** – تحدثت عن جانبٍ من معنى

السياسة هذه وتناولت آياتٍ من الكتاب الكريم وتحدثت بنحوٍ موجز عن معنى العباد والعبودية وما معنى عبوديتنا للنبي وآل النبي، في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين هناك سطورٌ في غاية الوضوح تتحدث عن جوانب من السياسة العملية لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لأئمتنا، سياسة أهل البيت منها ما هو خفيٌ وهي سياستهم الكونية ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ وهناك سياسةٌ جلية ظاهرة وهي سياستهم للعبيد أمثالنا، في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين وهي من الزيارات الجميلة جداً وللأسف فإن الكثير من المؤمنين لا يقرءونها مع أنها موجودة في المفاتيح وربما ما قرءوها ولو مرة واحدة، ماذا في هذه الزيارة؟

وأشهدُ أنَّكُم – نخاطب الأئمة صلوات الله عليهم – **وأشهدُ أنَّكُم قد وفيتم بعهد الله وذمته وبكل ما اشترطهُ عليكم في كتابه ودعوتم إلى سبيله** – هذه هي سياستهم في العباد – **وأشهدُ أنَّكُم قد وفيتم بعهد الله وذمته وبكل ما اشترطهُ عليكم في كتابه ودعوتم إلى سبيله وأنفذتم طاقتكم في مرضاته وحملتم الخلائق على منهاج النبوة ومسالك الرسالة وسرتم فيه بسيرة الأنبياء ومذاهب الأوصياء سادتي فلم يُطع لكم أمر ولم تُصغى إليكم أذن فصلوات على أرواحكم وأجسادكم** – هذا جانبٌ من سياستهم في المجتمع البشري، في المجتمع الإيماني، ثم تنكب على القبر وتقول حينما تزور أحد الأئمة – **بأبي أنت وأمي يا حُجَّةَ الله لقد أُرضِعت بثدي الإيمان وفُطِمت بنور الإسلام وغُذِيت ببرد اليقين وأُلبِست حُلل العصمة واصطُفيت وورثت علم الكتاب ولُقِنت فصل الخطاب وأُوضِح** – هنا تبدأ السياسة – **وأُضِح بمكانك معارف التنزيل وغوامض التأويل وسُلِّمت إليك راية الحق وكلّفت هداية الخلق ونُبِذَ إليك عهد الإمامة وألزمت حفظ الشريعة وأشهد يا مولاي أنك وفيت بشرائط الوصية وقضيت ما لزمك من حد الطاعة ونهضت بأعباء الإمامة واحتذيت مثال النبوة في الصبر والاجتهاد والنصيحة للعباد وكظم الغيض والعفو عن الناس وعزمت على العدل في البرية والنَصَفَةِ في القضية ووكدت الحُجَجَ على الأُمَّة بالدلائل الصادقة والشريعة الناطقة ودعوت إلى الله بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة فَمُنِعتَ** – بأبي أنت وأمي – **فَمُنِعت من تقويم الزيغ وسد الثُلم وإصلاح الفاسد وكسر المعاند وإحياء السنن وإماتة البدع حتى فارقت الدنيا وأنت شهيد** – وكلهم شهداء كلهم قُتلوا من رسول الله وإلى إمامنا الزاكي العسكري – **وأنت شهيد ولقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت حميد صلوات الله عليك تترادف وتزيد** – إلى آخر الزيارة الشريفة.

هذه العبائر وهذه الجُمَل وهذه البيانات في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين تُحدِّثُنا عن جانبٍ من سياسة مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا يؤكد ما أقوله دائماً من أن الزيارات هي كنوزٌ للمعارف وللعقائد وللحكمة وللحقيقة وبابٌ واسعٌ فتحهُ لنا أهل البيت لمعرفتهم وللعيش في أجوائهم كي نتفيأ في

أفيائهم الوارفة الشريفة، كي نتلمس شيئاً من عطرهم، كي نشرب شيئاً من مائهم العذب الزلال، زياراتهم وأدعيتهم ومناجياتهم كلها تصبُ في هذا المجرى الشريف – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – هم ساسة العباد وهم أركان البلاد أيضاً، في زيارة أئمة البقيع صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يجتمع هذان المعنيان أنهم أركان البلاد وأنهم ساسة العباد، وأنا قلت في أول البرنامج بأن هذين العنوانين متعانقان، وهذه زيارة أئمة البقيع وفي المفاتيح أيضاً، نخاطبهم: **أشهد أنكم قد بلغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله** – هذه هي سياستهم – **أشهد أنكم قد بلغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله وكُذِبتُم وأُسيئ إليكم فغفرتم** – وأقول وهُدِمت قبوركم وأُسيئ إلى حرمتكم حتى وأنتم غائبون عن هذه الدنيا – **أشهد أنكم قد بلغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله وكُذِبتُم وأُسيئ إليكم فغفرتم وأشهد أنكم الأئمة الراشدون المهتدون وأن طاعتكم مفروضة وأن قولكم الصدق وأنكم دعوتم فلم تُجابوا وأمرتم فلم تُطاعوا وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض لم تزالوا بعين الله ينسخكم من أصلاب كل مطهر وينقلكم من أرحام المطهرات لم تدنسكم الجاهلية الجهلاء ولم تشرك فيكم فتن الأهواء طبتم وطاب منبتكم مَنَّ بكم علينا ديان الدين فجعلكم في بيوتٍ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وجعل صلواتنا عليكم، وجعل صلاتنا عليكم رحمةً لنا وكفارة لذنوبنا إذ أختاركم الله لنا وطَيَّبَ خلقنا بما مّنَّ علينا من ولايتكم وكنا عنده مسمين بعلمكم معترفين بتصديقنا إياكم** – موطن الشاهد هنا في قول الزيارة:

أشهد أنكم قد بلغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله وكُذِبتُم وأُسيئ إليكم فغفرتم – إلى آخر الفقرات الأخرى لكن هذه الكلمات هي التي تتحدث عن سياسة آل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في هذا المجتمع الإنساني وهنا – **وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض لم تزالوا بعين الله** – إلى آخر الزيارة، فهم دعائم الدين وهم أركان الأرض وقرئنا في الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – وتلاحظون الزيارات تتعاضد في المعنى تتوافق في المضمون – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – وهنا نفس هذه المضامين وإن أُخِذت من جهةٍ أخرى، ونحن في أجواء الزيارة الجامعة لأذهب إلى سورة البقرة وفي الآية السابعة والخمسين بعد المئتين، ونحن هكذا نخرج من الكتاب فنذهب إلى العترة، ونخرج من العترة فنذهب إلى الكتاب، نحن نسعى بين الكتاب والعترة ألا يسعى الحُجاج بين الصفا والمروة؟! ألا يسعى زوار الحسين بين حسينهم وعباسهم، فنحن نسعى بين الكتاب والعترة، نتردد بين الكتاب والعترة، أَلِهوىً في نفوسنا أم لأن مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله قال: تمسكوا بهما بالكتاب والعترة، ما إن تمسكتم بهما فإنكم لن تضلوا بعدي أبداً، ما إن تمسكتم بهما بالكتاب والعترة فإنكم لن تضلوا بعدي أبداً، فنحن نسعى ما بين الكتاب والعترة، والكتاب والعترة واحد، الكتاب هو العترة والعترة هو الكتاب ولكن الكتاب هو الكتاب والعترة هي

العترة، في الآية السابعة والخمسين بعد المئتين من سورة البقرة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ هذا عنوان للسياسة الإلهية، وهذه السياسة الإلهية أين تتجلى؟ تتجلى في سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كيف يسوسهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية تتحدث عن سياستين عن سياسةٍ إلهية وعن سياسةٍ طاغوتية ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم﴾ وقلنا السياسة هي التدبير، السياسة هي التربية، كيف يدبر الباري سبحانه وتعالى الذين آمنوا؟ هو وليهم، هو الذي يتولى أمورهم، هو الذي يدبر أمورهم ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ إذاً نحن نملك هنا في هذه الآية صنفين من السياسة، السياسة الأولى تُخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، والسياسة الثانية تُخرج أولياء الطاغوت من النور إلى الظلمات ثم تقودهم ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذه الظلمات تستمر إلى النار.

فهناك سياستان إذاً، سياسة الإخراج من الظلمة إلى النور وسياسة الإخراج من النور إلى الظلمة، فسياسة الإخراج من الظلمات إلى النور يعني أن الذين أُخرجوا إلى النور كانوا يعيشون في الظلمات، وأما سياسة إخراج أولياء الطاغوت من النور إلى الظلمات هذا يعني أن أولياء الطاغوت كانوا يعيشون في النور، فأي نورٍ كان يعيش فيه أولياء الطاغوت؟ سؤال، ألا نتدبر في القرآن، هذه آية من آيات الكتاب العزيز، السياسة الأولى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ هذا واضح، الذين آمنوا كانوا في ظلمات فأخرجهم الله إلى النور، في ظلمات ما قبل الإيمان ما قبل الولاية لله ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني ما قبل عالم الولاية لله الظاهرة وإلا الولاية الباطنة موجودة في كل الموجودات، كانوا في الظلمات فانتقلوا إلى النور، أما أولياء الطاغوت كيف يخرجونهم من النور إلى الظلمات؟ فهل إن أولياء الطاغوت كانوا في النور، أيُّ نورٍ هذا وهم أولياء الطاغوت! البيان يأتينا هنا: الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني من تفسير شيخنا العياشي رحمة الله عليه، والحديث ينقله عبد الله بن أبي يعفور عن إمامنا الصادق، أقتطف منه موطن الحاجة لضيق الوقت ولكثرة المطالب التي أود أن أشير إليها، الإمام يقول – **أما تسمع لقول الله:** ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ **يخرجهم من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل**

إمامٍ عادل من الله – هذا هو قرآن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وهذا هو تفسير مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فحكموا وجدانكم، هل هناك من تفسير أجمل وأرق وأكثر بياناً من هذا التفسير ومن هذه الدقة ومن هذا العُمق، تفسير ينسابُ إلى القلوب إنسياباً، ينساب مع الفطرة انسياباً، يدخل إلى العقل هكذا من دون استئذان، يقتحم العقل اقتحاماً – **أما تسمع لقول الله:** ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ **يخرجهم من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمامٍ عادل من الله، قال الله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ لاحظوا المقطع الأول ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ هم مؤمنون ما هي ظلماتهم؟ الكلام يقول – **يخرجهم من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة** – لماذا؟ – **لولايتهم كل إمام عادلٍ من الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ **قال: قلت: أليس الله عنى بها الكفار حين قال:** ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؟ **قال: فقال الإمام: وأي نورٌ للكافر وهو كافر؟** – سؤال في غاية الدقة وفي غاية النباهة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ السائل يسأل يقول – **أليس الله عنى بها الكفار حين قال:** ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؟– الإمام يقول – **وأي نورٌ للكافر وهو كافر فأُخرِج منه إلى الظلمات؟** – يعني الكافر وهو كافر كان في نور وأخرج إلى الظلمات؟ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ الطاغوت عنوان واضح تعرفونه، الطاغوت عنوان أعداء الزهراء صلوات الله وسلامه عليها – **وأي نورٌ للكافر وهو كافر فأُخرج منه إلى الظلمات؟ إنَّما عنى الله بهذا أنهم** – هؤلاء أولياء الطاغوت – **كانوا على نور الإسلام** – عندهم شيء من الإيمان بمُحَمَّدٍ، بالقرآن، بالله – **إنَّما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلمَّا أن تولوا كل إمامٍ جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب لهم النار مع الكفار فقال:** ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ – ألا يدل هذا على أن القرآن قرآنهم وأن التفسير تفسيرهم صلوات الله وسلامه عليهم، هذه الآية لوحدها لو أن الإنسان وقف عندها لكانت سبباً لهدايته، فقط هذه الآية، قف عند هذه الآية وتدبر في معناها ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ **وأي نورٌ للكافر وهو كافر فأُخرِج منه إلى الظلمات؟ إنَّما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلما أن تولوا كل إمامٍ جائر** – يعني الطاغوت – **ليس من الله خرجوا**

بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر – والمعاني واضحة.

هذا جوهر سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد مع أتباعهم مع أوليائهم ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ يتجلى لنا من كل ذلك شيءٌ من معنى سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

وبقيت عندنا بقية في هذا الباب في نفس الاستئذان الذي قرأت منه شيئاً من عباراتهِ قبل قليل، هناك عباراتٌ جميلة جداً وواضحة تشخص لنا معنى سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، ونحن نقف مستأذنين فنقول – **اللَّهُمَّ إن هذه بقعةٌ طهرتها** – نحن عبيد وجئنا نستأذن على ساستنا على موالينا، هو هذا الاستئذان هنا، نحن عبيدهم ونحن الآن نقف على أعتابهم فنستأذن هم ساستنا هم ساسة العباد يا ساسة العباد – **اللَّهُمَّ إن هذه بقعةٌ طهرتها** – حين تقفون على أعتاب عليٍّ يا زوار عليٍّ وحين تقفون على أعتاب حُسينٍ يا زوار حُسينٍ – **اللَّهُمَّ إن هذه بقعةٌ طهرتها وعَقوةٌ شرفتها ومعالم زكيتها حيث أظهرت فيها أدلة التوحيد وأشباح العرش المجيد الذين اصطفيتهم** – هم أدلة التوحيد في العوالم العليا وهم أشباح العرش المجيد – **الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام** ﴿ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ الذي يؤتى المُلك ماذا يُقال له؟ يُقال له مَلِك ﴿ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ **الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام** – تلاحظون التعانق بين الآيات بين الروايات بين الزيارات، وهذا يكشف عن صحتها، وإلا كيف تتعانق هذا التعانق الواضح، وكيف يشد بعضها بعضاً كالبنيان المرصوص، فتأتي الحقائق بينة واضحة جزلة، وتأتي تصك مسامع أهل الحق فتفرحهم وتصك مسامع أهل الباطل فتغيضهم – **الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام واخترتهم رؤساء لجميع الأنام** – هذا الاستئذان موجود في المفاتيح لكن الكثير لا يقرءونه – **الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام واخترتهم رؤساء لجميع الأنام.**

وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ ... وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ – المعنى واحد – **الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام واخترتهم رؤساء لجميع الأنام وبعثتهم لقيام القسط في ابتداء الوجود إلى يوم القيامة ثم مننت عليهم باستنابة أنبياءك لحفظ شرائعك وأحكامك فأكملت باستخلافهم رسالة المُنذرين كما أوجبت رياستهم في فِطَر المُكلفين** – ونحن عندنا في الروايات لَمَّا يسألون الإمام الصادق ما معنى فطرة الله؟ ما هو الشيء المودع في الفطرة قال: **لا إله إلا الله مُحَمَّد، رسول الله، عليٌّ ولي الله** – الفطرة التوحيد الإيمان بالله، الإيمان بِمُحَمَّد الإيمان بعلي، هكذا جاء في رواياتنا – **كما أوجبت رياستهم في فِطَر المكلفين** – إلى أن يقول الاستئذان – **الحمد لله الذي مَنَّ علينا**

بِحُكام – هؤلاء هم نفسهم الملوك والرؤساء الذين مرَّ ذكرهم – **الحمد لله الذي مَنَّ علينا بِحُكامٍ يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان ولا إله إلا الله الذي شرفنا بأوصياء يحفظون الشرائع في كل الأزمان، والله أكبر الذي أظهرهم لنا بمعجزاتٍ يعجز عنها الثقلان** – إلى أن نقول – **اللَّهُمَّ فلك الحمدُ والثناء العلي كما وجب لوجهك البقاء السرمدي وكما جعلت نبينا خير النبيين ومُلوكنا** – مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد – **وملوكنا أفضل المخلوقين واخترتهم على علم على العالمين وفقنا للسعي إلى أبوابهم** – نحن عبيدهم نسعى إلى أبوابهم – **وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين وأجعل أرواحنا تحنّ إلى موطيء أقدامهم ونفوسنا تهوى النظر إلى مجالسهم وعرصاتهم حتى كأننا نخاطبهم في حضور أشخاصهم فصلى الله عليهم من سادةٍ غائبين ومن سلالةٍ طاهرين ومن أئمة معصومين** – هؤلاء هم سادتنا وهم أوليائنا، هم ساسة العباد وهم أركان البلاد، لهم الطاعة الواجبة نعترف لهم ونقر لهم بذل العبودية وبفرض الطاعة، نحن عبيدكم وأبناء عبيدكم وأبناء إمائكم المقرّون بالرق كما مر علينا في الزيارة السابعة المطلقة من زيارات سيد الشهداء في المفاتيح – **نحن عبيدكم وأبناء عبيدكم وأبناءُ إمائكم المُقرون بالرق والتاركون للخلاف عليكم** – وهذا هو الكافي كافيكم وهذه الأحاديث أحاديثكم.

الرواية: **عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الأئمة هل يجرون في الأمر والطاعة مجراً واحداً؟! قال: نعم** – هم كلهم سادةٌ ولذلك الزيارة تخاطبهم بنفس الوصف بنفس الخطاب – **وساسة العباد** – يعني أنهم كلهم في نفس هذه المرتبة – **عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله** – هذا هو الجزء الأول من الكافي الشريف – **قال: سألته عن الأئمة هل يجرون في الأمر والطاعة مجراً واحداً؟! قال: نعم** – ومن قبل روى زرارةُ – **عن أبي جعفرٍ عليه السلام فقال: ذروة الأمر** – إمامنا الباقر يقول – **ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته** – فهناك طاعةٌ وهناك معرفة وهذا هو الذي يدفعنا للحديث وللتبصر وللتدبر وللتفكر في الزيارة الجامعة الكبيرة، هذا هو الذي يدفعنا، هذا إمامكم الباقر هو الذي يقول، ماذا يقول؟

ذروة الأمر – أعلى شيء – **ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته** – من هنا نحن نقضي هذه الأوقات ونحن نتدبر في كلمات إمامنا أبي الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – والمعاني متعانقة، الاختلاف في اللفظ، والاختلاف في اللفظ شيءٌ يسير، شيءٌ مئونته يسيره، المعاني كلها تشيرُ إلى تلكم الحقيقة الواسعة إلى حقيقة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد والتي ظهرت مجاليها في كل جزءٍ من أجزاء هذا الوجود، فهم مجلى أسماء الله الحسنى وهم المرآة الأولى والمرآة الأعظم التي تجلى الله سبحانه وتعالى فيها – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** –

الأركان جمعٌ لركن والركن في لغة العرب هو الجانب العظيم الجانب القوي، حين تقول أركان البناء، أركان البناء هي الجهات القوية، الجهات الأساس التي يقوم عليها البناء، كما نقول أركان الصلاة، أركان الصلاة هي الأجزاء الفقهية التي لو حدث فيها خلل لَمَا بقي منها بقية تسمى صلاة، يعني لو أن الإنسان جاء بصلاته فأخل بالأركان أليس هناك في الأحكام الشرعية ما يسمى عندنا في الصلاة، الصلاة التي هي عمود الدين، أليس فيها أركان؟ هذه الأركان إذا حدث فيها خلل، حينما يحدث الخلل في الأركان فإن الخلل سيتسرب إلى كل الصلاة فتنتهي صورة الصلاة، لذلك لابد من إعادتها، والأحكام الشرعية واضحة في هذا المعنى إنَّما جئت بهذا المعنى على سبيل المثال، البناءُ أيضاً إذا ما هُدّت أركانه فإنه لن يبقى أيُّ أثرٍ من ذلك البناء ينتهي البناء.

الأركانُ جمعٌ لركن والركن هو الجانب القوي هو الجانب المتين هو الجانب العظيم – **وَأَرْكَانَ الْبِلادِ** – والبلاد جمعٌ لبلد أو لبلدة قد يراد منها المدن والقرى، وقد يراد منها جميع الأرض، فحتى الأرض الخالية من الناس يقال لها في لغة العرب بلد وبلاد، البلاد هي الأرض، هذه الأرض التي نعيش عليها هي هذه البلاد – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلادِ** – البلاد هنا جاء ذكرها باعتبار مر في العنوان الذي قبل هذا العنوان – **وَساسَةَ الْعِبادِ** – فأين يعيش العباد؟ ألا يعيشون في البلاد؟ وإلا فأهل البيت هم أركان الأرض، أهل البيت هم أركان الوجود، نحن مثلاً حين نقرأ في الكافي الشريف في الجزء الأول أن الأئمة هم أركان الأرض، بابٌ أن الأئمة هم أركان الأرض الرواية: **عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه** – ماذا يقول إمامنا الصادق؟ – **يقول: ما جاء به عليٌّ عليه السلام أَخُذ به وما نهى عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل مثلما جرى لمحَمَّدٍ صلى اله عليه وآله، ولمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الفضلُ على جميع من خلق الله عزَّ وجلَّ المُتَعَقِّبُ عليه في شيءٍ من أحكامه كالمُتَعَقِّب على الله** – يعني المتعقب الذي يشكل على أحكام عليٍّ على قول عليٍّ – **المُتَعَقِّبُ عليه في شيءٍ من أحكامه كالمُتَعَقِّب على الله وعلى رسوله والراد عليه في صغيرةٍ أو كبيرة على حد الشرك بالله، كان أمير المؤمنين عليه السلام بابُ الله الذي لا يؤتى إلا منه وسبيله الذي من سلك بغيره هلك وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض** – هم أركانُ الأرض والبلادُ هنا – **وَأَرْكَانَ الْبِلادِ** – البلاد هنا هي الأرض ببرها وببحرها، بسهلها وبجبلها، بغورها وبنجدها، بمائها وبترابها – **وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها** – أن تميد أن تميل، يعني أن يختل نظامها، أن تميد بأهلها يعني أن يختل نظامها الكوني، مَيدان الأرض هو الاختلال الكوني – **أن تميد بأهلها وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، وكان أميرُ المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله**

بين الجنة والنار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم – إلى آخر كلماته الشريفة موطن الشاهد هنا – **جعلهم الله** – جعل الأئمة – **أركان الأرض أن تميد بأهلها وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى** – ركنية الأرض هنا هي حجيتهم، وهذه الحجية أوسع من الكلام ومن البحث في قضية حجيةٍ شرعية بإقامة أدلةٍ أو براهين قوليه ولفظية لإثبات الحق، هذه حجية واسعة ومطلقة، هذه الحجية في نفس الفطرة، قبل قليل قرأنا – **وجعلت رياستهم في فِطِرِ المُكلفين** – هي هذه الحجية الحقيقية لأهل البيت، وهذا هو معنى ركنيتهم للأرض وأنهم أركان الأرض، في نفس الكافي الشريف هناك نصوص كثيرة أقتطف بعضاً منها.

الروايةُ: **عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أتبقى الأرضُ بغير إمام؟! قال: لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت** – الحديث هنا ليس عن إمامةٍ سياسية كما يفهمها الناس، الحديث هنا عن إمامةٍ كونية، أن الأرض تسيخ هذا أثرٌ تكويني وليس أثراً اجتماعي وليس أثراً أخلاقياً – **أتبقى الأرضُ بغير إمام؟! لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت** – والمراد هنا بقيت الأرض بغير إمام ليس المراد الجانب الجسدي الشخصي للإمام وإنَّما ارتباطُ الأرض ارتباط بالإمامة الكونية لأن الإمام صلوات الله وسلامه عليه هو قلبُ هذا الكون، وكل المكونات تمدُ إليه بصلة بارتباط، هذه الصلة الكونية من الفيض الإلهي أليس هم السبب المتصل بين الأرض والسماء، هم قلبُ الكون ومنهم تمتد الأسباب لثبات هذا التكوين، إذا انقطعت الصلة بين كل مُكُوِّن من هذه المُكَوِّنات وبين كل مُكَوَّن من هذه المُكَوَّنات فإن ذلك المكون سيسيخ سينتهي، وهذا هو المعنى، ليس القضية هنا ساخت الأرض في البعد السياسي، الحديث عن أرض تسيخ وسيخان الأرض مسألة كونية مادية – **أتبقى الأرضُ بغير إمام؟!** – هذه الإمامة الكونية – **قال: لو بقيت بغير إمامٍ لساخت.**

عن مُحَمَّد بن الفُضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام – والروايات من الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف – **عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلتُ له: أتبقى الأرضُ بغير إمام؟! قال: لا، قلتُ: فإنا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنها لا تبقى بغير إمامٍ إلا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد، فقال: لا، لا تبقى إذاً لساخت** – الحديث عن إمامة كونية، لا يمكن أن تتصور الأرض من دون وصول الفيض الكوني من الإمام الكوني.

عن أبي هراسه عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: لو أن الإمام رُفع من الأرض ساعة – الإمام باللحاظ الكوني لا بلحاظ الإمامة الدينية لبيان الأحكام الشرعية، هذا جانب من جوانب الإمامة – **لو أن الإمام رُفع من الأرض ساعة لمَاجت بأهلها كما يموج البحر بأهله** – هذا هو معنى أنهم أركان الأرض، أنهم

أركان البلاد في البعد التكويني، وإلا ما معنى أن الأرض تسيخ؟ ألم يقتل الأئمة؟ قتلوا وجرى عليهم ما جرى لماذا لم تسخ الأرض؟ ما ساخت الأرض وما ماجت لأي سبب؟ لأن الإمامة الكونية لا تُقتل، الإمام يقتل ظاهراً يقتل في هذه البنية البشرية الظاهرة، أما الإمامة الكونية التي هي جوهر ثبات الكون هذه الإمامة ثابتة وما أهل البيت إلا مظاهر بشرية لجوهرهم الأصلي للنور الأول فلذلك القتل يجري عليهم، لكن الأرض ما ساخت، لأن إمامتهم الكونية لا تُقتل وإنَّما تصل السيوف، تصل السيوف وبرغبتهم، تصل السيوف وبإرادتهم، هذا الكلام وإن قاله شاعرٌ من شعراء أهل البيت:

إن كان دينُ مُحَمَّدٍ لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني

هذا الكلام وإن قاله شاعرٌ من شعراء أهل البيت، ربما الكثير يتصورون أن هذا البيت لسيد الشهداء، هذا البيت لأحد الشعراء المتأخرين للشيخ محسن أبو الحب من أدباء محبي أهل البيت ومن شعراء الحسين، لكن هذا المعنى هو قراءةٌ وإدراكٌ من قِبل الشاعر للحقيقة التي كانت في الطفوف، لو لم تكن حقيقة الحسين تقول يا سيوف خذيني لَمَا استطاعت السيوف أن تدنو منه، وهذا في كل الأئمة، الحديث هنا في هذه الأحاديث عن الإمامة الكونية لا عن الإمامة البشرية الظاهرة لا عن المقامات الدنيوية التي يمكن أن تُسلب كما سلبت الخلافة من عليٍّ، لكن هل يستطيع أحدٌ أن يسلب الإمامة الكونية؟ هذا غير ممكن، هذا من المستحيلات العقلية، لا يمكن أن نتصور أن أحداً يستطيع أن يسلب الإمامة الكونية فذلك يؤدي إلى فساد التكوين، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذي وهب إليهم الإمامة الكونية، وهذه الروايات تتحدث عن جهةٍ عن جانب من هذه المعاني – **لو أن الإمام رُفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله.**

عن الوشاء قال: سألتُ أبا لحسن الرضا عليه السلام هل تبقى الأرضُ بغير إمام؟! قال: لا، قلتُ: إنا نروي أنها لا تبقى إلا أن يسخط الله عزَّ وجلَّ على العباد؟ قال: لا، لا تبقى إذاً لساخت – وهذا هو معنى كونهم أنهم أركان الأرض، هم أركان الأرض وأركان السماء، هم أركان الوجود، هم أركان كل شيء، هم أركان الحقيقة بكاملها ولا غرابة في ذلك، نحن نقرأُ في دعاء شهر رجب ومراراً قرأتُ منه نصوصاً لأنه من أمهات أدعية أهل البيت العميقة، ماذا نقرأ في هذا الدعاء الشريف؟ – **اللهم إني أسألكُ بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرك** – من هم هؤلاء؟ – **المأمونون على سرك المستبشرون بأمرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك أسألك بما نطق فيهم** – في هؤلاء – **من مشيتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك** – هم أركان التوحيد، ما قيمة أن نقول أنهم أركان الأرض؟ ما قيمة أن نقول أنهم أركان البلاد؟ وإنَّما جاء ذكر البلاد كعنوان يشير إلى معنىً أوسع، وإنَّما جاء

هذا العنوان متناغماً مع العبارة التي قبلها وساسة العباد، ولأن الزيارة تريدُ أن تحدث الإنسان بما هو إنسان على وجه الأرض، وإلا المعاني فيها إشارات أعمق وأعمق وأعمق، فما قيمة أن نقول أنهم أركان الأرض وهنا العبارةُ صريحة – **فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك** – هم أركان التوحيد وأركان كل شيء وفي نفس الدعاء – **أعضادٌ وأشهاد** – هم آل مُحَمَّد – **ومُناةٌ وأذواد وحَفَظَةٌ ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك** – هم أركان الوجود، هم ليس أركاناً للبلاد فقط، هم ليس أركاناً للأرض فقط – **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – وهذا معنى أنهم أركانُ التوحيد، وهذا معنى قول عليٍّ صلوات الله عليه: **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه.** وهنا معانٍ عميقة لا يسع المجال لذكرها لأنني لو ذكرتها وتركتها يُساء فهمها، ولو أردتُ أن أدخل فيها فأنا بحاجةٍ إلى وقتٍ طويل لشرحها ولكنني أكتفي بالإشارة إليها فقط من بعيد، فأقول هذا المعنى الموجود هنا – **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – هذا هو معنى – **فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك** – وهو نفس المعنى الذي تقرأونه في دعاء كميل بن زياد رضوان الله تعالى عليه، دعاء سيد الأوصياء، ماذا نقرأ فيه؟ العبارات الأولى من الدعاء:

اللهم إني أسألكُ برحمتك التي وسعت كل شيء وبقوتك التي قهرت بها كل شيء وخضع لها كل شيء – فبهم ماذا ملأت؟ ملأت سماواتك وأرضك – **اللهم إني أسألكُ برحمتك التي وسعت كل شيء وبقوتك التي قهرت بها كل شيء وخضع لها كل شيء وذل لها كل شيء وبجبروتك التي غلبت بها كل شيء وبعزتك التي لا يقوم لها شيء وبعظمتك التي ملأت كل شيء** – فبهم ملأت سماواتك وأرضك، فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت – **وبعظمتك التي ملأت كل شيء وبسلطانك الذي علا كل شيء وبوجهك الباقي** – وهم وجهه – **بعد فناء كل شيء، وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء** – وهم أركان كل شيء، ألم نقرأ: فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك، وأركان التوحيد هي أركان كل شيء – **وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء وبعلمك الذي أحاط بكل شيء وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء يا نورُ يا قدوس يا أول الأولين ويا آخر الآخرين** – فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – وهذا شيءٌ يسير يسيرٌ يسيرٌ يسير مما جاء في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووالله لو بقيتُ أتصفح زياراتهم وأدعيتهم وأحاديثهم وكلماتهم لانقضى العمرُ وما قضيتُ شيئاً من ذلك، كل هذا إلى أي شيءٍ يشير؟

يشيرُ أولاً إلى عظمتهم.

ويشيرُ ثانياً إلى عجزنا عن إدراك حقائقهم.

ويشيرُ ثالثاً إلى تقصيرنا في عدم السعي لمعرفتهم وفي عدم العيش معهم ليل نهار، في أجوائهم وفي أفياء ظلالهم وأنوارهم وإنَّما أتحدثُ عن معرفتهم، أتحدثُ عن علومهم، أتحدثُ عن حديثهم، أتحدثُ عن كل ما يوصلنا ويربطنا بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأيضاً ينبئنا عن خسة وحقارة ونجاسة ولؤم أعداءهم، وأيضاً ينبئنا ذلك عن مظلوميتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

سادتي آل مُحَمَّد أنتم قادة الأمم وأنتم أولياء النعم وأنتم عناصر الأبرار وأنتم دعائم الأخيار وأنتم ساسةُ العباد وأنتم أركان البلاد وأنتم وأنتم وأنتم، وكل ذلك قليلٌ في حقكم، وكل ذلك نزرٌ يسيرٌ في لا أقول في فناءكم وإنَّما أقول في جوار فناءكم صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا هو سرُ ارتباطنا بكم، وهذا هو سرُ قبول أعمالنا، وهذا هو سرُ توقف الهداية والدين عليكم فالهداية والدينُ جزءٌ من سياستكم، نحن نعيشُ في الأرض، حاكم الأرض الحاكم الذي يحكم في دولة من الدول، الملك الذي يحكم في دولةٍ من الدول حين يصدرُ قراراً هذا القرار كل من يخالفه مهما جاء من عملٍ ومهما جاء من أمرٍ فإن ذلك لا يقبله ذلك الملك ولا تقبله الحكومة إلا أن يكون تحت يافطة القرار الملكي، هذا الناس تقبله لكن وأنتم ملوك الخلق حينما نقول بأن أعمال العباد لا تقبل إلا بولايتكم وهذا هو قانونكم وهذه هي سياستكم لا يقبل ذلك أحدٌ منا، وذلك من سوء توفيقهم – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – قانونكم سياستكم هي هذه، أن هذه الأعمال لا تقبل إلا بولايتكم، وهذا هو الجانبُ الذي يهمنا من سياستهم، نحن الآن نتحدث عن أنهم ساسةُ العباد وأنهم أركان البلاد فبينّا صوراً جوانب من معاني هذه السياسة ومن معاني هذه الركنية التي أشارت إليها الزيارة، لكن الذي يتعلق بنا، ما هو هذا الشيء الذي يتعلق بنا من سياستهم للعباد؟ أقتطف نصوصاً بحسب ما يسنح به المقام.

الرواية عن مُحَمَّد بن جعفر بن مُحَمَّد عن أبيه – مُحَمَّد هو من أبناء إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وهذا هو الجزء السابع والعشرون من بحار الأنوار، ينقل مُحَمَّد عن أبيه الصادق عليه السلام عن آبائه – **قال: نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا مُحَمَّد السلام يُقرئك السلام ويقول: خلقت السماوات السبع وما فيهن والأرضين السبع ومن عليهن وما خلقتُ موضعاً أعظم من الركن والمقام ولو أن عبداً دعاني هناك مُنذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاحداً لولاية عليٍّ لأكببته في سقر.**

الروايةُ عن إمامنا الصادق – **إن عليّاً عليه السلام كان يقول: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين رجلٌ**

يزدادُ كل يومٍ إحسانَ ورجلٌ يتدارك سيئته بالتوبة وأنى له بالتوبة والله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قَبِل الله منه إلا بولايتنا أهل البيت.

الروايةُ **عن إمامنا أبي جعفر يرويها الحارثُ بن يحيى في قول الله:** ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لمن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ – هذه الآية تحتاج إلى وقفة ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لمن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ تاب وآمن وعمل صالحاً وهو غير مهتدي ثم اهتدى، الآية تحتاج إلى وقفة، تلاحظون: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لمن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ يعني هو تاب وليس بمهتدي، وآمن وليس بمهتدي، وعمل صالحاً وليس بمهتدي ثم اهتدى، أيَّةُ هداية هذه؟ قطعاً هو حين تاب وحين آمن وحين عمل صالحاً كان مهتدياً ولكن مرتبة من مراتب الهداية ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لمن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ – **يقول إمامنا الباقر: ألا ترى كيف أشترط؟!** – يعني كيف أن الله أشترط الهداية ثم اهتدى – **ولم تنفعه التوبةُ أو الإيمانُ والعمل الصالح** – التوبة ما نفعت ولا الإيمان ولا العمل الصالح – **ألا ترى كيف أشترط؟! ولم تنفعه التوبةُ أو الإيمانُ والعمل الصالح حتى اهتدى، واللهِ لو جهد أن يعمل** – لو بذل كل الجهد – **والله لو جَهَدَ أن يعمل ما قبل منه حتى يهتدي، قال: قلت: إلى من جعلني الله فداك؟ قال: إلينا** – ثم اهتدى إلينا، وإلا ماذا ينتفع من توبته ومن إيمانه ومن عمله الصالح – **والله لو جهد أن يعمل ما قبل منه حتى يهتدي، قلت: إلى من جعلني الله فداك؟ قال: إلينا.**

هذي سطور من كتاب أمير المؤمنين إلى أهل مصر وربما هناك من إخواني الآن في مصر يستمعون إلي، هذه كلماتُ عليٍّ إلى أبناء مصر، فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام مع مُحَمَّد بن أبي بكر رضوان الله تعالى عليه إلى أهل مصر، هذا كتاب سيد الأوصياء مع مُحَمَّد بن أبي بكر حين ولاه على مصر، هذه رسالة من سيد الأوصياء إليكم أبناء النيل ماذا يقول سيد الأوصياء؟ – **يا عباد الله إن اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهل بيته** – بهذين الشرطين – **يا عباد الله إن اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عُبِد وذكرتموه بأفضل ما ذُكِر وشكرتموه بأفضل ما شُكِر وأخذتم بأفضل الصبر والشكر واجتهدتم أفضل الاجتهاد** – كلماتٌ جميلة في غاية الجمال، أعيدُ قرأتها على مسامعي أولاً وعلى مسامعكم ثانياً – **يا عباد الله إن اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهل بيته** – بهذا الشرط – **فقد عبدتموه بأفضل ما عُبِد وذكرتموه بأفضل ما ذُكِر وشكرتموه بأفضل ما شُكِر وأخذتم بأفضل الصبر والشكر واجتهدتم** – الاجتهاد هنا غايةُ العبادة، غايةُ العمل الصالح – **واجتهدتم أفضل الاجتهاد وإن كان**

غيركم أطول منكم صلاة وأكثر منكم صياماً – بحسب ظاهر الأمر – **وإن كان غيركم أطول منكم صلاة وأكثر منكم صياماً فأنكم اتقى لله منه** – التقوى، قلت التقوى ولاية علي – **فأنكم اتقى لله منه وأنصحُ لأولي الأمر** – إذاً العبادة الأفضل والذكر الأفضل والشكرُ الأفضل أين هو؟ في ولاية عليّ – **فقد عبدتموه بأفضل ما عُبِد وذكرتموه بأفضل ما ذُكِر وشكرتموه بأفضل ما شُكِر.**

الروايات كثيرةٌ ولا يسع المجال لتناولها لكنني مثلاً أقرأُ هذه الرواية: **عن يونس بن عبد الجبار عن علي بن الحسين** – عن زين العباد – **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بالُ أقوامٍ إذا ذكر عندهم آل إبراهيم فرحوا واستبشروا وإذا ذكر عندهم آل مُحَمَّد اشمأزت قلوبهم** – اللهم إنا نعوذُ بك في هذا الشهر الشريف أن نكون من هؤلاء، رسول الله يقول – **ما بالُ أقوامٍ إذا ذُكِر عندهم آل إبراهيم فرحوا واستبشروا وإذا ذُكِر عندهم آل مُحَمَّد اشمأزت قلوبهم والذي نفسُ مُحَمَّداً بيده لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً** – هذا مُحَمَّد يُقسِم ولست أنا، والذي ينقلُ عنه ابنه السجاد – **والذي نفسُ مُحَمَّداً بيده لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قَبِلَ الله ذلك منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي.**

عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا عليّ بن الحسين زينُ العابدين: أيُ البقاعِ أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو أن رجلٌ عُمِّرَ ما عُمِّر نوحٌ في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك الموضع ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً – النصوص كثيرة جداً والأحاديث وفيرة جداً ولكن المقام لا يسعُ لذكر حتى الجزء اليسير منها.

عن إسحاق بن غالب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عَبَدَ الله حبرٌ من أحبار بني إسرائيل حتى صار مثل الخلال – وكأنه عود، الخلال هذا العود الذي تنظف به الأسنان، قيل له خِلال لأنه في غاية الدقة، لأنه في غاية الرفع بحيث نستطيع أن ندخله بين الأسنان وبين تجاويف الأسنان – **عَبَدَ الله حبرٌ من أحبار بني إسرائيل حتى صار مثل الخِلال** – مثل هذا العود الذي نخلل به أسناننا – **فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى نبي زمانه قل له: وعزتي وجلالي وجبروتي** – أيُ قَسَمٍ هذا؟ الله يقسم – **وعزتي وجلالي وجبروتي لو أنك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الألية في القدر** – الألية واضح معناها قطعة الشحم التي توجدُ في آخر جسم الخروف، التي تقوم مقام الذنب في سائر الحيوانات، الغنم الخرفان العربية ليست لها أذناب وإنَّما لها ألية – **وعزتي وجلالي وجبروتي لو أنك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الألية في القدر ما قَبِلتُ منك حتى تأتني من الباب الذي أمرتك** – هذا هو السر، السرُ هنا – **وعزتي وجلالي**

وجبروتي لو أنك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الألية في القدر ما قبلتُ منك حتى تأتني من الباب الذي أمرتك.

الرواية: **عن المعلى بن خنيس عن إمامنا الصادق يقول: يا معلى لو أن عبداً عبد الله مئة عامٍ ما بين الركن والمقام يصوم النهار ويقوم الليل حتى يسقط حاجباه على عينيه وتلتقي تراقيه هرماً** – التراقي يعني ينطبق هذا الجانب على هذا الجانب، حتى لو وصل حاله هكذا، التراقي هي هذه عظم الترقوة هو هذا العظم – **لو أن عبداً عَبَدَ الله مئة عامٍ ما بين الركن والمقام يصوم النهار ويقوم الليل حتى يسقط حاجباه على عينيه وتلتقي تراقيه هرماً جاهلاً لحقنا لم يكن له ثواب** – طال بنا الوقت وإن شاء الله في مناسبات أخرى أُتِم الحديث فالحديثُ عن آل مُحَمَّدٍ لا ينتهي ولن ينتهي، وتنتهي أيامنا وتنتهي حياتنا ولا ينتهي الحديثُ عن آل مُحَمَّد، لكننا ندعو الله سبحانه وتعالى أن تنتهي حياتنا ونحن نُردد في القلوب، في العقول، في الوجدان، في الشفاه نردُ مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد.

الرواية: **عن ميسر أو مُيسر بياع الزبطي، قال: دخلتُ على أبي عبد الله** – دخل على إمامنا الصادق – **فقلت له: جُعِلتُ فداك إن لي جاراً لست أنتبه إلا بصوته** – يعني ينتبه مثلاً على وقت السحر، وقت الإمساك، أو على وقت الصلاة عند الصباح، عند الظهر – **إن لي جاراً لست أنتبه إلا بصوته إما تالياً كتابه يكرره ويبكي ويتضرع وإما داعياً، فسألت عنه في السر والعلانية فقيل لي إنه مجتنبٌ لجميع المحارم، قال: فقال: يا ميسر أو يا مُيسر يعرف شيئاً مما أنت عليه؟!** – تنتبهون للوصف ميسر هذا يقول للإمام – **إن لي جاراً لست أنتبه إلا بصوته** – عند السحر عند الفجر عند أوقات الصلوات – **إما تالياً كتابه يكرره ويبكي ويتضرع وإما داعياً فسألت عنه في السر والعلانية فقيل لي إنه مجتنبٌ لجميع المحارم، قال: فقال: يا ميسر يعرف شيئاً مما أنت عليه؟!** – من ولاية عليّ – **قال: قلتُ: الله أعلم** – تقية لا يستطيع أن يفاتحه بشيء – **قال** – هو ميسر يقول – **فحججت من قابل** – يعني السنة القادمة – **فسألتُ عن الرجل فوجدته لا يعرفُ شيئاً من هذا الأمر فدخت على أبي عبد الله** – يعني لَمَّا رجع إلى أهله سأل عن الرجل فأخبروه بأنه لا يعرفُ شيئاً من هذا الأمر، ليس على ولاء عليٍّ، في السنة القادمة يقول دخلت على الإمام – **فأخبرته بخبر الرجل، فقال لي مثلما قال في العام الماضي يعرفً شيئاً مما أنت عليه؟! قلت: لا، قال: يا ميسر أيُ البقاع أعظم حرمة؟ قال: قلتُ: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، قال: يا ميسر ما بين الركن والمقام روضةٌ من رياض الجنة وما بين القبر والمنبر** – يعني في المدينة ما بين قبر النبي – **يا ميسر ما بين الركن والمقام روضةٌ من رياض الجنة، وما بين القبر والمنبر روضةٌ من رياض الجنة ولو أن عبداً عَمَّره الله فيما بين الركن والمقام وفيما بين القبر والمنبر**

يعبده ألف عام ثم ذُبِح على فراشه مظلوماً كما يُذبح الكبش الأملح – ذُكر هنا الكبش الأملح لأن الكبش الأملح حين يراد ذبحه يكونُ هادئاً لا يدفع ذابحه كبقية أنواع الكباش أو الكبوش – **ثم ذُبِح على فراشه مظلوماً كما يُذبح الكبش الأملح ثم لقي الله عزَّ وجلَّ بغير ولايتنا لكان حقيقاً على الله عزَّ وجلَّ أن يكبه على منخريه في نار جهنم** – فقط هذه الرواية، أنا قلت أكتفي برواية ميسر، هذه الرواية مر علينا حديث يشابهها لكنني أختم الحديث بها:

عن ابن مسكان عن أبي عبد الله عن آباءه عليهم السلام قال: مرَّ موسى بن عمران برجلٍ رافعٍ يده إلى السماء يدعو فأنطلق موسى في حاجته فغاب عنه سبعة أيام ثم رجع إليه وهو رافعٌ يديه يدعو ويتضرع ويسألُ حاجته فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه يا موسى لو دعاني حتى يسقط لسانه – ليس سبعة أيام – **لو دعاني حتى يسقط لسانه ما استجبتُ له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به** – وهذا هو السر في هذا المعنى وإن كانت هناك مطالب أخرى كان بودي أن أذكرها وأن أشرح مضامينها ولكنني أكتفي بهذا القدر وأقول سادتي آل مُحَمَّد:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلمِ، وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ، وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ.

إنَّما أكرر هذه العناوين لأنها نِعَمٌ من نِعَم الله علينا أن وفقنا أن نعيش في أجواء هذه العناوين كل عنوان من هذه العناوين وكل دقيقة من الدقائق التي صرفناها ونحن نعيشُ في ظلال هذه العناوين نعمةٌ لا نستطيعُ أن نشكرها ولا نستطيعُ أن نؤدي حقها.

سلامٌ عليكم سادتي آل مُحَمَّد يا ساسة العباد ويا أركان البلاد.

وسلامٌ عليكم أنتم يا أشياعهم ويا أولياءهم، ولقاءنا يتجدد دائماً على مودّة عليٍّ وآل عليّ.

أسألكم الدعاء وفي أمان الله.

الحلقة الرابعة عشر

معنى وَأَبْوابَ الإيمان، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ

السلام عليكم جميعاً أحباب عليٍّ وآل عليّ ورحمة الله وبركاته، وهذه الحلقة الرابعة بعد العاشرة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، وصل بنا الكلام إلى قول الزيارة الشريفة في الحلقة الماضية: **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ**. اليوم نتناول عنواناً جديداً: **وَأَبْوابَ الإيمان، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ**. وهذان العنوانان أيضاً كما مرَّ في بعض العناوين التي تعانق بعضها مع البعض الآخر هذان العنوانان أيضاً يتعانقان في المعنى وفي المضمون وفي الدلالة، **وَأَبْوابَ الإيمان، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ**.

أقف أولاً على هذا العنوان – **أَبْوابَ الإيمان** – الأبواب جمعٌ لباب ولا أعتقد أن الكلمة تحتاج إلى بيانٍ فهي واضحة معروفة لديكم، الباب هو المَنفذُ الذي يُدخل منه ويخرج منه، أمَّا الإيمان، الإيمان موضوع طولٌ عريض لكنني سأتجول ما بين آيات الكتاب وما بين كلمات المعصومين نتلمس شيئاً من معاني الإيمان ونتذوق شيئاً مما جاء في قرآننا ومما أتحفتنا به العترة الطاهرة – **وَأَبْوابَ الإيمان، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ** – أصل الإيمان وباب الأبواب في الإيمان هو مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وبعد ذلك تتفتح أبواب الإيمان في عترته الطاهرة صلوات الله عليها، والإيمان هنا له مراتب له ظهورات إن كان ذلك في العالم الأرضي أو كان ذلك في العوالم العلوية، بنحوٍ مجمل مثلاً ما جاء في الصلوات المروية عن إمامنا الحسن الزاكي العسكري صلوات الله عليه والموجودة أيضاً في مفاتيح الجنان المعنونة بعنوان الصلاة على الحُجَج الطاهرين، أول مقطوعةٍ منها الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، جاء فيها هذه العبارات: **وصلّي على مُحَمَّدٍ كما بعثتهُ بخير الأديان** – فهو المبعوث بخير الأديان، وخير الأديان هو الإسلام – **وأعززت بهِ الإيمان** – الإيمان المظهر الأكمل للدين، الجوهر الأعمق للدين، وإلا لو كان الدينُ بكله هو الإيمان بكله وما في الدين من مراتب لَمَا احجتنا إلى ذكر الأديان وذكر الإيمان – **وصلّي على مُحَمَّدٍ كما بعثتهُ بخير الأديان وأعززت بهِ الإيمان وتَبَّرتَ بهِ الأوثان** – موطن الشاهد هنا – **وأعززت بهِ الإيمان** – فالإيمان هنا عنوان، مصطلح للمرتبة الأعلى في ديننا، وبعبارةٍ أخرى لجوهر الحقيقة في ديننا، وهذا ما يفصح عنه ما جاء في دعاء الندبة الشريفة هناك – **وأعززت بهِ الإيمان** – عنوانٌ عام لمرتبةٍ خاصة، هنا في دعاء الندبة شيءٌ من تفصيل، ثم

قال يعني النبي صلى الله عليه وآله، أقتطف عبارات من هذا الدعاء، ثم قال مخاطباً سيد الأوصياء: **أنت أخي ووصي ووراثي لحمك من لحمي ودمك من دمي وسِلمكَ سلمي وحربك حربي والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك كما خالطَ لحمي ودمي** – مُحَمَّدٌ وعليٌّ هم حقائق الإيمان، حتى الأبدان منهم، حتى أبدانهم هي إيمان في إيمان – **والإيمان مُخالطٌ لحمك ودمك كما خالطَ لحمي ودمي** – الإيمان عند مُحَمَّدٍ وعليٍّ هو في كل وجودهما، أصلاً أن وجود مُحَمَّدٍ وعليٍّ هو الإيمان، وما عند الخلائق إنما هو رشحاتٌ من ذلك الإيمان لذلك كانوا أبواب الإيمان، لأن الإيمان يدخل إليهم ويخرج منهم، لأنهم هم القصر والمكان والمدينة التي أستقر فيها الإيمان – **والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك كما خالطَ لحمي ودمي وأنت غداً على الحوض خليفتي وأنت تقضي دَيني وتنجز عداتي وشيعتك على منابر من نورٍ مبيضة وجوههم حولي في الجنة وهم جيراني ولولا أنت يا علي لم يُعرف المؤمنون بعدي وكان بعدهُ هدىً من الضلال ونوراً من العمى وحبل الله المتين وصراطهُ المستقيم** – موطن الشاهد هنا – **والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك كما خالطَ لحمي ودمي** – وهنا في الفقرة الثانية وهو مظهرٌ من مظاهر الإيمان – **ولولا أنت يا عليُّ لم يُعرف المؤمنون بعدي** – ميزان الإيمان عليٌّ صلوات الله عليه – **ولولا أنت يا عليُّ لم يُعرف المؤمنون بعدي** – لماذا؟ كما قال صلى الله عليه وآله – **والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك** – هذه حقيقة الإيمان وشبيه الشيء منجذبٌ إليه، هذا هو قانون الطبيعة، شبيه الشيء منجذبٌ إليه، فإذا كان هذا الوجود هكذا يصفه رسول الله والإيمان مخالطٌ لحمه ودمه، فلذلك أي شيءٍ سينجذب إليه؟ ستنجذب إليه النفوس والأرواح التي يتجلى في مرائيها شيءٌ من ذلك الإيمان – **ولولا أنت يا عليُّ لم يُعرف المؤمنون بعدي وكان بعدهُ هدىً من الضلال ونوراً من العمى** – إلى آخر الدعاء الشريف، هذه ومضةٌ خاطفة ونحن نقف على أعتاب هذه الأبواب – **وَأَبْوابَ الإيمان** – هذه ومضة خاطفة، هذه قبسة عجلانٍ على أعتاب أبواب الإيمان وأمناء الرحمن.

في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف الرواية: **عن مدرك بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الإسلام عريان فلباسهُ الحياء وزينتهُ الوقار ومروءته العمل الصالح وعمادهُ الورع ولكل شيءٍ أساس** – هذه هي طبيعةُ التكوين وطبيعة التشريع لكل شيءٍ أساس، هذه هي طبيعة الحياة المادية بموادها واشتقاقاتها، وطبيعة الحياة المعنوية بكل تجلياتها – **لكل شيءٍ أساس وأساس والإسلام حبنا أهل البيت** – هذا قانون، هذا تصريح وبيان جلي ومختصر من رسول الله صلى الله عليه وآله – **ولكل شيءٍ أساس وأساس والإسلام حبنا أهل البيت** – من هنا يبدأ الإسلام ومن هنا يبدأ الإيمان والإسلام هنا هو الإيمان، الإسلام هنا هو التسليم والتسليم

هو الإيمان، وأساس هذا الإيمان وأساس هذا التسليم وأساس هذا الإسلام هو حبهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قد نجدُ تفصيلاً لمظاهر هذا الحب ولمظاهر هذا الإيمان قد نجد تفصيلاً لمظاهر هذا الأساس – **لكل شيءٍ أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت.**

أيضاً الرواية في الكافي: **عن القاسم بن بريد قال: حدثنا أبو عمرٍ الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلتُ لهُ: أيها العالم أخبرني أيُّ الأعمال أفضلُ عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به** – هو هذا أفضل الأعمال، السؤال: – **أيُّها العالم أخبرني أيُّ الأعمال أفضلُ عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به** – أساس قبول العمل – **قلت: وما هو؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمال درجةً وأشرفها منزلةً وأسناها حظاً، قال: قلت: ألا تخبرني عن الإيمان أقولٌ هو وعمل أم قولٌ بلا عمل؟ فقال: الإيمان عملٌ كله والقول بعض ذلك العمل** – الإيمان عملٌ كله والقول إنما هو جزءٌ من ذلك العمل، فقد عدَّ القول من العمل والقول هو في الواقع جزءٌ من العمل – **فقال: الإيمان عملٌ كله والقول بعض ذلك العمل بفرضٍ من الله بيَّن في كتابه** – بفرضٍ من الله بَيَّن في كتابهِ أو بَيِّنٍ في كتابه – **واضحٌ نوره ثابتةٌ حجته يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه قال: قلت: صِفهُ لي جُعِلتُ فداك حتى أفهمه** – الحديث هنا عن الإيمان – **فقال: الإيمان عملٌ كله والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بَيَّنَ أو بَيِّنٍ في كتابهِ وهو واضحٌ نوره، ثابتةٌ حجته، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه، قال: قلت: صِفهُ لي جُعِلتُ فداك حتى أفهمه! قال: الإيمان حالاتٌ ودرجاتٌ وطبقاتٌ ومنازل فمنهُ التام المنتهى تمامه، ومنه الناقص البين نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه** – إذاً هناك درجات للإيمان، مراتب، وهم أبواب الإيمان، هم أبوابٌ لكل مراتب الإيمان في العوالم العلوية وفي العوالم السفلية – **الإيمان حالاتٌ ودرجاتٌ وطبقاتٌ ومنازل، فمنهُ التام المنتهى تمامه، ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه، قلتُ: إن الإيمان ليَتمُ وينقص ويزيد؟! قال: نعم، قلتُ: كيف ذلك؟! قال: لأن الله تبارك وتعالى فرضَ الإيمان على جوارح بن آدم وقسمهُ عليها وفرقهُ فيها فليس من جوارحهِ جارحةٌ إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، فمنها قلبهُ الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنهِ الذي لا تَرِدُ الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره، ومنها عيناه اللتان يبصر بهما وأذناه اللتان يسمع بهما ويداه اللتان يبطش بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجهُ الذي ألباهُ من قِبَله** – ألباه يعني الجنس – **ولسانهُ الذي ينطق به ورأسه الذي فيه وجهه فليس من هذه جارحةٌ إلا وقد وُكِّلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرضٍ من الله تبارك اسمه** – الرواية طويلة، الرواية موجودة في الصفحة التاسعة والخمسين، في الصفحة الستين، في الحادية والستين، في الثانية والستين وفي الثالثة والستين، الرواية طويلة ولا

يسع المجال لقراءة كل تفاصيلها لكنني أكتفي بما قرأتهُ من سطورٍ من هذه الرواية، المعنى المستخلص من هذه الرواية: أولاً: الإيمان حالاتٌ ودرجاتٌ وطبقاتٌ ومنازل، فمنهُ التام المنتهى تمامه، ومنه الناقص البيِّنٌ نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه، هذا أولاً، إذاً الإيمان على مراتب، ما بين المرتبة الكاملة إلى أضعف المراتب. النقطة الثانية: لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح بن آدم، الإيمان مفروضٌ على جميع الجوارح ومن هنا جاء في الحديث من صام صامت جوارحه لأن الصيام هو مظهرُ النبوة المُحَمَّدية.

﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ الصبر هنا جاء في روايات أهل البيت بمعنى الصيام وبمعنى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وبمعنى النبوة، فالصيام هو المظهر العبادي للنبوة المُحمَّدية ولذلك من صام صامت جوارحه والنبوة المُحَمَّدية هي العنوان الأكمل للإيمان، والرواية هنا تقول – **لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح بن آدم** – وفي الرواية إشارةٌ واضحة لمعنى التسليم ولمعنى السالمية، فإن التسليم كلما كان أعمق وكلما كان أرقى كلما كانت جوارح الإنسان بكلها وبكل آثارها في مقام الطاعة لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، لأن الإيمان مبثوث مفروضٌ على كل الجوارح، فكلما صامت هذه الجوارح عن غير مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد كلما كانت هذه الجوارح في المقام الأعمق في المقام الأرقى للتسليم لهم ولولايتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الإيمان مبثوثٌ على جميع الجوارح والصيام مطلوب من جميع الجوارح، والصيام هنا هو الإيمان، هو مظهر النبوة والنبوة هي الإيمان، النبوة هي الإيمان وفي باطنها الولاية، جوهر النبوة الولاية، الولاية هي العنوان الفسيح تتمظهر بالنبوة وتتمظهر بالإمامة، فجوهر النبوة الولاية وجوهر الإمامة الولاية، ومن صام صامت جوارحهُ، تصوم الجوارح عن كل جهةٍ تتنافى مع الولاية عن كل جهةٍ تتنافى مع النبوة والإمامة، والناس على مراتب، وصيام الجوارح على مراتب ليس كل الناس ليس كل المؤمنين بنفس المرتبة في صيام جوارحهم وفي قيام جوارحهم بفروض الإيمان والطاعة.

هناك رواية في الكافي الشريف، رواية جميلة جداً تتحدث عن مراتب الإيمان، ماذا تقول هذه الرواية؟ الرواية: **عن شهابٍ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو عَلِمَ الناسُ كيفَ خَلَق الله تبارك وتعالى هذا الخلق لم يلم أحدٌ أحداً** – الكلام بحاجة إلى تدبر إلى تَعَمُّق في الفهم – **لو عَلمَ الناسُ كيفَ خَلَق الله تبارك وتعالى هذا الخلق لم يَلُم أحدٌ أحداً، فقلتُ: أصلحك الله فكيف ذاك؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى خلق أجزاءً بلغ بها تسعة وأربعين جزءاً** – التسعة والأربعون هم حاصل سبعة في سبعة، وهذا الرقم له خصوصية في أساس التكوين وحتى في أساس التشريع – **إن الله تبارك وتعالى خَلَق أجزاءً بلغ بها تسعة وأربعين جزءاً ثم جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة أعشار** – يعني إذا أردنا أن نعرف الناتج فلنضرب تسعة وأربعين في عشرة، الناتج 490 – **ثم جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة**

أعشار – الآن عندنا 490 عُشر، لأن الأجزاء كانت تسعة وأربعين فجعل في كل جزءٍ عشرة أعشار، ثم قَسّمَهُ بين الخلق – **ثم جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة أعشار ثم قَسّمهُ بين الخلق فجعل في رجلٍ عُشر جزء** – يعني واحد على 490 – **فجعل في رجلٍ عُشر جزء وفي آخر عُشري جزء حتى بلغ به جزءاً تاماً** – يعني عشرة على 490 – **وفي آخر جزءاً وعُشر جزء وآخر جزءاً وعُشري جزء وآخر جزءاً وثلاثة أعشار جزء حتى بلغ به جزئين تامين** – يعني اثنين على تسعة وأربعين أو عشرين على 490 – **ثم بحساب ذلك حتى بلغ بأرفعهم تسعةً وأربعين جزءاً** – يعني من واحد على 490 إلى 490 على 490 – **فمن لم يجعل فيه إلا عُشر جزء لم يقدر على أن يكون مثل صاحب العُشرَين، وكذلك صاحب العُشرَين لا يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار، وكذلك من تم له جزء لا يقدر على أن يكون مثل صاحب الجُزئين ولو عَلِمَ الناسُ أن الله عزَّ وجلَّ خلق هذا الخلق على هذا لم يَلُم أحدٌ أحداً** – في ذلك إشارة من بعيد إلى ما جاء في الأحاديث الشريفة – **لو عَلِمَ أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله أو لترحم على قاتله أو لَكَفّرَه** – وكان أبو ذر من أصحاب الثامنة من أصحاب الدرجة الثامنة، وكان سلمان من أصحاب الدرجة العاشرة.

الرواية تريد أن تحدثنا عن مثل هذه المضامين والمقام لا يسمح للتفصيلات في كل هذه الجزئيات إنما أنا أحاول أن أعرض الخطوط الرئيسة، أحاول أن أعرض المطالب المهمة التي ينتفع منها المؤمنون والمؤمنات إن شاء الله تعالى، هذه ومضةٌ أخرى في معنى الإيمان وفي مراتب الإيمان ودرجات الإيمان، هم أبواب الإيمان، الإيمان هم، والإيمان يتجلى منهم، والإيمان يصلُ إلينا من خلالهم، مرَّ علينا أن قلوبنا خُلقت من فاضل طينة أبدانهم لذلك هذه القلوب تحنّ إليهم، مرَّ علينا في الحلقة الماضية مثل هذه المعاني، قلوبنا تحنّ إليهم، ليس في الحلقة الماضية وإنما في الحلقة التي قبلها حين وقفنا عند قول الزيارة – **وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ** – إذ كانت الحلقة الماضية في قول الزيارة – **وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ** – حين شرحت معنى وعناصر الأبرار ذكرت جملةً من الأحاديث ومن الروايات التي بيّنت أن قلوبنا خلقت من فاضل طينة أبدانهم لذلك هذه القلوب تحنُّ إليهم، فالإيمان صادرٌ منهم إلينا والإيمان ثابتٌ في قلوبنا وفي قلوب غيرنا حتى في قلوب الأنبياء والأوصياء السابقين، وفي قلوب الملائكة المقربين، ثباته بسبب إيمانهم لأنهم هم حقيقة الإيمان، والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك، واللحم والدم هنا قد يكون في العالم الأرضي لكن في العوالم العلوية اللحم والدم له دلالة وإشارةٌ أخرى، وهذه المعاني تتجلى كثيراً لنا حتى في نفس الزيارة الجامعة الكبيرة يعني حينما نتتبع كلمات الزيارة الجامعة الكبيرة فنراها جلية واضحة من أولها إلى آخرها تتحدث عن هذه المضامين – **مَنْ أَتاكُمْ نَجا، وَمَنْ لم يَأتِكُمْ هَلَكَ، إِلَى اللهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ**

تُسَلِّمونَ، وَبِأمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَإلى سَبيلِهِ تُرْشِدُونَ – هذا مثال نموذج وإلا فعبارات الزيارة الجامعة الكبيرة كلها تصبُ في هذه الجهة، لكن هذا مثال أنا اقتطعته من الزيارة الجامعة الكبيرة، المؤمنون يحدِّثُنا عنهم القرآن فماذا يقول؟ من هم المؤمنون؟ ما هي صفاتهم؟ ما هي أوصافهم؟ المؤمنون هم الثابتون هم الواقفون على أعتاب هذه الأبواب، ألسنا نخاطبهم: **وَأَبْوابَ الإيمان**، المؤمنون هم الثابتون على هذه الأبواب.

في سورة الأحزاب الآية السادسة والثلاثون ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ هنا يتجلى لنا معنى أن الإيمان مبثوث على الجوارح مُقَسَّمٌ على الجوارح ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ فالمؤمنون والمؤمنات مُسَلِّمون بكل جوارحهم وبكل جوانحهم وهذا هو الإيمان ومن دون ذلك فلا إيمان، فالإيمان هو التسليم والتسليم هو الإسلام ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** ﴾ ليس لهم الخِيَرَة من أمرهم مطلقاً، الإيمان يقتضي أن الجوارح تستجيب لإيمانها، وإنما تستجيب الجوارح إذا صامت، صامت عن غير إرادة رسول الله، لأن هذه الجوارح متوجهة إلى إرادة رسول الله وهي صائمة عن غير إرادة رسول الله ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ** ﴾.

في آية أخرى في سورة النور في الآية الحادية والخمسين ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحونَ** ﴾ سمعنا يعني الأذن، الإيمان مبثوثٌ على الجوارح، وأطعنا الطاعة بالقلب والعقل وباليد والرجل ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحونَ** ﴾. في سورة النساء التصريح واضحٌ وجلي، في الآية الخامسة والستين ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حتى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾ الآية صريحة وواضحة في آثار الإيمان وفي دلائل الإيمان في حياة المؤمنين ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حتى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** – فيما اختلفوا فيه – **فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا** – النفوس

مُسَلّمة الإيمان مبثوث على الجوارح – ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

هذه الآيات تتحدث عن آثار الإيمان والذي هو ارتباطٌ برسول الله ارتباط بأهل البيت، الآيات صريحة، الآيات تتحدث عن الإيمان بمعنى التسليم، والتسليم إنما هو فرع الاعتقاد بالولاية، التسليم إنما هو فرع الاعتقاد بالمحبة والنُصرة، كيف يتحقق معنى التسليم ما لم تجتمع هذه الأجزاء، المحبة، النُصرة، المعرفة، الولاية، التولي، التبري، كُلُّ هذه المعاني، الولاية والبراءة، المحبة والمعرفة، النُصرة، الخدمة، هذه المعاني بمجموعها هي التي ينشأ منها التسليم، والآيات واضحة وصريحة ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى ﴾ آخر الآية ماذا قالت؟ ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ فلا وربك لا يؤمنون حتى يُسلموا تسليماً، والتسليم هو فرع المحبة والمعرفة والولاية والبراءة، وهذا هو معنى أنَّ الإيمان هو ولاية عليٍّ وآل عليّ، أنا هنا لست بصدد بحثٍ فقهي كي أثبت بالأدلة الفقهية وبالأدلة النقلية وبالأحاديث المتواترة تواتراً معنوياً عن أهل بيت العصمة من أن الإيمان هو ولاية عليٍّ وآل عليّ ولا غير ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ من أبتغى وراء ذلك فأولئك هم المُنكرون هم المرتدون عن دين مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد الروايات هكذا حدثتنا، الإيمان هو ولاية عليٍّ وآل عليّ، وأنا هنا كما قلت لست بصدد إثبات هذه المسألة من الوجهة الفقهية فذلك أمرٌ موكول إلى مضانهِ، ولست بصدد إيراد أقوال علمائنا الأجلاء من العُصُر الأولى وإلى يومنا هذا في إثبات هذه القضية، أنا هنا بصدد بيانِ وشرح معاني الزيارة الجامعة الكبيرة لإخواني ولأخواتي ولأبنائي وبناتي من مُحبي أهل البيت، نحن نعيش في أفياء هذه المعاني وفي أجواء المحبة المُحَمَّدية العلوية، لست بصدد الجدل والإثبات، ولكن أدنى تبصر في هذه الآيات، أدنى تبصر في هذه النصوص التي قرأت بعضاً منها وسأقرأ البقية الباقية بحسب ما يسمح به الوقت، أدنى تبصر، أدنى تفكر يوصلنا إلى هذه النتيجة الصُراح، النتيجة البينة الجلية أن الإيمان هو ولاية عليٍّ وآل عليّ، هو الولاية المُحَمَّدية العلوية.

وقد مرَّ علينا في الحلقة الماضية جملة من الأحاديث التي كانت تصرح بأن الأعمال لن تقبل من العباد من دون ولاية عليٍّ وآل عليّ وهي جزءٌ من هذا المعنى، لأن الأعمال لن تقبل إلا بقيد الإيمان كما مرَّ علينا قبل قليل في رواية الكافي حين سأل السائل إمامنا الصادق أخبرني عن أي الأعمال أفضل؟ قال: أفضل الأعمال العمل الذي لا يقبل الله من العباد أيَّ عملٍ من دونهِ وهو الإيمان، وما تلكم الروايات التي مرت علينا إلا شرح وبيان لهذه الحقيقة، أتناول أمثلة ونماذج أخرى تصبُ في هذا الباب، تصب في هذا الاتجاه.

في محاسن البرقي بسندهِ **عن أبي سعيدٍ الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لو أن عبداً عَبَدَ الله ألف عام ما بين الركن والمقام ثم ذُبح كما يُذبح الكبش مظلوماً لبعثهُ الله مع النفر**

الذين يقتدي بهم ويهتدي بهداهم – هذا هو القانون والقضية منطقية وواضحة – **لو أن عبداً عَبَدَ الله ألف عام ما بين الركن والمقام ثم ذُبِح كما يُذبح الكبش مظلوماً لبعثهُ الله مع النفر الذين يقتدي بهم ويهتدي بهداهم ويسير بسيرتهم إن جنةً فجنة وإن ناراً فنار** – وهذا هو القانون وهذه هي القاعدة التي يقبلها المنطق وتقبلها الفطرة.

الرواية **عن عبد الرحمن بن كثير قال: حججت مع أبي عبد الله عليه السلام فلمَّا صِرنا في بعض الطريق صَعدَ على جبلٍ فأشرف، أشرفَ من جهةٍ عالية فنظر إلى الناس فقال: ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج، فقال له داوود الرقي: يا ابن رسول الله هل يستجيب الله دعاء هذا الجمع الذي أرى؟ قال: ويحك يا أبا سليمان إن الله لا يغفر أن يُشرك به، الجاحد لولاية عليٍّ كعابد وثن فكيف يُغفر له** – فإنه يعبد أوثاناً.

عن الثمالي قال: **خَطَبَ أميرُ المؤمنين عليه السلام فَحَمَد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله اصطفى مُحَمَّداً بالرسالة وأنبأه بالوحي فأنال في الناس وأنال، وفينا أهل البيت معاقل العلم وأبواب الحكمة وضياء الأمر، فمن يحبنا منكم نفعه إيمانه ويُقبل منه عمله ومن لم يحبنا منكم لم ينفعه إيمانه ولا يُقبل منه عمله** – النصوص في هذا المضمون في هذا المعنى النصوص كثيرة جداً، أما أولئك الذين لا حظ لهم في معرفة حديث أهل البيت فيقولون بأن هذه الأحاديث تتعارض مع نصوص الكتاب، فقد سمعتم في الحلقات الماضية وفي هذا اليوم وفي برامج أخرى النصوص الكثيرة الواضحة التي تتحدث عن هذه الحقيقة، واعتماداً على ألفاظها من دون الرجوع إلى الروايات الشارحة، أما إذا أردنا أن نرجع إلى الروايات الشارحة للنصوص فإن القرآن من أولهِ إلى آخره يدور في هذا المعنى ويدور في هذا المضمون.

الرواية: **عن ابن مسكان عن زرارة قال: سُئِل أبو عبد الله عليه السلام وأنا جالسٌ عن قول الله: ﴿مَن جَاء بِالحسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾** – سُئِل عن هذه الآية وكان السؤال هكذا – **يجري لهؤلاء** – لهؤلاء يعني للمخالفين – **يجري لهؤلاء ممن لا يعرف منهم هذا الأمر** – ولاية عليٍّ وآل عليّ، يعني هذه القاعدة هذا القانون: **﴿مَن جَاء بِالحسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ يجري لهؤلاء ممن لا يعرف منهم هذا الأمر؟ فقال: لا إنما هذه للمؤمنين خاصة، قلت له: أصلحك الله أرأيت من صام وصلى واجتنب المحارم وحسن ورعه ممن لا يعرف** – لا يعرف عليّاً وآل عليّ – **ولا ينصب العداء فقال: إن الله يُدخل أولئك الجنة برحمته** – لا باستحقاقٍ منهم وإنما يدخلهم الجنة برحمته.

عن أبي بصيرٍ عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قول الله عزَّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا

وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ **في الصلاة والزكاة والصوم والخير** – الإمام يبين المعنى بعد أن قرأ الآيات – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ – الإمام مستمر – **في الصلاة والزكاة والصوم والخير إذا تولوا الله ورسوله وأولي الأمر منا أهل البيت قَبَلَ الله أعمالهم** – هذه الأوصاف هذه المعاني مشروطة بهذا الشرط.

الرواية: **عن الحارث بن المغيرة قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فدخل عليه داخل فقال يا ابن رسول الله: ما أكثر الحاج العام** – يعني هذا العام – **فقال: إن شاءوا فليكثروا وإن شاءوا فليقلوا والله ما يقبل الله إلا منكم ولا يغفر إلا لكم** – هذا الرجل ماذا يقول؟ – **يا ابن رسول الله: ما أكثر الحاج** – الحجاج عددهم كثير هذا العام – **فقال: إن شاءوا فليكثروا وإن شاءوا فليقلوا والله ما يقبل الله إلا منكم ولا يغفر إلا لكم** – السرُ هو في الإيمان والإيمان في الحقيقة هو الولاية لعليٍّ وآل عليّ.

عن عمر بن حنظلة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن آيةً في القرآن تشككني – تثير عندي الشكوك تثير عندي التساؤلات – **قال: وما هي؟ قلت: قول الله:** ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ – وأنا قلت فيما سلف في هذا البرنامج وفي البرامج الأخرى التقوى ولاية عليّ، والمتقون في القرآن هم المُعتقدون بولاية عليّ وهذا المعنى واضحٌ في كلمات المعصومين – ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ **قال: أيُّ شيءٍ شككت فيها؟ قلت: من صلى وصام وعَبَدَ الله قُبِل منه؟ قال: إنما يتقبل الله من المتقين العارفين** – العارفين بإمام زمانهم، العارفين بولاية عليٍّ وآل عليّ – **ثم قال: أنت أزهد في الدنيا أم الضحاك بن قيس** – الضحاك بن قيس رجل كان معروف بالزهادة – **قلتُ: لا بل الضحاك بن قيس** – لأنه قد ألتزم بمظاهر الزهد – **قال: فذلك لا يتقبل منه شيء مما ذكرت** – لماذا – **لأنهُ ليس من المتقين العارفين وإنما يتقبل الله من المتقين** – إنما تفيد الحصر، التقبل من المتقين والمتقون هم الذين إمامهم إمام المتقين عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه.

النصوص كثيرة جداً أكتفي بهذا النص وأنقل الحديث إلى جهةٍ أخرى. هذا النص ينقلهُ إمامنا الزاكي العسكري عن إمامنا الصادق ماذا يقول إمامنا الصادق؟ **أعظم الناس حسرةً رجلٌ جمع مالاً عظيماً بكدٍ شديد ومباشرة الأهوال وتعرض الأخطار ثم أفنى ماله صدقات ومبرات** – المبرات هو عمل الخير – **وأفنى شبابهُ وقوته في عباداتٍ وصلوات وهو مع ذلك لا يرى لعليّ بن أبي طالبٍ حقه ولا يعرف له**

من الإسلام محلة ويرى أن من لا يُعشرهُ ولا يُعشِرُ عشير معشارهِ أفضل منه – يعتقد بأن أناساً لا يُعشرون عليّ، أي لا يصلون إلى عُشر عليّ، بل ولا يُعشر عشير معشارهِ، المعشار هو عُشر العشر، وهذه الكسور وهذه الأجزاء هي أقل ما يمكن ذكرها في لغة العرب، وهو مع ذلك مع كل عباداتهِ وصلواتهِ وأموالهِ التي أنفقها في المبرات – **لا يرى لعليّ بن أبي طالبٍ حقه ولا يعرف له من الإسلام محلة ويرى أن من لا يُعشرهُ ولا يُعشِرُ عشير معشارهِ أفضل منه يُواقفُ على الحُجج** – على الحجج التي تثبت ولاية عليّ – **فلا يتأملها** – هكذا يمر عليها – **يُواقفُ على الحُجج فلا يتأملها ويُحتَجُّ عليها أو ويَحتَجُّ عليها بالآيات والأخبار** – ويحتَجُّ عليها الذين إذا ما حاججوه، أو هو يحتجُّ عليها بالآيات والأخبار بحسب فهمهِ – **يُواقفُ على الحجج فلا يتأملها ويُحتَجُّ عليها بالآيات والأخبار فيأبى** – يأبى الحجج والأخبار المُقامة عليه – **إلا تمادياً في غيّه فذاك أعظم حسرةً من كل من يأتي يوم القيامة وصدقاتهُ ممثلةٌ له في مثال الأفاعي تنهشه، وصلواته وعباداته ممثلةٌ له في مثال الزبانية تتبعه حتى تدعه إلى جهنم دعا، يقول: يا ويلي ألم أكُ من المصلين، ألم أكُ من المزكين، ألم أكُ عن أموال الناس ونسائهم من المتعففين، فلماذا دهيت بما دهيت، ما الذي أصابني؟ فيُقال له: يا شقي ما نفعك ما عملت وقد ضيعت أعظم الفروض بعد توحيد الله والإيمان بنبوة مُحَمَّدٍ رسول الله صلى الله عليه وآله ضيعت ما لزمك من معرفة حق عليٍّ ولي الله وألتزمت ما حرم الله عليك من الإئتمام بعدو الله فلو كان لك بدل أعمالك هذه عبادة الدهر من أولهِ إلى آخره وبدل صدقاتك الصدقة بكل أموال الدنيا بل بملء الأرض ذهباً لما زادك ذلك من رحمة الله إلا بُعداً ومن سخط الله إلا قرباً** – الرواية واضحة لماذا كل هذا؟! الكلام يمكن أن يقع في جهتين:

الجهة الأولى هذه العبادات عبادات إبليسية، إبليس لم يرفض السجود لله رفض السجود لآدم، والأحاديث تخبرنا أن إبليس قال يا ربي أعفني من هذه السجدة وسأسجد لك سجدةً خمسة ألاف سنة، قال يا إبليس أنا أريد أن أُعْبَد وأن أُطاع من حيث أريد لا من حيث تريد أنت، الله سبحانه وتعالى يريد أن يُعبد وأن يُطاع من حيث هو يريد لا من حيث يريد الناس، مثلاً أبو بكر، أبو بكر خليفة على المسلمين لكنه خليفة نصبهُ الناس، هو خليفة الناس، عليٌّ خليفةٌ على المسلمين نصبهُ رسول الله في الغدير، الله نصبه في الغدير، الله يريد الخلافة من حيث هو نصبها لا من حيث نصب الناس الخليفة، عليٌّ إمامٌ من الله وغيره إمامٌ من الناس، لذلك هذه التسمية بأن فلان خليفة رسول الله متى نصبهُ رسول الله حتى صار خليفةً لرسول الله؟!

إذا المقصود صار خليفةً لرسول الله بعد رسول الله من الجهة الزمانية نعم، من الجهة الزمانية هو خليفة رسول الله بعد رسول الله من الجهة الزمانية وهو عاصٍ لرسول الله في هذه القضية في نفس الوقت، الله سبحانه

وتعالى يريد أن يُطاع من حيث هو يريد لا من حيث نحن نريد، هذه الرواية هذا الذي قضى عمرهُ في العبادة وأنفق أموالهُ في المبرات فصارت صدقاتهُ أفاعي وصارت عباداتهُ زبانية تدعه إلى الجحيم دعّاً لأنهُ جاء بعبادةٍ من الباب الذي لا يريدهُ الله، القضية واضحة، إبليس كان هو أفضل الجان لذلك رفعه الله إلى عالم الملائكة، إبليس عابد كان عابداً وكان أفضل أُمَّتهِ من الجان فجعله الله في مصاف الملائكة وكان عالماً، هو عالم عالِم بكل الخير وبكل الشر لذلك هو ينهى عن كل خيرٍ ويأمر بكل شر، وإلا كيف ينهى عن كل خير ويأمر بكل شر ما لم يكن عالِماً بالاثنين، فهو عالِم وعابدٌ حتى هذه الرواية أنهُ طلب من الله أن يسجد له سجدة خمسة ألاف سنة هو عابد في غاية العبادة لكن هذه العبادة وهذا العلم وهذه الخيرية وهذا القرب ما جاء من الباب الذي يريده الله، السرُ هنا.

هؤلاء أُناس عبادتهم إبليسية دينهم إبليسي عقيدتهم إبليسية، إنهم ذهبوا من الباب الذي لم يفتحه الله لهم، نحن نقول – **وَأَبْوابَ الإيمان** – هذه هي الأبواب المفتوحة التي يدخل من خلالها الإيمان ويخرج منها الإيمان، فيخرج الإيمان من هذه الأبواب إلينا وأعمالنا التي هي صورٌ لإيماننا تدخل من خلال هذه الأبواب، فأيُّ إيمان آخر لا يخرج من هذه الأبواب هو إيمان إبليسي، وأي عملٍ يصدر عن إيمان العبد ما لم يدخل من هذه الأبواب فهو عملٌ إبليسي وإيمان إبليسي القضية هنا، القضية ليست مسألة مزاجية أو مسألة طائفية أو مسألة تعصب لأشخاص نحن نحبهم، هناك عبادة إلهية وهناك عبادة إبليسية، العبادة الإلهية العبادة التي تأتي من خلال الأبواب والجهات التي فتحها الله.

لنفترض أن أشخاصاً حينما غُيرت القبلة إلى الكعبة فلنفترض أن أشخاصاً لم يُغيروا وبقوا يصلون إلى بيت المقدس ويقولون هذه هي القبلة الأولى ونحن نصلي ونتعبد لله هل تُقبل صلاتهم؟ لا تُقبل صلاتهم لأن الله أراد أن العبادة تأتي من جهة الكعبة في التوجه البدني والجسدي والجغرافي، وأنا قلت في برنامج قرآننا بأن تغيير الكعبة هذا الموضوع له رابطة ارتباط بقضية بيعة الغدير، وشرحتهُ في حينها، وبينت العلاقة بين تغيير الكعبة وبين بيعة الغدير بين ولاية عليٍّ في ذلك رمزية واضحة، الله سبحانه وتعالى فتح لنا أبواباً يريد منا أن نأخذ من هذه الأبواب، ما يخرج من هذه الأبواب نحن نأخذهُ فنسلم به ونعمل به، وأعمالنا أيضاً تصل إلى الله من خلال هذه الأبواب، هم أبواب الإيمان، هذه النقطة الأولى.

النقطة الثانية: إنما تُقبل الأعمال بولاية عليّ وولاية علي هي الإيمان، هذه الأعمال لها مادة، نحن قد نرى الأشياء المادية في الحياة، لكن الأشياء المعنوية نحن لا نراها، على سبيل المثال مثلاً حينما يسألون الأئمة أن الملائكة كيف يعلمون بنية الشخص إذا كانت نيته حسنة أو سيئة، يعني إذا نوى نيةً حسنة أو نوى نيةً سيئة، الأئمة هكذا يخبرونا الإمام الصادق وغيرهُ صلوات الله عليهم بأن الإنسان حين ينوي نيةً حسنة تنبعث منه رائحة طيبة تشمها الملائكة وحين ينوي نيةً سيئة تنبعث منه رائحة كريهة، فالملك يعرف بأن هذا

الشخص قد نوى نيةً حسنة أو نوى نية سيئة، هذه الروائح نحن لا نشمها لأنها ليست من سنخية الروائح الدنيوية التي نشمها بهذه المشام الموجودة عندنا، لابد أن تتطور هذه المشام الموجودة عندنا حتى تستطيع أن تشم هذه الروائح، ولو تمكن إنسان أن يشم هذه الروائح فليس بهذه الحواس وإنما بالبصيرة، هذه الأعمال لها مادة نحن نقرأ في الروايات أن عمل الإنسان يأتيه إما بصورة شابٍ جميل أو بصورة إنسان قبيح المنظر في قبرهِ، هذه الأعمال لها مادة، أصل هذه المادة هي ولاية عليٍّ، هذه الأعمال تتكون من مادة، المادة هي ولاية عليٍّ، فنحن إذا جئنا فصنعنا الأعمال بولاية عليٍّ هذه الأعمال تُقبل، يعني الآن نأخذ شخصين، نطلب من شخصين نقول لهما يا فلان ويا فلان ليصنع كل واحد منكما قالباً من الكيك أو أرغفةً من الخبز أصنعوا لنا أرغفةً من الخبز أخبزوا لنا خبزاً، واحد يذهب فيأخذ من كيس الطحين مقداراً من الطحين وتبدأ العملية بمزازجة الماء مع الطحين فالعجين ثم بعد ذلك يخبز ويأتينا بالخبز، وشخص آخر يذهب فيأخذ تراباً يمازجه بالماء ويصنع عجينة من الطين شبيهة بعجينة الطحين ثم يصنع لنا أرغفة من هذا الطين وأيضاً يضعها في التنور وتفخر، فهذا يأتينا بخبزٍ قد نضج واستوى من طحين جاء به من كيس الطحين، وهذا يأتينا بأشياء تشبه الخبز، بنحتٍ، فقد صنع عجيناً من طين ثم خبز أرغفةً من طين ثم فخرها في النار، نحن بحاجةٍ إلى خبز سنأخذ الخبز نضعهُ في مكانهِ ونأخذ هذه الأحجار نلقيها خارج البيت لماذا؟

لأن هذا الذي صنع الخبز صنع الخبز من المادة المطلوبة التي يُصنع منها الخبز، وذاك صنع شيئاً يشبه الخبز ليس خبزاً فنحن لا نريدهُ نلقي به خارجاً، مادة العمل هي ولاية أهل البيت، هذه الولاية لها وجود لها تصور، صحيح نحن لا نتلمسهُ باليد لكن هذه الروايات التي تتحدث عن الطينة وأن هذه العقول خُلِقت من فاضل طينة أبدانهم وهناك رباط وأنا هنا لا أريد الدخول في حديث الطينة بالنحو الذي قد يفهمه البعض بنحو الجبر فلا جبر في أحاديث الطينة وأأتي على شرحها في الوقت المناسب، هذه الولاية ولاية عليٍّ لها مادة، سَمها ما شئت، مادة معنوية، مادة نورانية، مادة ملائكية، مادة ملكوتية، قل ما شئت لها مادة لها حقيقة، نحن بالولاية هذه نصنع أعمالنا، الآخرون الذين والوا غير عليٍّ أيضاً عندهم مادة يصنعون منها الأعمال، فهؤلاء الذين والوا عليّاً صنعوا الخبز من الطحين، وأولئك الذين والوا غير عليٍّ صنعوا الخبز الذي صنعوه من تراب، فهنا يكون الفارق والقضية أعمق من هذا وإن شاء الله نتناولها.

أما إذا سمعتم من فلان وفلان كلاماً في غير هذا الأفق فذلك ينمُ عن جهلٍ بحديث أهل البيت، هذا أولاً، وعن سطحيةٍ في الفهم هذا ثانياً، وعن مرضٍ في القلب يشدهُ إلى من يُضاضد عليّاً صلوات الله عليه، فهناك جهلٌ وهناك سطحيةٌ وهناك مرضٌ والقضية هنا، هناك مرض هذه قلوب مريضة ونفوس مريضة، السرُ هنا إذاً، سرُ قبول الأعمال بسبب ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه أن ولاية عليٍّ هي مادة العمل الذي يريده الله، فولاية عليٍّ هي ولاية الله، في بعض الأحاديث القدسية وقد رأيت هذا الحديث ليس في

كتب الشيعة فقط في كتب الشيعة وفي كتب غيرهم – **من أطاعني وعصى عليّاً أدخلته النار ولا أبالي، ومن عصاني وأطاع عليّاً أدخلتهُ الجنة ولا أبالي** – الحديث هنا فيه إشارة وإلا لا يوجد هناك فارقٌ بين طاعة الله وبين طاعة عليٍّ، لا يوجد هناك فارقٌ بين معصية الله ومعصية عليّ – **من أطاعكم فقد أطاع الله ومن عصاكم فقد عصى الله ومن أطاع الله فقد أطاعكم ومن عصى الله فقد عصاكم** – لكن الحديث يريد أن يشير إلى نكتة دقيقة، النكتة الدقيقة هو أنه لا فارق بين طاعة عليٍّ وبين طاعة الله، لكنهُ صُبَّ بهذا التعبير لبيان منزلة سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه، طاعة عليٍّ هي طاعة الله، ولاية علي هي ولاية الله، من والاكم فقد والى الله ومن عاداكم فقد عادى الله، معرفة عليٍّ هي معرفة الله.

حين نقرأ في حديث المعرفة بالنورانية وهو من أجمل الأحاديث التي تشتمل على كثيرٍ من الإشارات وعلى كثيرٍ من التلويحات وعلى كثير من المضامين العالية في عُمقها ومعناها، أقرأ السطور الأولى من هذا الحديث: **سأل أبو ذرٍ الغفاري سلمان الفارسي رضي الله عنهما يا أبا عبد الله** – أبا عبد الله كنية سلمان – **يا أبا عبد الله ما معرفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانية؟ قال: يا جُندب فامضي بنا حتى نسأله عن ذلك، قال: فأتيناه فلم نجده، قال: فانتظرناه حتى جاء، قال صلوات الله عليه: ما جاء بكما؟ قالا: جئناك يا أمير المؤمنين نسألك عن معرفتك بالنورانية، قال صلوات الله عليه: مرحباً بكما من وليين متعاهدين لدينه لستما بمُقصرين لعمري** – الإمام هنا يُقسِم – **لَعمري أن ذلك الواجب على كل مؤمنٍ ومؤمنة، ثم قال صلوات الله عليه: يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: إنه لا يستكمل أحدٌ الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية** – انتبهوا لهذه الكلمة، كلمة خطيرة جداً – **إنه لا يستكمل أحدٌ الإيمان حتى يعرفني كُنه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفاً مستبصراً ومن قَصَّر عن معرفة ذلك فهو شاكٌ ومرتاب، يا سلمان ويا جُندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة الله عزَّ وجلَّ** – معرفتهُ، معرفة عليٍّ معرفة الله – **معرفتي بالنورانية معرفة الله عزَّ وجلَّ ومعرفة الله عزَّ وجلَّ معرفتي بالنورانية** – الكلمة جداً مهمة وعميقة جداً – **يا سلمان ويا جُندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة الله عزَّ وجلَّ ومعرفة الله عزَّ وجلَّ معرفتي بالنورانية وهو الدينُ الخالص الذي قال الله تعالى:** ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ – مخلصين له، هذا هو الإخلاص – ﴿حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ – موطن

الشاهد هنا – **معرفتي بالنورانية معرفة الله عزَّ وجلَّ ومعرفة الله عزَّ وجلَّ معرفتي بالنورانية وهو الدينُ الخالص** – هذه النورانية هي مادة العمل، هذه المعرفة بالنورانية هي مادة العمل، بقدر ما تشرق هذه النورانية في القلوب بقدر ما تحصل الأعمال على الدرجات، إنما الأعمال بالنيات وما النيات في حقيقتها إلا هي هذه النورانية، إنما الأعمال بالنيات يعني إن العمل حقيقتهُ في نيته والنية إنما هي هذه النورانية في المعرفة، مثل ما رغيف الخبز مادته الطحين، مادة العمل هي النية إنما الأعمال بالنيات، ولذلك في الروايات نية المؤمن خيرٌ من عملهِ لماذا؟ نية المؤمن لأنها هي المادة التي يخلق منها العمل، وهذه النية لها بُعد مادي لكن لا كهذا البُعد المادي المحسوس ولها رائحة لذلك الملائكة تشم الرائحة، قبل قليل أشرت إلى الرواية بأن المؤمن حينما ينوي النية الحسنة الملائكة تشم رائحةً جميلة، وحينما ينوي نيةً سيئة الملائكة تشم رائحةً قبيحة رائحة كريهة، هذه الرائحة منبعثة من المادة، المادة لها رائحة، نية المؤمن خيرٌ من عملهِ لأن هذه النية هي مادة ولكنها مادة ملكوتية، هذه المادة التي يُصنع منها الخبز أو يُصنع منها تمثال الطين هذه مادة أرضية، هناك مادة ملكوتية، الأعمال تنشأ من مادة ملكوتية، وهذه مادة لها واقع لكن هذه الحواس لا تدركها، كم من الأشياء في الأرض لا تدركها حواسنا.

فهناك مادة للعمل هذه المادة أساسها هي هذه النورانية، كلما كانت النورانية أشد كانت المادة أكثر صفاءً، كانت رائقة فكلما كانت المادة أكثر صفاءً كان العمل أكثر جمالاً أكثر نقاءً وهذا هو الإخلاص، الإخلاص الصفاء، منشأ الصفاء ومنشأ الإخلاص هو من طهارة هذه المادة من عمق هذه المادة، فكلما كانت هذه المادة نقية نقائها يأتي من عُمق المعرفة النورانية كانت الأعمال الصادرة أعمال في غاية المراتب العالية، أما أولئك الذين هم في حقيقتهم قذارات، ولايتهم عبارة عن قذارات عن مادة شيطانية، المادة الشيطانية ماذا تنتج؟ المادة الإبليسية ماذا تنتج؟ المادة الإبليسية في غاية القذارة أقذر من كل القذارات الطبيعية، مثل ما تكون المادة الملكوتية أطهر من كل المواد الطاهرة في الأرض، أطهر شيءٍ الماء، المادة الملكوتية أطهر وأنقى من الماء، المادة الإبليسية أيضاً أكثر قذراً من كل القذارات الموجودة، افترض أي قذارة موجودة أي نجاسة، المادة الإبليسية أكثر نجاسة أكثر قذارة فمن تلكم المادة الإبليسية تُخلق أعمالهم ومن هذه المادة الملكوتية تُخلق أعمال أولياء عليّ وهذا السبب في قبول العمل هذه هي الحقيقة.

المعاني أوضح وأعمق وأوسع من كل هذا ولكنني أكتفي بالقليل الذي أذكرهُ، فما لا يُدرك كلهُ لا يُترك كله، وإلا هذه مباحث عميقة، هذه مباحث فلسفية عميقة، هذه المادة الملكوتية إذا أردنا الحديث عنها فإننا نحتاج إلى تتبعٍ في الكتاب الكريم وفي الكتاب الكريم هناك حشدٌ كبير عشرات وعشرات من الآيات لو قرأناها بتدبر لوصلنا إلى هذه النتيجة، فضلاً عن مئات من النصوص، لا أقول عشرات، مئات من النصوص تتحدث عن هذه الحقيقة، وحين أقول ذلك لا أقولهُ على أساس المبالغة أبداً، وأنتم لاحظتم في

البرامج السابقة حينما أتحدث عن موضوعٍ ما فإني أحشد له النصوص من الكتاب الكريم ومن كلمات المعصومين ومع ذلك فالوقت لا يسمح بحشد كل النصوص وإنما بقدر ما يسمح به المقام.

فنحن حين نقفُ على أعتابهم ونقول: **وَأَبْوابَ الإيمان، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ**. إنما نتحدث عن هذه الأبواب الإلهية التي فتحها الله سبحانه وتعالى لكل خلائقه ونحن من ضمنهم نحن نقف على هذه الأعتاب ننتظر فيضهم، فيضهم في كل أبعادهِ، فما عندنا من إيمان فهو منهم، وما عندنا من ولايةٍ فهي منهم، وما عندنا من حُسنٍ فمردهُ إليهم، فإذا كانت أعمالنا حسنة فهي تتشكل من مادتهم من ولايتهم، في الحقيقة هي راجعةٌ إليهم، إذا كان في أعمالنا نقص هذا النقص ليس مردهُ إلى مادة الولاية هذا النقص مردهُ إلى الوعاء الذي نحملهُ إلى المرآة الكدرة التي نحملها لأن المرآة حينما تكون كدرة لا تستطيع أن تعكس النور أن تعكس الضوء صافياً شديداً، كلما كانت المرآة صافية ونقية كلما عكست النور والضوء بنحوٍ أشد، فإذا كانت قلوبنا التي هي مرائي أنفسنا كدرة فحينما تسطع عليه الأنوار العلوية فإنها تردها تعكسها بنحوٍ ضعيف لأن هذه المرايا كدرة لو كانت صافية لعكست النور بنحوٍ أشد، الجمال موجودٌ في هذا النور لكن النقص في نفس المرايا الكدرة العاكسة لهذا النور، فأعمالنا إذا كان فيها نقص النقص من المرايا الكدرة، وإذا كان هناك حُسن فالحسن من جمال الأنوار الساطعة علينا من جمال المادة الملكوتية، والحقيقة هذا الموضوع موضوع جميل، موضوع تهش إليه قلوب المحبين، هذا الموضوع يتناغم مع القلوب المُعبقة بعطر الولاية، هذا الموضوع يطرب النفوس والعقول التي تعيشُ وتتقلب في فناء عليٍّ وآل عليّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولكن الوقت لا يعطينا مجالاً أن نذهب بعيداً فإنني أتحول إلى العنوان الآخر:

وَأَبْوابَ الإيمان، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ. وقلتُ هناك تعانقٌ بين هذين العنوانين – **وَأَبْوابَ الإيمان، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ** – أمناء جمعٌ لأمين والأمينُ هو الذي يُستأمَنُ على الأمر، وإنما يُستأمَنُ على الأمر لأمانته لصدقه ولكفاءته، الأمين يحتاج إلى أمرين: الأمر الأول الأمانة التي تستبطن معنى الصدق والطهارة. والأمر الثاني الكفاءة، الكفاءة التي تستبطن معنى التكبير والحكمة.

وإلا كيف يكون الأمين أميناً ما لم يكن صادقاً وطاهراً في نفسه وما لم يكن كفؤاً مدبراً وحكيماً حتى يستطيع أن يحفظ الأمانة، الأمين إذاً هو الصادقُ الطاهرُ وهو الكفؤ الذي يمتلك القدرة على التدبير والحكمة – **وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ** – وقطعاً الأمين تعلو رتبته بعلو من أستأمنه، مرةً الأمين يكون أميناً للملك، ومرةً الأمين يكون أميناً لرئيس الشرطة، وفارقٌ بين رئيس الشرطة وبين الملك، مرةً يكون الأمينُ أميناً للوزير لرئيس الوزراء، ومرةً يكون الأمينُ أميناً لرئيس الطباخين في المطبخ، وفارقٌ بين هذا وهذا، الأمينُ إذاً هو الصادقُ الطاهرُ في نفسه وهو الكفؤ المدبر الحكيم، وتعلو رتبة الأمين بعلو رتبة من أستأمنه.

فمن هم هؤلاء الأمناء؟ هؤلاء أمناء الرحمن، الرحمنُ هو الذي أستأمنهم، ومن هو الرحمن؟! من هو الرحمن الذي أستأمنهم؟! الرحمن هو الذي أخبرنا القرآن عنه في سورة طه ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ هو المستوي على العرش ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ فهم أمناءه على هذه المعاني – **وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ** – من هو الرحمن؟! جلَّت قدرته وتعالى شأنه وتقدس، الرحمنُ هو يخبرنا في سورة طه في الآية الخامسة وفي الآية السادسة ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ فهم أمناء على كل هذه الاستوائية، على كل هذا المعنى، هم أمناء الرحمن.

وأمناء الرحمن في سورة الحج، في سورة الحج ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ والخطاب هنا قطعاً لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ليست لي ولا لغيري متى رأيت ذلك أنا؟! ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ من منا رأى ذلك؟ هذا الكلام عن الرؤيا الإحاطية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ هذا الكلام هو شرح وتفريع لمَا جاء في سورة طه التي قرأناها قبل قليل، في سورة طه ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ هذه الآية تشرحُ ما مر في الحديث عن السماوات والأرض وما فيهما ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾ حين استوى سجد له كل شيء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ هذه كلها تسجدُ لله إلا الناس ﴿يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ لَمَّا وصل الحديث إلى بني آدم ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ في الروايات كثيرٌ من الناس الذين والوا عليّاً، وكثيرٌ حق عليه العذاب الذين خالفوا عليّاً ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ عندنا رواية تتحدث عن هذا المضمون، هذه الرواية ينقلها سليمان بن خالد عن إمامنا الصادق سليمان يقول: **سمعت أبا عبد الله عليه**

السلام – هذه الرواية ينقلها شيخنا ابن إدريس الحلي رحمة الله عليه في كتابه السرائر، ماذا يقول إمامنا الصادق؟ – **ما من شيءٍ ولا من آدمي ولا إنسي** – قد تقول ما الفارق بين الآدمي والإنسي؟ سأأتي على بيانه – **سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ما من شيءٍ ولا من آدمي ولا إنسي ولا جني ولا مَلَك في السموات إلا ونحن الحُجَجُ عليهم وما خلق الله خلقاً إلا وقد عرض ولايتنا عليه واحتج بنا عليه، فمؤمنٌ بنا وكافرٌ وجاحد حتى السموات والأرض والجبال** – إلى آخر الآية والقمر والنجوم والدواب كل هذه الكائنات عرضت ولايتهم عليها – **ما من شيءٍ ولا من آدمي ولا إنسي** – قد تقول ما الفارق بين الآدمي والإنسي، الإنسي هو الإنسان أما الآدمي قد يكون الإنسان وقد يكون معنىً آخر، الإشارة إلى ما جاء في الأحاديث إن قبل أدمكم هذا ألف ألف آدم، وإن قبل عالمكم هذا ألف ألف عالم، ففي هذه الرواية مصطلح آدم هنا ليس المراد منه مصطلح آدم البشري وإنما هناك هذا المصطلح عنوان للاستخلاف في كل تكلم العوالم، والمراد إن قبل آدمكم هذا ألف ألف آدم ليس القبلية الزمانية هذه القبلية في المراتب الوجودية قبلية فلسفية هذه وليست قبلية زمانية، كما أقول حركتُ يدي فتحرك المفتاح، في الجهة الزمانية حركة يدي وحركة المفتاح في نفس الوقت لكن حركة يدي متقدمة على حركة المفتاح من جهة أنها هي الفاعل هي العلة وحركة المفتاح هي المعلول.

فإن قبل آدمكم هذا ألف ألف آدم، وقبل عالمكم هذا ألف ألف عالم، الحديث هنا عن الأوادم المذكورة في تلكم العوالم – **سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ما من شيءٍ ولا من آدمي ولا إنسي ولا جني ولا ملك في السموات إلا ونحن الحجج عليهم وما خلق الله خلقاً إلا وقد عرض ولايتنا عليه واحتج بنا عليه فمؤمنٌ بنا وكافرٌ وجاحد** – هؤلاء من الناس، هؤلاء من الجن، وقد أشارت الآية إلى هذا المعنى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ حتى السموات والأرض والجبال والشجر والدواب عرضت الولايةُ عليها وهذا هو معنى أمناء الرحمن، أمناء الرحمن ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ استوى على العرش، فحين استوى على العرش كانت الاستوائيةُ تَظهرُ في هذا المعنى ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ طبعاً لو أردنا أن نستمر في الآيات لبينت الآيات لنا كثيراً من الحقائق، بنحوٍ سريع أمر على الآيات، الآن الآية عن أي شيءٍ تحدثت؟ تحدثت عن سجود كل شيء إلا الناس ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ الآية التي بعدها ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ يعني

هناك مجموعتان، كثيرٌ من الناس سجدوا وكثيرٌ حق عليه العذاب ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ هذي المجموعة الأولى هذي التي مادة عملها من المادة الإبليسية.

المجموعة الثانية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ هذي هي المجموعة الثانية، لاحظ ما هو وصفهم؟ ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ الطيبُ من القول هو ولاية عليٍّ، المادة الطيبة، الطيبُ من القول مردة إلى النية الطيبة، المادة الطيبة ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ والصراط صراط الله، الصراط الحميد، صراط الحميد، الصراط المستقيم، كل هذا مفسرٌ في عليٍّ وآل عليّ، قبل قليل قرأنا في دعاء الندبة: **ولولا أنت يا عليُّ لم يُعرف المؤمنون بعدي، وكان بعده هدىً من الضلال ونوراً من العمى وحبل الله المتين وصراطه المستقيم** ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ هناك مجموعتان: مجموعة هي مجموعة الضلال هي المجموعة الجهنمية، ومجموعة ثانية هي المجموعة الجنانية مجموعة الهدى ما هي صفتهم؟ ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أدنى تدبر في هذه الآيات، أدنى تدبر في هذه المضامين أين يقودنا؟

يقودنا إلى هذه الحقيقة الجامعة المانعة، إلى حقيقة الولاية بمظهرها النبوي وبمظهرها الولوي – **وأبواب الإيمان، وأمناء الرحمن** – الرحمنُ جلت قدرته وتعالى شأنه فقد استوى جبروته ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ جبروته استوى، بعلوه استوى، بسلطانه استوى، وهذا الاستواء كان على كل شيء ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ الآية ما قالت الله على العرش استوى لأن الاستوائية كانت في عالم تجلي الأسماء، فتجلى الرحمن فاستوت رحمانيته على كل شيء، جولة سريعة في مجموعةٍ من الروايات التي تخبرنا عن العرش، فالرحمن على عرشه استوى ونحن نخاطبهم – **وأمناء الرحمن** – فهم أمناءٌ على عرشه وهم أمناءٌ على هذه الاستوائية على العرش.

في حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وهذا هو الجزءُ الثامن والخمسون من بحار الأنوار، والروايةُ

منقولةٌ في كتب الشيعة وغيرهم، هنا الشيخ المجلسي ينقلها عن كتاب الخصال للشيخ الصدوق، وعن كتاب المعاني للشيخ الصدوق، وعن تفسير العياشي، وعن تفسير الدر المنثور من كتب المخالفين لإمامهم السيوطي في حديث أبي ذر **عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: يا أبا ذر ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقةٍ مُلقاةٍ في أرض فلات وفضلُ العرش على الكرسي كفضل الفلات على تلك الحلقة.** وهم أمناءُ الرحمن والرحمن على العرش استوى، ولا يقفُ الكلام عند هذا المعنى.

الرواية **عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه حين سأله السائل عن الكرسي أَهو أعظمُ أم العرش؟! فقال عليه السلام: كلُ شيءٍ خلق الله في جوف الكرسي** – يعني أن الكرسي محيطٌ به – ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ **كلُ شيءٍ خلق الله في جوف الكرسي خلا عرشه فإنه أعظم من أن يحيط به الكرسي.**

هناك روايةٌ ينقلها الشيخ المجلسي عن إمامنا الزاكي العسكري عن النبي الأعظم، ماذا يقول نبينا صلى الله عليه وآله؟ **إن الله لَمَّا خلق العرش خلق له ثلاث مئة وستين ألف ركن** – ثلاث مية وستين ألف ركن، طبعاً هذه الروايات روايات رمزية، والأعداد والأرقام والأحداث كلها رموز، نحن هنا لا نتحدث عن واقعه تأريخية، عن شخصٍ بنى بناية أو بنى عمارة فنقول جاء بكذا من الحديد وبكذا من الخشب وبكذا من الأسمنت وجاء بكذا من المهندسين وبكذا من العمال، لكن النبي يريد أن يقرب المعنى إلى الأذهان، القضية ليس قضية الحديث عن واقعة تأريخية، هذه قضايا في عمق الوجود وفي أرقى مراتب الوجود عن العرش – **إن الله لَمَّا خلق العرش خلق له ثلاث مئة وستين ألف ركن وخلق عند كل ركن ثلاث مئة وستين ألف ملك لو أذن الله تعالى لأصغرهم** – تلاحظون العرش له ثلاث مية وستين ألف ركن، وعند كل ركن خلق الله ثلاث مية وستين ألف ملك، لو أذن الله تعالى لأصغرهم لواحد من هؤلاء الملائكة – **لأصغرهم فالتقم السموات السبع والأرضيين السبع ما كان ذلك بين لهواته** – بين لهواته يعني في فضاء الفم – **إلا كالرملة في المفازة الفضفاضة** – المفازة الفضفاضة يعني الصحراء الواسعة جداً جداً جداً، كالرملة يعني حبة الرمل، أنتم تصوروا، تتصورون هذا المعنى؟!

العرش له ثلاث مية وستين ألف ركن، عند كل ركن ثلاث مية وستين ألف ملك، أصغر هؤلاء الملائكة لو أراد أن يلتقم السموات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته يعني في فضاء الفم – **إلا كالرملة** – مثل حبة الرمل – **في المفازة الفضفاضة** – في الصحراء الواسعة جداً التي لا ترى بدايتها من نهايتها – **فقال لهم الله: يا عبادي احتملوا عرشي هذا** – احملوه لهذه الأعداد الهائلة، عندنا ثلاث مية وستين ألف ركن، وعند كل ركن ثلاث مية وستين ألف من الملائكة، فأنت أضرب هذا العدد بهذا العدد كم يخرج

عندك من الأعداد؟

فقال لهم الله: يا عبادي احتملوا عرشي هذا فتعاطوه – يعني جاءوا لحمله – **فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه** – أنا قلت الكلام ليس في أبعاد مادية، ليس كبناية بناية، حديث هذا كله إشارات عن حقائق عميقة جداً – **فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه فخلق الله عزَّ وجلَّ مع كل واحدٍ منهم واحداً** – يعني الأعداد تضاعفت – **فلم يقدروا أن يزعزعوه** – أن يحركوه – **فخلق الله مع كل واحدٍ منهم عشرة** – يعني الآن الأعداد تضاعفت ثم ضاعفها مع كل واحد عشرة يعني أضاف عشرين، يعني مع الثلاث مية وستين ألف المجموعة الأولى ضاعفهم فثلاث مية وستين مع ثلاث مية وستين عند كل ركن من الأركان الثلاث مية وستين ألف، نجمع ثلاث مية وستين مع ثلاث مية وستين سبع مية وعشرين ألف، فهؤلاء ضاعفهم إلى عشر مرات – **فخلق الله مع كل واحدٍ منهم عشرة فلم يقدروا أن يحركوه، فخلق الله بعدد كل واحدٍ منهم مثل جماعتهم** – يعني صارت مليارات من الأعداد، صارت ملايين من المضاعفات – **فخلق الله بعدد كل واحدٍ منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يحركوه، فقال الله عزَّ وجلَّ لجميعهم: خلوه عليّ امسكه بقدرتي، فخلوه فامسكه الله عزَّ وجلَّ بقدرته، ثم قال لثمانيةٍ منهم: احملوه أنتم، فقالوا: يا ربنا لم نطقه نحن وهذا الخلقُ الكثير والجمُ الغفير فكيف نطيقه الآن دونهم، فقال الله عزَّ وجلَّ: لأني أنا الله المُقَرِّبُ للبعيد والمُذلِلُ للعبيد والمُخَفِّفُ للشديد والمُسَهِّلُ للعسير أفعلُ ما أشاء وأحكمُ ما أريد، أعلمكم كلماتٍ تقولونها يخف بها عليكم، قالوا: وما هي؟! قال: تقولون بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله الطيبين، فقالوها فحملوه وخف على كواهلهم كشعرةٍ نابتةٍ على كاهل رجلٌ جلدٍ قوي** – شعرة على كاهل على متن رجل جَلدٍ قوي، هل يحس بها؟ لا يحسُ بها، إلى آخر الرواية.

موطن الشاهد هنا: الرواية تتحدث عن عظمة العرش، وتتحدث عن أن الذين رفعوا العرش رفعوه بذكر مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **بسم الله الرحمن الرحيم** – والبسملةُ هي في سرها في النقطة والنقطة عليّ – **ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم** – وهذي هي عنوانٌ لأسماء الله الحسنى وأسماء الله الحسنى هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، وهذي مظاهر هذي تجليات، البسملة مظهر لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والحوقلة التي هي عنوان الأسماء الحسنى هي مظهرٌ لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله الطيبين** – هذا ظهورٌ واضح، أنا إلى أين أريد أن أذهب؟ أريد أن أذهب إلى رواية أخرى.

الرواية يرويها الشيخ الصدوق في كتابه التوحيد **عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الشمسُ جزءٌ من سبعين جزء من نور الكرسي** – طبعاً هذي معاني تقريبة لأن أقوى نور هو نور

الشمس، فالإمام يريد أن يقرب المعاني – **الشمسُ جزءٌ من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزءٌ من سبعين جزء من نور العرش، والعرشُ** – الآن العرش بهذه العظمة، ماذا تقول عنه هذه الرواية؟ – **والعرشُ جزءٌ من سبعين جزء من نور الحجاب، والحجابُ جزءٌ من سبعين جزء من نور الستر، وما الستر إلا مجلى الحقيقة المُحَمَّدية** – فهذا هو العرش وهذي هي الاستوائية والرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وهؤلاء هم أمناء الرحمن، السَّلامُ عليكم يا أبواب الإيمان ويا أمناء الرحمن، فكما أنهم هم الأبواب التي يأتينا منها الإيمان ويدخل من خلالها إيماننا وأعمالنا هم الأمناءُ علينا تكويناً وتشريعاً، هم الأمناءُ على ديننا، هم الأمانُ لأهل الأرض والسماء، وهم الأمناء على هذا الأمان أيضاً، هم أمناء الرحمن، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، فهم أمناءه على العرش وما دون العرش وحتى ما فوق العرش، فما بعد العرش الحجاب وما بعد الحجاب الستر وهناك السرادقات على مراتبها التي فصلتها الروايات، وهم نوره الأول نوره النافذ.

اللهم إني أسألك من نورك بأنوره، هم النور النافذ في كل تلك العوالم، إن كان في عالم الستر، في عالم السرادقات، في عالم الحجاب، في عالم العرش، في عالم الكرسي، وهكذا في كل عالم إلى عالمنا الدنيوي، فالشمسُ والقمرُ هي من نور إمامنا الحسن كما في الروايات، هي من مجالي النور الحسني، وكل نورٍ في الأرض مرده إلى الشمس، وأما نور القلوب ونور الهداية فهو نورهم هو نور عليٍّ ولولاك يا علي لم يعرف المؤمنون بعدي هكذا قال صلى الله عله وآله وسلم.

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ

وإنما أقرأُ هذه العناوين كي أتذكر نعمة الله علينا أن وقفنا عند هذه العناوين تدبرنا فيها تصفحنا كتاب الله تصفحنا كتب العترة بحثاً عن معنىً، عن حقيقةٍ، عن نوريةٍ، مشعةٍ في طوايا كلامهم وفي صفحات حديثهم الشريف.

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلمِ، وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ، وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ، وَأَبْوابَ الإيمان، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ ...

وسلامٌ عليكم يا أشياعهم ويا أولياءهم وفقني الله وإياكم لخدمة أبواب الإيمان وأمناء الرحمن وألقاكم على مودّة عليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ حتى ينقطع النَفَس أسألكم الدعاء جميعاً في أمان الله.

الحلقة الخامسة عشرة

معنى وسُلالَةَ النبيينَ وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ

السَّلامُ عليكم جميعاً أحباب مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ورحمة الله وبركاته، صياماً مقبولاً ودعاءً مستجاباً لنا ولكم ولجميع المؤمنين والمؤمنات، هذه الحلقة الخامسة بعد العاشرة من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، لازلنا نعيش في أجواء هذه الزيارة وهذا هو مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القمي رضوان الله تعالى عليه، في الحلقة الماضية كنا قد وقفنا عند قول الزيارة الشريفة: **وَأَبْوابَ الأيمانِ، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ.** اليوم نقفُ عند هذه العبارات: **وَسُلالَةَ النبيينَ، وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.** وبذلك إذا ما تم الحديث في هذه العبائر نكون قد أتممنا الكلام في المقطع الأول من المقاطع الخمسة التي تفتتح بها الزيارة الجامعة الكبيرة.

هذه المقاطع الخمسة كل مقطع ينتهي بقول الزيارة – **وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** – وهذا هو المقطع الأول الذي أحاول أن أتِم الكلام فيه في هذه الحلقة إن شاء الله تعالى، فعندنا إذاً في فاتحة الزيارة في بداية الزيارة هناك خمسة مقاطع، كل مقطع يشتمل على مجموعة من الصفات ومن المقامات ومن الشؤونات المُحَمَّدية والعلوية، المقطع الأول يكاد يكون هو المقطع الأساس فيأتي المقطع الثاني متفرعاً عليه وهكذا الثالث يتفرع على ما قبله والرابع فالخامس، هذه المقاطع الخمسة التي ينتهي كل مقطع منها بقول الزيارة – **وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** – هذه هي قلب الزيارة الجامعة، لذلك أنا سأطيل نوعاً ما الوقوف عند هذه المقاطع الخمسة، إذا ما تم الكلام في هذه المقاطع الخمسة فإننا سنسير سيراً حثيثاً في بيان معاني ما بقي من عبارات ومما جاء مذكوراً في الزيارة الجامعة الكبيرة، لأن المتبقي وهو القسم الأكبر من الزيارة الجامعة الكبيرة إنما هو في الحقيقة متفرعٌ عن هذه المقاطع الخمسة التي هي في أول الزيارة، فهذه المقاطع الخمسة بمثابة قلب الزيارة الجامعة الكبيرة بمثابة الأساس والأصل الذي تتفرع على مضامينه وعلى فحاويه بقية المعاني التي تأتينا في سطور الزيارة الجامعة الكبيرة، فكأن الخزانة الأصلية هي في هذه المقاطع الخمسة وما بقي في الزيارة الجامعة الكبيرة إنما هو تفريعات وتطبيقات وإنما هو ذكرٌ للأمثلة والنماذج والمصاديق، الزيارة في أصلها إذاً في هذه المقاطع الخمسة وما بقي في الزيارة إنما هو تجلياتٌ لهذه المقاطع الخمسة، وأهم هذه المقاطع الخمسة هو المقطع

الأول فهو الأساس لها إذ أن المقطع الثاني يتفرع على الأول وهكذا بقية المقاطع. نحن اليوم في آخر العبائر من المقطع الأول من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَسُلالَةَ النبيينَ، وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ** – هذه تُقرأ بالحركات الثلاثة تُقرأ وصَفْوة المرسلين وتُقرأ وصِفْوَةَ المرسَلين وتُقرأ وصُفْوَة المرسلين، كل هذه القراءات صحيحة – **وَسُلالَةَ النبيينَ وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.**

إذا نظرنا نظرة سريعة إلى هذه العبارات نجد إنها قد تدرجت بحسب الرُتب: فالعبارة الأولى: **وَسُلالَةَ النبيينَ.** العبارة الثانية: **وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ،** والمرسلون أعلى رتبةً من النبيين وصفوة المرسلين أخص هذه مرتبة أخص. **وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ،** وخَيَرة رب العالمين مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وهو الأعلى وهو الأنقى وهو الأصفى، فنلاحظ أنَّ هذه العبارات جاءت مترتبة، النبيون فالمرسلون فمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم.

وَسُلالَةَ النبيينَ – السلالة ماذا تعني؟ السلالة تعني الخُلاصة، الخُلاصة النقية، والسلالة مأخوذة من معنى الاستلال، مثلاً حينما تكون عندنا فاكهة من الفواكه فليكن عندنا التفاح مثلاً، حينما نريد أن نستخلص خُلاصة التفاح وذلك أن نستل شراب التفاح، أن نستل عصير التفاح، السلالة هي الخلاصة النقية، الخلاصة النظيفة البعيدة عن الشوائب، خلاصة التفاح أين؟ في مائه النقي البعيد عن القشور، والبعيد كذلك عن سائر محتويات جسم التفاحة، من قشور، من عيدان، من بذور، من مادة متخثرة من أجزاء جسم التفاحة، هذه الخلاصة التي نستلها استلالاً من جميع أجزاء التفاحة يمكن أن أقول عنها سلالة التفاحة، ومن هنا عُبِّر عن النطفة بالسلالة لماذا؟

لأن النطفة تُستَل من جميع أجزاء البدن، فجميع أوصاف البدن موجودةٌ في هذه النطفة فقيل لها سلالة، السلالة إذاً هي الخُلاصة الخُلاصة النقية المشتملة على أتم الأوصاف – **وَسُلالَةَ النبيينَ** – الحديث هنا ليس عن نسبةٍ وانتسابٍ عائلي أو عشائري، صحيح إن أجداد النبي أنبياء وهذا موضوع الآن خارج عن بحثنا لكن الزيارة تقول – **وَسُلالَةَ النبيينَ** – هذا موجودٌ في رواياتنا من أن أجداد النبي أنبياء من آدم إلى آخر أجدادهِ إلى آخر أبائهِ، النبي تنقّل في أصلاب الأنبياء، هذا موجودٌ في الروايات وأنا لا أريد الحديث عن هذا المطلب، نحن والزيارة – **وَسُلالَةَ النبيينَ** – الكلام هنا عن كل النبيين ليس عن مجموعة، حتى لو قلنا بأن أجداد النبي كلهم أنبياء وهو الحق فذلك لا يعني أن كل الأنبياء قد وقعوا في سلسلة أجدادهِ صلى الله عليه وآله، الحديث هنا عن كل سلسلة النبيين، إذاً القضية خارجة عن قضية الانتساب الرحمي أو الانتساب العشائري – **وَسُلالَةَ النبيينَ** – إذاً ما المقصود من ذلك؟ إذاً المسألة ليس الحديث عن نُطَف وعن أصلاب وعن أباء وعن أجداد، لأن النبيين قطعاً لم يقعوا كلهم في سلالة أجداد رسول الله، فإذا لم يكن قد وقع

النبيون كلهم في سلالة أجداد رسول الله إذاً الكلام هنا في دائرةٍ أخرى، الحديث هنا – **وَسُلالَةَ النبيينَ** – النبيين جمع مذكر سالم محلى بالألف واللام ذلك يعني الاستيعاب، الجمع المذكر السالم المُعرف بالألف واللام ذلك يعني أن المراد من قولنا النبيين يعني كل الأنبياء من أولهم إلى آخرهم – **وَسُلالَةَ النبيينَ** – يعني من آدم إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فأهل البيت هم سلالة النبيين، فما المراد من السلالة هنا؟

هي الخُلاصة ونسبة هذه الخلاصة إلى النبيين لا يعني أن النبيين هم أشرف من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، قطعاً مُحَمَّدٌ داخلٌ في النبيين، فإذا دخل مُحَمَّدٌ في النبيين فحينئذٍ يكون مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أشرف من أهل بيتهِ، لكن الحديث هنا عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **وَسُلالَةَ النبيينَ** – فالنبيون إنما هم في درجةٍ دون مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وهذه القضية واضحة في روايات أهل البيت وفي عقائد علمائنا الأجلاء الأعلام الذين عرفوا الحقائق من دين مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، ربما هناك من يدعي أنه من أهل العلم أو يدعي أنه من أهل الفضل ولكن لا علم له ولا فضل له في علم مُحَمَّدٍ وآله مُحَمَّد، ربما يعلم أشياء أخرى ذلك شأنٌ آخر، قد يكون عالماً بأشياء أخرى لا تَمُتُ إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ بصلة، نحن هنا نتحدث عن علم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، الأحاديث والروايات الواردة عن النبي وعن الأئمة في هذا الشأن كثيرة جداً ونحن لسنا في مقام الاستقصاء لذا أنا سأقتطف نماذج من ذلك.

هذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي، هذه رواية ينقلها الشيخ المجلسي عن كتاب عيون أخبار الرضا صلوات الله عليه لشيخنا الصدوق ينقل **عن إمامنا الرضا عن آبائهِ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن موسى سأل ربه عزَّ وجلَّ فقال: يا ربِّ أجعلني من أُمَّة مُحَمَّد** – هذا سؤال موسى، الله سبحانه وتعالى يخاطب موسى في القرآن لقد أوتيت سؤلك يا موسى، موسى أوتي سؤله، فهل أوتي سؤله في هذه القضية؟ – **يا ربِّ أجعلني من أُمَّة مُحَمَّد فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إنك لا تصل إلى ذلك** – المراد هنا من أُمَّة مُحَمَّد، الأُمَّة بالعنوان الخاص، الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإلا فالأنبياء طُراً هم من أشياع مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد سؤال موسى هذا – **يا ربِّ أجعلني من أُمَّة مُحَمَّد فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إنك لا تصل إلى ذلك.**

هناك رواية تفصل هذا المعنى أكثر، الرواية منقولةٌ عن إمامنا الزاكي العسكري صلوات الله وسلامه عليه وفيها شيءٌ من تفصيل، الرواية طويلة أخذ منها موطن الحاجة حيث يحدثنا إمامنا العسكري عن آبائهِ، **عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: لما بعث الله عزَّ وجلَّ موسى بن عمران واصطفاه نجياً وفلق له البحر ونجى بني إسرائيل وأعطاه التوراة والألواح رأى مكانه من ربه عزَّ وجلَّ** – رأى مكانهُ رأى أنه له مكاناً عظيماً عند الله – **فقال: يا ربي لقد أكرمتني بكرامةٍ لم تكرم بها أحداً من قبلي، فقال الله**

جلَّ جلاله: يا موسى أما علمت أن مُحَمَّداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي، قال موسى: يا ربي فإن كان مُحَمَّداً أكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟
قال الله جلَّ جلاله: يا موسى أما علمت أن فضل آل مُحَمَّدٍ على جميع آل النبيين كفضل مُحَمَّدٍ على جميع المرسلين؟ فقال موسى: يا ربي فإن كان آل مُحَمَّدٍ كذلك فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أُمَّتي، ظللت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المن والسلوى، وفلقت لهم البحر؟
فقال الله جلَّ جلاله: يا موسى أما علمت أن فضل أُمَّة مُحَمَّدٍ على جميع الأمم كفضلهِ على جميع خلقه؟ فقال موسى: يا ربي ليتني كنت أراهم، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه يا موسى إنك لن تراهم فليس هذا أوان ظهورهم ولكن سوف تراهم في الجنان جنات عدن والفردوس بحضرة مُحَمَّد في نعيمها يتقلبون وفي خيراتهِ يتبحبحون أفتُحب أن أسمعك كلامهم؟ فقال: نعم إلهي، قال الله جلَّ جلاله: قم بين يدي وأشدد مئزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، ففعل ذلك موسى عليه السلام، فنادى ربنا عزَّ وجلَّ: يا أُمَّة مُحَمَّد فأجابوه كلهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، قال: فجعل الله عزَّ وجلَّ تلك الإجابة شعار الحج – الرواية واضحةٌ صريحةٌ في فضل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ على الأنبياء طُراً، وإنما أخذت الحديث عن موسى عليه السلام مثال ونموذج لأنه من الأنبياء ومن المرسلين ومن أولي العزم ومن أكثر الأنبياء الذين تحققت على أيديهم أعظم الآيات والبينات وأعظم المعاجز والكرامات، ومن أكثر الأنبياء الذين تحدث عنهم قرآننا الكريم – **يا موسى أما عَلِمت أن مُحَمَّداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي** – والرواية السابقة لَمَّا طلب موسى يا ربي اجعلني من أُمَّة مُحَمَّد، فماذا جاء الجواب – **يا موسى إنك لا تصل إلى ذلك.**

رواية ثالثة وأكتفي بهذه الروايات لأنتقل إلى جهةٍ أخرى من جهات البحث، الرواية ينقلها شيخنا المجلسي عن بصائر الدرجات عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله – **ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة** – في عالم الأظلة – **حتى عُرِضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومُثِّلوا له مُثِّلوا له في عالم الأمثلة** – الرواية تتحدث عن النبوات في عالم الأظلة – **ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومُثِّلوا له في عالم الأمثلة والأظلة فأقروا بطاعتهم وولايتهم** – الأنبياءُ إنما كَمُلت نبواتهم بولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وإنما أُخِذ الميثاق على الأنبياء بالطاعة والإقرار والإتباع لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والأحاديثُ عن النبي الأعظم وعن الأئمة المعصومين بهذا الشأن كثيرةٌ جداً، لو أردنا أن نجمعها لَجُمعت في كتابٍ كبير، بالذات في هذا المضمون في فضل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ على الأنبياء والمرسلين وفي أن

النبوات وأن الرسالات ما تكاملت ولا كانت حتى أقرَّ الأنبياء والرسل بالولاية والطاعة والميثاق الصادق لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والمضامين واضحة لذلك الزيارة الشريفة هنا تقول – **وَسُلالَةَ النبيينَ** – القضية ليس قضية تشريفية، القضية هنا ناظرة إلى معنى عميق سيأتي بيانهُ، فهنا حينما نخاطب الأئمة – **وَسُلالَةَ النبيينَ** – لا يعني أنهم سلالة شُرِّفت بانتسابها للنبيين، نعم شُرِّفت بانتسابها لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، لكن الأنبياء شُرِّفوا بانتسابهم في الولاية والطاعة والتشيع لمن؟ لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هذه رواية، هذا هو الجزء الخامس والعشرون، رواية جميلة جداً يرويها جابرُ بن عبد الله الأنصاري عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، جابرٌ يقول: **قلتُ لرسول الله صلى الله عليه وآله: أولُ شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كُلَّ خير** – خلق منه كل خير إشارة إلى الفيض، الفيض المُقَدَّس، إشارة إلى الفيض الأقدس، قل ما شئت من العبارات، إشارة إلى الرحمة الرحمانية، إشارة إلى الرحمة الرحيمية، إشارة إلى خيرية الوجود بكل مظاهرها بكل تجلياتها – **نور نبيك يا جابر** – هذا أول شيءٍ خلقهُ الله – **خلقه الله ثم خلق منه كُلَّ خير ثم أقامهُ بين يديه** – خلق منه كل خير، خلق منه عناصر الوجود، وعناصر الأبرار، والأبرار ذكروا في الزيارة كمصداقٍ من مصاديق الوجود، الله سبحانه وتعالى خلق من نور نبينا كل خير، مادة الوجود، مادة الفيض – **ثم أقامهُ بين يديه في مقام القرب ما شاء الله** – وهل هناك من يعرف هذا المقام؟

هذا مقامٌ لا يعرفهُ لا الأنبياء المرسلون ولا الملائكة المقربون هذا مقام مُحَمَّد – **ثم أقامهُ بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ثم جعله أقساماً فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحَمَلة العرش وخَزَنة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الحُبِّ ما شاء الله ثم جعله أقساماً فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم** – الرواية عميقة جداً، أقامهُ في مقام القرب ثم اشتق منه العرش الكرسي وحملة العرش وخزنة الكرسي، ثم أقامهُ في مقام الحب، ومن يعرف هذا المقام؟ لا يعرفهُ إلا الحبيب والحبيب في هذا الوجود واحد مُحَمَّد، مقام الحبيب مقامٌ واحد يا أحمد خلقتك لأجلي – **وأقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله ثم جعله أقساماً فخلق القلم اللوح الجنة** – وكل هذه من مظاهر الحب – **وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله ثم جعله أجزاءً فخلق الملائكة من جزء والشمس من جزء والقمر والكواكب من جزء** – وكل هذا على سبيل المصاديق لا يعني أن الخلق منحصرٌ ومحصورٌ بهذه العناوين فقط، هذه مصاديق – **وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله ثم جعله أجزاءً فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام القسم الرابع**

في مقام الحياء ما شاء الله ثم نظر إليه بعين الهيبة – وهو في مقام الحياء – **وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور** – ذلك النور رشح تجلى – **فرشح ذلك النور وقطرت منه قطرات** – ما هي هذه القطرات؟

ذلك النور نور مُحَمَّدٍ ولكن في تجلٍ من تجلياتهِ فنورهُ الأعلى أعلى من كل هذه الأنوار، حينما كان في عالم الحياء في مقام الحياء – **ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مئة ألف وأربعةٌ وعشرون ألف قطرة** – عدد الأنبياء – **فخلق الله من كل قطرة روح نبيٍ ورسول** – إذاً ما الأنبياء إلا رشحةٌ من رشحاتٍ من نورٍ لمُحَمَّدٍ في مقامٍ من مقاماتهِ، وهذه المقامات إنما هي في عالم الخلق الثاني، إذاً كيف يكون الحديث عن نور مُحَمَّدٍ في عالم الخلق الأول – **ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مئة ألف وأربعةٌ وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبيٍ ورسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين** – وكل ذلك مردهُ إلى نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، هذه الرواية وأمثالها تبين لنا الفارق الكبير بين مقامات مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وبين مقامات الأنبياء، ما الأنبياء إلا رشحةٌ من رشحات مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في مقامٍ من مقاماتهم وليس من أعلى من مقاماتهم، في مقامٍ من مقاماتهم العلية، في مقامٍ من مقاماتهم القادسة، ما الأنبياء طُراً إلا رشحة من نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، والرشحة قطعاً لا تكون بمنزلة النور الذي رشحها، الرشحة فيها شيءٌ من ذلك النور، حين نقول رشحة يعني لا تحمل مواصفات ذلك النور بتمامها وإنما تحمل شيئاً من مواصفاتهِ من صفاتهِ من خصالهِ تحمل شيئاً من معناه، فيها عبقُ عطرٍ من عطرهِ ليس فيها كل العطر فيها شيءٌ من عطر ذلك النور.

ولذلك نحن نقرأ في روايات وكلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مثلاً هذه الرواية عن أمير المؤمنين – **أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** – ابن عباس ينقل الكلام عن سيد الأوصياء – **أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، قال:** – يعني ابن عباس – فقلت: يا أمير المؤمنين كيف ينظر بنور الله عزَّ وجلَّ؟ قال صلوات الله عليه: **لأنا خلقنا من نور الله وخُلِق شيعتنا من شعاع نورنا فهم اصفياء أبرار أطهار متوسمون** – متوسمون يعني يعرفون الحقائق – **نورهم يضيء على من سواهم كالبدر في الليلة الظلماء** – فشيعتهم من شعاع نورهم، والأنبياء من شيعتهم، رشحةٌ من رشحات نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله.

الرواية عن صفوان عن إمامنا الصادق إمامنا ماذا يقول؟ **لمَّا خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرة فقال عزَّ وجلَّ: هذان نوران لي مطيعان**

فخلق الله من ذلك النور مُحَمَّداً وعليّاً والأصفياء من ولده وخلق من نورهم شيعتهم وخلق من نور شيعتهم ضوء الأبصار – يعني هذا الضوء الذي نرى به وتُرى به الأشياء ضوء الشمس وكل ضوءٍ آخر تقول الرواية – **وخلق من نور شيعتهم ضوء الأبصار** – والروايات هنا هذه تتحدث بلسان الرمز، هذه تتحدث بلسان الإشارة، الكلام هنا ليس عن عوالم مادية، الحديث عن معاني عميقة وعميقة جداً.

رواية أخرى عن المفضل عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه وهو يسأل الإمام: **ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين؟ فقال عليه السلام: كنا أنواراً حول العرش نسبح الله ونقدسه حتى خلق الله سبحانه الملائكة فقال لهم: سبحوا، فقالوا: يا ربنا لا علم لنا، فقال لنا: سبحوا، فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، إلا إنا خُلِقنا من نور الله وخُلِق شيعتنا من دون ذلك النور فإذا كان يوم القيامة ألتحقت السفلى بالعليا ثم قرن عليه السلام بين أصبعيه السبابة والوسطى وقال: كهاتين كهاتين، ثم قال: يا مفضل أتدري لِمَا سميت الشيعة شيعة؟ يا مفضل شيعتنا منا ونحن من شيعتنا أما ترى هذه الشمس أين تبدو، قلت: من مشرق، وقال: إلى أين تعود قلتُ: إلى مغرب، قال عليه السلام: هكذا شيعتنا منا بدأوا وإلينا يعودون** – ما أجمل هذه العبارة – **هكذا شيعتنا منا بدأوا وإلينا يعودون** – هذه الكلمات الشريفة تنبئنا تحدثنا عن حقيقتين:

الحقيقة الأولى: عظمة المقام المحَمَّدي.

والحقيقة الثانية: أن أشياعهم من الأنبياء والمرسلين ومن غيرهم منهم بدأوا وإليهم يعودون فهم رشحةٌ من أنوارهم، شعاعٌ يشع من نورهم الحقيقي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إذاً إلى أين سنصل بعد كل هذه البيانات المعصومية بعد كل هذه الكلمات المنيرة الطاهرة من أفواه المعصومين – **وَسُلالَةَ النبيينَ** – الحديثُ إذاً ليس عن أن هذه السلالة هي شريفةٌ وشرفت لانتسابها إلى النبيين، نعم هي شُرِّفت لانتسابها إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، لكن مُحَمَّداً هو مقصودٌ أيضاً في هذه الزيارة، فحينما نقول عن مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بأنه سلالة النبيين فهل يعني أن هذه السلالة قد شُرِّفت بانتسابها للنبيين، أو حين نقول – **وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ** – والصفوة هي أخص من السلالة، السلالة كما قلت هي خلاصة، الصفوة هي خلاصة الخلاصة، هي الزبدة، هي الزبدة النقية، السلالة هي الخلاصة النقية، لكن الصفوة هي خلاصة الخلاصة، فلذلك السلالة نسبت إلى النبيين والصفوة نسبت إلى المرسلين، والمرسلون أعلى درجةً من النبيين، فالكلام هنا إذاً ليس عن نسبةٍ عشائرية عن نسبةٍ رحمية، الكلام هنا عن جهةٍ أخرى ستتضح لنا، نقترب نحوها شيئاً فشيئاً.

حين نقرأ في الكافي الشريف مثلاً، هذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، حين نقرأ هذه الرواية

مثلاً، الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: **إن عيسى بن مريم أُعطي حرفين من أحرف الاسم الأعظم** – الاسم الأعظم هو مَجْمَعُ التجليات الأسمائية – **إن عيسى بن مريم أُعطي حرفين** – والمراد أعطي حرفين لا يعني أنه أستلم شيئاً بيده وإنما الأنبياء في حقائقهم المعنوية هم مجالي مرايا، قلوب الأنبياء، عقول الأنبياء، أرواح الأنبياء، عقول الأنبياء عقول واسعة، عقول كنهها يختلف عن كنه عقول غيرهم من البشر، عقولهم واسعة، قلوبهم واسعة، أرواحهم واسعة، جوهر الأنبياء جوهر له منزلة له خصوصية لا يعرفها إلا النبيون، حين الحديث عن عيسى وانه أعطي حرفين من حروف الأسم الأعظم ذلك يعني ما تجلى في ذات عيسى، المعاني المتجلية، الأسماء الحسنى التي تجلت في عيسى، فعيسى كلمة الله، عيسى كلمة الله، هذه الكلمة الإلهية هي مجلى لأسماء الله الحسنى، فكم تجلى من المراتب في عيسى؟

الرواية هنا تتحدث عن مجالي الأسماء الحسنى في الأنبياء – **إن عيسى بن مريم أُعطي حرفين كان يعمل بهما وأعطي موسى أربعة أحرف وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً وأعطي آدمُ خمسةً وعشرين حرفاً** – الأنبياء الذين ذكروا هنا هم أولوا العزم وآدم أبو الأنبياء وأبو البشر – **وإن الله تعالى جمع ذلك كله لِمُحَمَّد** – جمع ذلك ما كان عند الأنبياء، عيسى أعطي حرفين، موسى أربعة أحرف، إبراهيم ثمانية أحرف، نوح خمسة عشر حرفاً، آدم خمسة وعشرين حرفاً – **وإن الله تعالى جمع ذلك كله لمُحَمَّد** – يعني ما تجلى في الأنبياء تجلى في مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وتستمر الرواية – **وإن اسم الله الأعظم ثلاث وسبعون حرفاً أُعطي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً وحُجِبَ عنه حرف واحد** – وقد تحدثنا في الحلقات الماضية حين وصلنا إلى قول الزيارة: **وَخُزّانَ الْعِلم** – بأن ذلك الحرف أُعطيَ لمُحَمَّد وإنما هذه الرواية تتحدث عن مقام النبوة والرسالة بالمقايسة مع بقية الأنبياء والمرسلين، الحديث هنا عن النبوة والرسالة بالمقايسة مع جميع الأنبياء والمرسلين، الحديث عن مقام النبوة في عالم الأرض، أما النبوة المُحَمَّدية فهي أوسع من كل تلكم المعاني، النبوة المُحَمَّدية هي نبوة الوجود ونبوة الكون ومرَّ الكلام في الحلقات الأولى من هذا البرنامج، وأشرت إلى الروايات وإلى النصوص التي تدور حول هذا المعنى وتدور حول هذا المضمون، وإلا فإن الحروف بتمامها عند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

حين نقرأ مثلاً في دعاء علقمة وهو من الأدعية الكريمة جداً ومن الأدعية المهمة جداً، الدعاء الذي يستحب قراءتهُ بعد زيارة أمير المؤمنين وزيارة سيد الشهداء بزيارة عاشوراء، ماذا نقرأ في هذا الدعاء؟ في دعاء علقمة نقرأ، وللفائدة أقول إنه من الأدعية المُجربة لكشف الهموم والغموم ولإزاحة الضيق والهم والغم عن القلوب والصدور يُقرأ بعد زيارة سيد الأوصياء زيارة قصيرة لأمير المؤمنين وبعد زيارة عاشوراء، ماذا نقرأ في هذا الدعاء من جملة عبائره، الخطاب هنا دعاء التوجه إلى الله: **أسألُكَ بحقِّ مُحَمَّدٍ خاتمِ النبيين وعَليٍّ**

أمير المؤمنين وبِحَقِّ فاطِمَة بنتِ نبيك وبِحَقِّ الحسَنِ والحسْين فإني بهم أتوجهُ إليكَ في مَقامي هَذا وَبِهم أتَوسّل وبهم أتَشَفّعُ إليك وبِحَقّهم أسْألُك وأُقسِمُ وأعزِمُ عليك وبالشأنِ الذي لَهُم عِندك وبالقدرِ الذي لهم عِندك وبالذي فضلتهم على العالمين – على العالمين طُراً – **وبالذي فضلتهم على العالمين وباسمك الذي جعلتهُ عندهم** – باسمك بتمام الاسم بالثلاثة والسبعين حرفاً لو كان بالاثنين والسبعين حرفاً لما جاء هذا الكلام – **وباسمكَ الذي جعلتهُ عندهم** — ولمَا جاء هذا الكلام – **وبالذي فضلتهم على العالمين** – طراً – **وبالذي فضلتهم على العالمين وباسمكَ الذي جعلتهُ عندهم وبه خصصتهم دونَ العالمين** – ذلك هو العلم المُستأثر، ذلك هو الحرف المستأثر الذي ما تجلى ولا ظهر لأي مخلوقٍ من المخلوقات، مخصوصٌ بهم، العبارات واضحة جداً – **وبالذي فضلتهم على العالمين وباسمكَ الذي جعلتهُ عندهم وبه خصصتهم دونَ العالمين وبه أبنتهم وأبنت فضلهم من فضل العالمين حتى فاق فضلهم فضل العالمين جميعاً** – العبارات تحتاج إلى شيء من التمعن، شيء من العناية والتدبر، وبالجمع مع هذه النصوص تتجلى الصورة واضحة بينة – **وبالذي فضلتهم على العالمين وباسمكَ الذي جعلتهُ عندهم** – عندهم جعلتهُ عندهم – **وبه خصصتهم دون العالمين وبه أبنتهم وأبنت فضلهم من فضل العالمين حتى فاق فضلهم فضل العالمين جميعاً** – الكلمات واضحة والعبارات بينة والعطر عطر مُحَمَّد، والنَفَسُ نَفَسُ مُحَمَّد، والكلمات كلمات مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، كل هذه المعاني إنما تصب في غالية مسكٍ، في نافجة مسكٍ، تصب في بحرٍ مواج فوارٍ من العطر، في بحر الولاية لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إذاً إلى أين وصلنا؟

بعد كل هذه البيانات نصل إلى هذه النتيجة، السلالة هي الخلاصة النقية من الشوائب، والصفوة هي خلاصة الخلاصة، هي الزبدة النقية، والنبيون في مراتبهم دون المرسلين – **وَسُلالَةَ النبيينَ، وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ** – المراد هنا ليس الانتساب العشائري وليس الانتساب الرحمي، المراد أن الأئمة مجمع مجالي الأنبياء، مجمعُ مجالي المرسلين، أنهم هم السلالة، يعني أنقى ما في الأنبياء وأرقى ما في الأنبياء وأجلى ما في الأنبياء هو ظاهرٌ فيهم صلوات الله عليهم، ولماذا فيهم السلالة وفيهم الصفوة؟ لأن الأنبياء أساساً هم رشحةٌ من نورهم ومرت علينا الرواية، هذه الرشحة أصلها سلالتها صفوتها حقيقتها أين؟ في ذلك النور الذي أقامه في مقام الحياء ونظر إليه بعين الهيبة، أليس هذا النور تجلى في مقام القرب ثم تنزل فتجلى في مقام الحب ثم تنزل فتجلى في مقام الخوف ثم تنزل فتجلى في مقام الحياء ونظر إليه الباري بعين الهيبة فرشح من ذلك النور قطرات، قطرات هي أرواح الأنبياء، رشحة النور النبوية، رشحت من ذلك النور، هذه الرشحة لها سلالة، لها خلاصة صافية، هذه الخلاصة الصافية من أين تتأتى إلى أين تعود؟!

كما قال إمامنا صلوات الله وسلامه عليه، إمامنا الصادق – **كذلك شيعتنا منا بدأوا وإلينا يعودون** – هي هذه السلالة، ألم يقل إمامنا هكذا في الرواية التي تلوتها على مسامعكم قبل قليل – **كذلك شيعتنا** – وهو يخاطب المُفضل – **كذلك شيعتنا** – لمَّا قال له هذه الشمس من أين تأتي؟ قال: من مشرق، وإلى أين تذهب؟ قال إلى مغرب، قال: كذلك شيعتنا منا بدأوا وإلينا يعودون، فهم يترددون في فنائنا النوري هم يطوفون في هذا الفناء المُقدس، هذه الرشحة النورية لها سلالة لها صفوة لها خلاصة، خلاصة هذه الرشحة أين هي من أين جاءت؟ جاءت من ذلك النور فلو تجلت أين تتجلى؟ تتجلى في المظاهر البشرية لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في العالم الأرضي لِذا نحن نخاطبهم – **وَسُلالَةَ النبيينَ، وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ** – لا بعنوان الانتساب العشائري إذا كان الكلام هكذا فإن النبيين يتشرفون أن آل مُحَمَّدٍ يقعون في سلسلة أولادهم، لا أن آل مُحَمَّدٍ يتشرفون لأن الأنبياء في سلسلة أجدادهم، الكلام ليس عن الانتساب العشائري.

الكلام عن سلالة النبيين وهي الخلاصة النقية من الشوائب، وعن صفوة المرسلين وهي زبدة الزبد، النقاء الكامل، هذا المعنى إنما يتجلى في حقائقهم القدسية وهو الكلام الذي مرت الإشارة إليه في دعاء علقمة وباسمك الذي خصصتهم به بهذا الاسم، هذا الاسم الجامع الكامل، هذا الاسم تجلى في الأنبياء في عيسى بحرفين وفي موسى بأربعة أحرف وفي إبراهيم بثمانية أحرف، وهكذا في كل نبيٍ في كل مرسل، أما فيهم فقد تجلى بكل المعاني بكل الحروف بالثلاثة والسبعين، فهم إذاً جَمَعُ مقامات الأنبياء، وإلى ذلك الإشارة فيما جاء في النصوص من أن جميع مواريث الأنبياء موجودةٌ عندهم، لأن هذه المواريث مردها الحقيقي إليهم، جميع مواريث الأنبياء، جميع دلائل الأنبياء، جميع معاجز الأنبياء، جميع كتب وصحف الأنبياء، جميع أثار الأنبياء الإلهية، كلها مردها إليهم وهي عندهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، جميع علوم الأنبياء هي داخلةٌ في تلكم الأحرف وتلكم الأحرف مجموعةٌ بكلها بتمامها إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إذاً المراد من سلالة النبيين وصفوة المرسلين أنهم الحقيقة الجامعة لكل مجالي الأنبياء، بعبارةٍ أخرى لكل كمالات الأنبياء، لكل الآثار الظاهرة في الأنبياء بسبب ما تجلى فيهم من اسماء الله الحسنى، الأسماء الحسنى تجلت في الأنبياء فظهرت لذلك أثارٌ في الأنبياء، كل هذه المجالي كل هذه الآثار هي مجموعة عندهم وهي ظاهرةٌ فيهم لماذا؟ لأن أصل التجلي ولأن أصل هذه الآثار منشأهُ عائدٌ إلى تلكم الرشحة التي رشحت من ذلك النور الأحمدي وهو في مقام الحياء حين نظر إليه الباري بنظر الهيبة فرشحت تلكم الأنوار.

وَسُلالَةَ النبيينَ، وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ، العترة ما المراد منها؟ العترة في لغة العرب تأتي بمعنى أولاد الرجل، عترة الرجل أولادهُ، أولادهُ الذين من صلبه، والعترة أيضاً هي أصل الشجرة ولذلك

يقال للشجرة المقطوعة التي قُطِع ساقها وبقي جزءٌ من الساق متصلاً بجذورهِ في الأرض يقال لها عترة لأن العترة هي الشجرة، الشجرة النابتة التي امتدت جذورها كثيراً في الأرض، العترة هي الشجرة، والعترة الذرية، والعترة أيضاً في لغة العرب قطع المسك الكبيرة الموجودة في نافجة المسك، نافجة المسك هذه الغدة الجلدة التي تستخرج من غزال المسك والتي يتكون فيها المسك من دم الغزال المختزن في هذه النافجة، فحينما تستخرج القطع المتجمدة من المسك، القطع الكبيرة تسمى بالعترة، والقطع الصغيرة تسمى بالعتيرة، العترة هي القطعة الكبيرة من المسك، وأيّاً كان إن كان معنى العترة الأولاد فآل مُحَمَّدٍ هم أولاد مُحَمَّد، ولقد قال صلى الله عليه وآله: **كل نبيٍ ذريتهُ من صُلبه وذريتي من صُلب عليٍّ وفاطمة** – فإذا كان معنى العترة هو الأولاد فهم أولاد مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وإذا كان معنى العترة الشجرة فهم شجرة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد كما قال صلى الله عليه وآله: **أنا وعليٌّ من شجرةٍ واحد وسائر الناس من شجرٍ شتى** – وإذا كانت العترة هي قطع المسك الكبيرة في النافجة فهم نافجة مسك هذا الوجود، وهم قطع المسك الكبيرة في هذه النافجة، إذا كانت النافجة رمزاً للفيض الأقدس وللفيض المقدس، فإذا كانت النافجة هي وعاء الفيض فإن أكبر هذه القطع الموجودة في نافجة المسك والتي يقال لها العترة هم عترة المسك وهم عترة نافجة هذا الوجود.

وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ، الخِيَرَة تأتي بمعنى المختار، المصطفى، يعني أن المراد هو عترة المصطفى عند رب العالمين، وعترة المختار من رب العالمين، خِيَرَة رب العالمين يعني المخلوق الأول، المصطفى الأول، المختار الأول، المجتبى الأول، المنتجب الأول، وهو مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله – **وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ** – هذه العترة منسوبةٌ لخِيَرَة رب العالمين، والخِيَرَة هنا أضيفت إلى رب العالمين وربُّ العالمين هو المُدبر لشؤون العالمين، العالمون طراً جمعٌ لعالم لكل ما خلق الله سبحانه وتعالى، ربُّ العالمين هذا الاسم يتجلى أين؟ يتجلى في خيرته، يعني أن رب العالمين تجلى في خيرته ورب العالمين إنما تجلى في العالمين بكل أسمائه، رب العالمين إنما أفاض بجوده على العالمين، أفاض بكل جوده، رب العالمين وسعت رحمته كل العالمين وهذا هو الخيرة خيرةُ رب العالمين، يعني الذي اختاره من كل مجاليه، الذي أختاره من كل عوالمه فتجلى فيه بأعظم المراتب، خيرة رب العالمين هو عنوانٌ لكل المعاني التي جاءت في دعاء السحر الشريف، كل المعاني وكل الأوصاف التي جاءت في دعاء السحر الشريف، أبهى البهاء، أجمل الجمال:

اللهم إني أسألك من بهاءك بأبهاه – أبهى البهاء، أجمل الجمال، أجلُّ الجلال، أعظم العظمة، أنور النور، أوسع الرحمة، أتم الكلمات، أكمل الكمال، أكبر الأسماء، أعز العزة، أمضى المشيئة، أقدر القدرة، أنفذ العلم، أرضى القول، أحب المسائل، أشرف الشرف، أدوم السلطان، أفخر المُلك، أعلى العلو، أقدم المن، أكرم الآيات، مظاهر الشأن والجبروت، وكل ما يجمع هذه المجالي حين يقول الدعاء: **وأسألك بكل شأنٍ**

وحده وجبروتٍ وحدها اللهم إني أسألك بما تجيبني به حين أسألك فأجبني يا الله – واسم الله هو الاسم الجامع لكل الكمالات، خيرة رب العالمين، الكائن الموجود، الحقيقة، المجلى الذي تظهر فيه كل هذه المعاني، أبهى البهاء، أجمل الجمال، أجلُّ الجلال، أعظم العظمة، أنور النور، إلى بقية الأوصاف لأن هذا الدعاء لا يتحدثُ عن بهاء الله سبحانه وتعالى فبهاء الله فنور الله ليس فيه مراتب – **اللهم إني أسألك من بهاءك بأبهاه** – يعني هناك ما هو بهي وهناك ما هو أبهى – **اللهم إني أسألك من علمك بأنفذه** – هناك ما هو نافذ وهناك ما هو أنفذ، فعلم الله لا توجد فيه مراتب، علمه من صفاته الذاتية، علمه هو قدرته، وقدرته هي ذاته، وعلمه هو ذاته سبحانه وتعالى، لا توجد مراتب، هذه المراتب إنما هي في الحقيقة المُحَمَّدية في تجليات الحقيقة المُحَمَّدية، فإذاً المراد من خيرة رب العالمين الحقيقة الجامعة لكل مجالي الأسماء لكل مجالي الصفات، وهذه العترة منتسبة إلى هذه الخيرة، إنتساب هذه العترة إلى هذه الخيرة يعني أنها تنتسبُ إلى كل صفات جمالها وكمالها – **وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ** – هذه الخيرة فيها كل جمال وجلال، والعترةُ منسوبةٌ إلى كل هذا الجمال وإلى كل هذا الجلال.

وَسُلالَةَ النبيينَ، وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ، وهذا الانتسابُ انتسابٌ في العالم الأرضي إلى مُحَمَّدٍ، هنا الانتساب يظهر في العالم الأرضي الانتساب الرحمي، والانتساب الإلهي أيضاً، فآل مُحَمَّد يرثون مُحَمَّد وراثةً رحمية ويرثون مُحَمَّداً وراثةً إلهية، ومن هنا يتجلى لك الكذب الفاضح في قول القائل بأنا معاشر الأنبياء لا نورث، أصلاً النبي صلى الله عليه وآله له وراثة إلهية وله وراثةٌ بشرية رحمية، فآل مُحَمَّد ورَّاثه من الجهةٍ الرحمية وورَّاثه من الجهة الإلهية – **وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ** – فهم عترته من جهة اللحمة والنسب وهم عترته من الجهة الإلهية من جهة الوراثة الربانية، لذلك حين نقرأُ في زيارة رسول الله صلى الله علية وآله وسلم، نقرأ في الزيارة لرسول الله من بعيد ماذا نقول له؟

أشهدُ يا رسول الله أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهرة لم تنجسك الجاهليةُ بأنجاسها – ذات مُحَمَّدٍ أبيةٌ على أن تتنجس، ذاتُ مُحَمَّدٍ لو اقتربت منها النجاسةُ تتطهر، هذه ذواتٌ أبيةٌ على النجاسة – **أشهدُ يا رسول الله** – الكلام هنا ليس عن انتسابٍ عشائري، الانتساب العشائري يأتي عرضاً، هذه مسألة عرضية، ذاتُ مُحَمَّدٍ تتأبى لا يمكن أن تقترب منها النجاسة، ولو فرضنا وفرض المحال ليس بمُحال ولو فرضنا أن النجاسة تقترب من هذه الذات فإن النجاسة ستتطهر تتحول إلى طهارة، هذا الحديث ليس في الأفق الحسي المادي، هذا الحديث في العمق، في العمق الذي يقول عنه مُحَمَّد صلى الله عليه وآله كنتُ نبياً وآدم بين الماء والطين، هذا في العُمق البعيد لا في العُمق الحسي – **أشهدُ** – يا رسول الله – **أنك كنت نوراً** – الحديث هنا ليس عن نُطف مادية، ليس الحديث عن انتساب عشائري،

الانتساب العشائري موجود وعلى العين والرأس ولكن الكلام عن حقيقة أبعد، عن معنى أعمق، الحديث هنا ليس مجازاً حينما تقول الزيارة: أشهدُ أنك كنت نوراً هو حقيقة النورية – **أشهدُ يا رسول الله أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهرة لم تنجسك الجاهليةُ بأنجاسها** – وهذا ينبئك بأن أجداد الأنبياء أجداد نبينا أنبياء، هذا ينبئك بهذا المعنى، بأن أجداد نبينا أنبياء كما تقول الروايات، وأنا لا أريد البحث في هذه القضية الآن ربما نتناول هذا الموضوع في بحثٍ آخر لأن البحث هنا هو أرقى وأسمى من قضية الانتساب العشائري – **أشهدُ يا رسول الله أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهليةُ بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها** – المدلهمات الظلمات، الحديث هنا ليس عن جنبةٍ مادية، الحديث عن الذات التي تتأبى أن تدنو منها النجاسة، هذه الذات المُطهرة للوجود ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ هذا الماء الطهور يعني هو طاهرٌ في نفسه مطهرٌ لغيره، هذا الماء الطهور هو الطهور الأصغر، الطهور الأعظم، هو الماء الأول، الماء الذي أشرقت به الحقيقةُ المُحَمَّدية، الماء الذي خلق الله منه كل شيءٍ حي هو ماء الوجود، ذلك الطهور الأعظم.

أشهدُ يا رسول الله أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهرة لم تنجسك الجاهليةُ بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها – نفس هذه العبارات أين نقرأها؟

نقرأها في زيارة أبي السجاد في زيارة والد العترة الطاهرة ونحن نخاطبه – **يا مولاي يا أبا عبد الله أشْهَدُ أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة** – هذه زيارةٌ وارث وفي زيارات عديدة أخرى وهذا الكلام ليس مختصاً بحسينٍ فقط، لكن هذا المعنى يتجلى بنفس العبارات، وفي ذلك إشارةٌ إلى قوله صلى الله عليه وآله – **حسينٌ مني وأنا من حسين** – وعندنا حديث آخر – **أنا من حسين وحسينٌ مني** – هناك حديثان عن رسول الله حديث مشهور تحفظه شيعة أهل البيت – **حسينٌ مني وأنا من حسين** – وهناك حديثٌ آخر أيضاً – **أنا من حسين وحسينٌ مني** – والمعنى واحد فمُحَمَّدٌ هو حسينٌ وحسينٌ هو مُحَمَّد إلا أن مُحَمَّداً هو مُحَمَّد وأن حسيناً هو حسين – **يا مولاي يا أبا عبد الله** – نفس العبارات – **أشهدُ أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهرة لم تنجسك الجاهليةُ بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها** – نفس المعنى، هو نفس النقاء ونفس الطهارة ونفس المنزلة فهم سلالة النبيين وهم صفوة المرسلين وهم عترةُ خيرة رب العالمين.

روايةٌ في الجزء الخامس والعشرين من بحار الأنوار، الرواية فيها شيء من الطول لكنني أجد من الضرورة أن أتلوها على مسامعكم لِمَا فيها من غزير المطالب وعميق المضمون، الرواية عن حامل أسرار أهل البيت جابر بن يزيد الجعفي رضوان الله تعالى عليه، من أخص خواص الأئمة، ولقد نقل إلينا من حديثهم من

عميق أسرارهم، الرواية ينقلها عن إمامنا الباقر صلوات الله عليه، الإمام يقول له: **يا جابر كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول فأولُ ما ابتدأ من خلقٍ خلقه أن خلق مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته فأوقفنا أظلّةً خضراء بين يديه** – هذا اللون، اللون الأخضر إشارة إلى لون الحياة ولون الحبِّ ولون القرب، وقبل قليل مر علينا في المقامات التي تَنَزَّلَ فيها النور الأحمدي في مقام القرب في مقام الحُب النور الأخضر فيه إشارة إلى معاني الحياة والحُبِّ والقُرب – **فأولُ ما ابتدأ من خلقٍ خلقه أن خلق مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته فأوقفنا أظلَّةً خضراء بين يديه حيثُ لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر يفصلُ نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس** – عبارة دقيقة جداً.

وأنا هنا لا أريد أن أشرح الرواية فإني أرى أن الوقت يجري سريعاً، أنا أقرأ الرواية وما يُفهم منها فهو الذي سأكتفي به، لكن العبارة دقيقة جداً – **يفصلُ نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس** – وهو هذا معنى التجلي، أن الله تجلى في الحقيقة المُحَمَّدية بكل أسمائه – **يفصلُ نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس نُسبِّح الله تعالى ونقدسه ونحمده ونعبده حق عبادته ثم بدا لله تعالى عزَّ وجلَّ أن يخلق المكان فخلقه وكتب على المكان لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله عليٌّ أمير المؤمنين ووصيه به أيدته ونصرته** – فكل هذا رموز وإشارات – **ثم خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك** – يعني الله، مُحَمَّدٌ، عليّ – **ثم خلق الله السماوات فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثم خلق الجنة والنار فكتب عليها مثل ذلك، ثم خلق الملائكة وأسكنهم السماء ثم تراءى لهم تعالى وأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية ولمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعليٍّ عليه السلام بالولاية فاضطربت فرائص الملائكة فسخط الله على الملائكة واحتجب عنهم فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجيرون الله من سخطه ويقرون بما أخذ عليهم ويسألونه الرضا فرضي عنهم بعدما أقروا بذلك وأسكنهم بذلك الإقرار السماء واختصهم لنفسه واختارهم لعبادته ثم أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبح فسبحت فسبحوا بتسبيحنا ولولا تسبيح أنوارنا ما دروا كيف يسبحون الله ولا كيف يقدسونه** – قطعاً الحديث هنا فاضطربت فرائص الملائكة فسخط الله على الملائكة هذه معاني تشابه نفس المعاني ونفس المضامين التي جاءت في قصة الاستخلاف في قصة آدم.

حين نقرأ في الكتاب الكريم في سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ أليس هذا نحو اعتراض؟! لكن هذا الاعتراض ليس اعتراضاً يخرجهم من حد الطاعة ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ

فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ إلى آخر الآيات وإلى آخر الكلام الذي كان بين الله وبين الملائكة، فهذا الشأن الذي ذكر في هذه الرواية كهذا الشأن الذي جاء في القرآن الكريم في قصة آدم وفي قصة استخلافه – **ثم أمر الله تعالى أنوارنا أن تُسبح فسبحت فسبحوا بتسبيحنا ولولا تسبيح أنوارنا ما دروا كيف يسبحون الله ولا كيف يقدسونه، ثم إن الله عزَّ وجلَّ خلق الهواء فكتب عليه لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله عليٌّ أمير المؤمنين ووصية به أيدته ونصرته، ثم خلق الله الجن وأسكنهم الهواء وأخذ الميثاق منهم بالربوبية ولمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعليٍّ عليه السلام بالولاية فأقر منهم بذلك من أقر وجحد منهم من جحد فأول من جحد إبليسُ لعنه الله فختم له بالشقاوة وما صار إليه ثم أمر الله تعالى عزَّ وجلَّ أنوارنا أن تسبح فسبحت فسبحوا بتسبيحنا ولولا ذلك ما دروا كيف يسبحون الله، ثم خلق الله الأرض فكتب على أطرافها لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله عليٌّ أمير المؤمنين وصيه به أيدته ونصرته فبذلك يا جابر قامت السماوات بغير عمد وثبتت الأرض، ثم خلق الله تعالى آدم عليه السلام من أديم الأرض** – من أديمها يعني من ترابها – **فسواه ونفخ فيه من روحه ثم أخرج ذريته من صلبه فأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية ولمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعليٍّ عليه السلام بالولاية، أقر منهم من أقر وجحد من جحد فكنا أول من أقر بذلك، ثم قال لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وعزتي وجلالي وعلو شأني لولاك ولولا عليّ وعترتكما الهادون المهديون الراشدون ما خلقتُ الجنة والنار ولا المكان ولا الأرض ولا السماء ولا الملائكة ولا خلقاً يعبدني، يا مُحَمَّد أنت خليلي وحبيبي وصفيي وخيرتي من خلقي** (وعترة خيرة رب العالمين).

وخيرتي من خلقي أحب الخلق إلي وأول من ابتدأت إخراجه من خلقي ثم من بعدك الصدّيقُ عليٌّ أمير المؤمنين وصيك به أيدتك ونصرتك وجعلته العروة الوثقى ونور أوليائي ومنار الهدى ثم هؤلاء الهداة المهتدون من أجلكم ابتدأت خلق ما خلقت وأنتم خيار خلقي فيما بيني وبين خلقي، خلقتكم من نور عظمتي واحتجبتُ بكم عمن سواكم من خلقي وجعلتكم استقال بكم – استقال بكم أي أن العباد تطلب الإقالة من الله بهم، المغفرة والتوبة – **وجعلتكم استقال بكم وأُسأل بكم فكل شيءٍ هالكٌ إلا وجهي وأنتم وجهي لا تبيدون ولا تهلكون ولا يبيدُ ولا يهلكُ من تولاكم ومن استقبلني بغيركم فقد ضل وهوى وأنتم خيارُ خلقي وحمَلةُ سري وخزانُ علمي وسادةُ أهل السماوات وأهل الأرض، ثم إن الله تعالى هبط إلى الأرض في ظُللٍ من الغمام والملائكة** – الحديث هنا يشير إلى نفس المضمون.

الكلام هنا ليس عن تجسيم أو تجسيد، هذا التعبير هو نفس التعبير القرآني الذي جاء في سورة البقرة في

الآية العاشرة بعد المئتين: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ فهل يأتي الباري من مكان؟ هل هناك مكانٌ خالٍ منه حتى يأتي من مكانٍ إلى مكان؟!

وإنما المقصود كما شرحتُ هذه الآية في برنامج قرآننا ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ﴾ إلا أن يأتيهم وليُّ الله، يأتيهم أمر الله، الكلام هنا في هذه الآية نفس الشيء هو الموجود في هذه الرواية – **ثم إن الله تعالى هبط إلى الأرض في ظُلَلٍ من الغمام والملائكة** ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ يأتيهم إلى أين؟

يأتيهم إلى عالم الأرض، يأتيهم إلى عالم القيامة يوم القيامة، الحديث هنا هكذا الخطاب مع الناس الذين كانوا يعيشون مع رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى الناس الذين يبتعدون عن طريق الهدى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ﴾ هذا التعبير لأنه يتحدث عن مواقف يوم القيامة، والكلام هنا بنفس هذا التعبير بنفس هذا المضمون وبنفس هذا التجلي – **ثم إن الله تعالى هبط إلى الأرض في ظُلَلٍ من الغمام والملائكة** – الهبوط هنا هبوط أمره، هبوط فيضه، هبوط تجليه – **واهبط أنوارنا أهل البيت معه وأوقفنا نوراً صفوفاً بين يديه نسبحه في أرضه كما سبحناه في سماواته ونقدسه في أرضه كما قدسناه في سمائه ونعبده في أرضه كما عبدناه في سمائه فلما أراد الله إخراج ذرية آدم عليه السلام لأخذِ الميثاق سلك ذلك النور فيه** – سلك يعني أدخل تجلى ذلك النور في آدم – **سلك ذلك النور فيه ثم أخرج ذريته من صلبه** – ثم أخرج ذريته أخرج ذرية آدم – **من صلبه يلبون فسبحناه فسبحوا بتسبيحنا ولولا ذلك لا دروا كيف يسبحون الله عزَّ وجلَّ ثم تراءى لهم بأخذ الميثاق منهم له بالربوبية وكنا أول من قال بلى عند قوله ألستُ بربكم** – لأنهم هنا لهم تجلٍ في ذرية آدم باعتبار أنهم تَنَزَّلوا فظهروا في ذرية آدم – **وكُنَّا أول من قال بلى عند قوله ألستُ بربكم ثم أخذ الميثاق منهم بالنبوة لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ولعليٍّ عليه السلام بالولاية فأقرّ من أقر وجحد من جحد، ثم قال أبو جعفرٍ عليه السلام: فنحنُ أول خلق الله وأول خلقٍ عَبَدَ الله وسبّحه ونحن سببُ خلق الخلق وسببُ تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميين فبنا عُرِف الله وبنا وُحّد الله وبنا عُبِد الله وبنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه وبنا أثاب من أثاب وبنا عاقب من عاقب، ثم تلى قوله تعالى:**

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ **وقوله تعالى:** ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾

فرسول الله صلى الله عليه وآله أول من عَبَدَ الله تعالى وأول من أنكر أن يكون له ولد أو شريك ثم نحن بعد رسول الله، ثم أودعنا بذلك النور صُلب آدمٍ عليه الصلاة والسلام فمازال ذلك النور ينتقلُ من الأصلاب والأرحام من صُلبٍ إلى صُلب ولا أستقر في صلب إلا تبين عن الذي أنتقل منه انتقال وشَرَّف الذي أستقر فيه حتى صار في صُلب عبد المطلب فوقع بأم عبد الله فاطمة فافترق النور جزئين جزءٌ في عبد الله وجزءٌ في أبي طالب، فذلك قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ **يعني في أصلاب النبيين وأرحام نسائهم فعلى هذا أجرانا الله تعالى في الأصلاب والأرحام، وولّدنا الآباء والأمهات من لدن آدم عليه السلام** – تمتُ الرواية الشريفةُ وفيها المضامين الوفيرة والغزيرةُ وهي تتحدث عن معنى الخيرة وعن معنى العترة وتتحدث عن مجالي أنوار مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد منذ التجلي الأول وهكذا في كل العوالم وفي كل طبقات الوجود وليست هذه الرواية حاصرة لكل المراتب وإنما روايات المعارف كل رواية من هذه الروايات تتحدث عن جهةٍ من الجهات، تتحدث عن رُتَبٍ من مراتب التجليات، ما تجده من فوارق فيما بين هذه الروايات هذه الفوارق مردها إلى الجهات التي نظر إليها المتكلم وهو الإمام المعصوم، الإمام المعصوم في كل موقفٍ هو ناظر إلى حيثية من الحيثيات، ولذلك مراراً أنا كررت وأكرر بأن المعارف الإلهية الآيات القرآنية والنصوص المعصومية الأحاديث التي تتحدث عن المعاني العميقة بلسان التصريح أو بلسان التلميح أو بلسان التلويح بلسان الإشارة بلسان الرمز بلسان الاصطلاح بأي لسان، هذه النصوص التي تتحدث عن عميق المعارف الإلهية حينما نريد أن نتعامل معها لابد أن نتعامل على أساس هاتين القاعدتين الذهبيتين:

القاعدة الأولى: قاعدة حفظ المقامات.

والقاعدة الثانية: قاعدة تعدد الحيثيات.

وقد مر الكلام في هذا الأمر مراراً وتكراراً، هذه المضامين كلها يمكن أن نجدها في آية واحدة من آيات الكتاب الكريم، حين نذهب إلى قرآننا الكريم ونقرأ في سورة الضحى في الآية الخامسة، كلمات قليلة جملة مختصرة تُحمل كل هذه المعاني وأكثر من هذه المعاني بملايين المرات ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ الخطاب هنا لمن؟ الخطاب هنا للمحمود الأحمد للمصطفى الأمجد، الخطاب لمُحَمَّد صلى الله عليه وآله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ هنا عطاءٌ من الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ رب مضافة إلى الضمير الذي يخاطب النبي ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ عطاءٌ من الله، من ربك، والآية قالت ربك، وما قالت مثلاً ولسوف يعطيك رب العالمين، الرب هو الذي له عناية، الرب هو المربي المدبر، فحين

تقول الآية ربك يعني الذي له عنايةٌ خاصةٌ بك، الله وهو له عنايةٌ بمُحَمَّد، كيف ستكون هذه العناية؟ هذه العناية بينتها الآية عطاء، لكن هنا الله سبحانه وتعالى يتوجه إلى مُحَمَّد بعنايةٍ خاصة، هنا الله يتوجه إلى مُحَمَّد على أنه رب مُحَمَّد، التجلي هنا ربُ مُحَمَّد يتجلى لمُحَمَّد، ليس رب العالمين يتجلى لمُحَمَّد ذلك تجلي آخر، رب مُحَمَّد ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ مثل ما، وإن كان الأمثلة هذه الأمثلة تبعد أكثر مما تقرب ولكن ماذا نصنع؟ مثل ما يكون مثلاً أب عنده أولاد كثيرون فيوجه عنايته لكل الأولاد، ومرةً يوجه عنايته لولدٍ خاص، هناك عناية خاصة في منظور خاص منظور معين، حينما سألوا هذه الإعرابية سألوها أي أولادك تحبين أكثر؟ قالت كلهم سواء ولكن المريض حتى يشفى أحبه أكثر، والغائب حتى يعود أحبه أكثر، والصغير حتى يكبر، يعني هناك عناية معينة جهة معينة، الأولاد كلهم على السواء عند هذه الإعرابية لكنها تحب الغائب حتى يعود أكثر لماذا؟ هناك جهة معينة نظرت إليها بخصوصية بعناية، وتحب الصغير حتى يكبر هناك جهة نظرت إليها، وتحب المريض حتى يشفى.

فنقول رب العالمين ربٌ لكل العوالم، لكن حين يكون الكلام ربُ مُحَمَّد فهناك عنايةٌ من رب مُحَمَّد لمُحَمَّد ومُحَمَّدٌ هو الحبيب، مُحَمَّدٌ هو الأحب هو الأقرب هو الأرضى هو الأحمد هو المحمود هو المصطفى هو المختار هو المجتبى مُحَمَّدٌ هو مُحَمَّد، أين أجدُ عباراتٍ أتحدث فيها عن مُحَمَّد، مُحَمَّدٌ هو مُحَمَّد وكفى، الآية هنا تخاطب مُحَمَّداً ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ ولسوف يعطيك رب مُحَمَّدٍ يا مُحَمَّد، هناك عطاء، هل أستطيعُ أن أتصور هذا العطاء من رب مُحَمَّد لمُحَمَّدٍ بعنايةٍ لمُحَمَّد ﴿فَتَرْضَى﴾ عطاءٌ من رب مُحَمَّد لمُحَمَّد وهذا العطاء ما هو أثره؟ أن مُحَمَّداً يرضى، ما المراد أن مُحَمَّداً يرضى؟

مراد أن مُحَمَّداً يرضى أن مُحَمَّداً يتجلى فيه كل الجمال الإلهي كل الجلال الإلهي فيفنى في الله، فيكونون كما تقول هذه الكلمة التي ينقلها العُرفاء في كتبهم عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **إن لنا مع الله حالات نكون فيها نحن هو وهو نحن إلا أننا نحن نحن وهو هو** – إنما يرضى متى يرضى؟ مُحَمَّدٌ مرآة قابلة لأن يتجلى فيها كل الجمال وكل الجلال، وإنما ترضى هذه المرآة إذا تجلى فيها كل الجمال وكل الجلال، ورب مُحَمَّدٍ هو الذي يعطي، رب مُحَمَّدٍ لعنايةٍ لمُحَمَّدٍ يعطي مُحَمَّداً ومُحَمَّدٌ يرضى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَ﴾ كيف أُعَبِّر عن هذا؟ لا أجدُ تعبيراً إلا تعبير القرآن، في سورة النور في الآية الخامسة والثلاثين ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ فقط، لا أجدُ عبارةً أخرى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ فربكُ نورٌ وعطاءه نورٌ وأنت نورٌ ورضاءك نورٌ ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ لا أجد عبارةً أخرى، أنا قلت في حينها

حين تحدثت عن آية النور هذه الآية هي أعظم آية في الكتاب الكريم تتحدث عن أعظم المراتب والمقامات، أعظم مقامات مُحَمَّدٍ في القرآن هي في آية النور ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ أجلى عبارة يمكن أن أجدها تناسب هذه الآية ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ خيرة رب العالمين، وهؤلاء عترته، هؤلاء عترة النور على النور هؤلاء هم النور على النور نحن نقرأُ في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ماذا نخاطبه؟ **السَّلام عليك يا مُحَمَّد** – ومُحَمَّد ليس بحاجة إلى أوصاف، مُحَمَّد تكفي – **السَّلام عليك يا مُحَمَّد** – هذا الاسم الذي يعلو على القيود لا يحتاج إلى أوصاف – **السَّلامُ عليك يا مُحَمَّد** – هنا في مقام الإطلاق من دون أوصاف من دون قيود – **السَّلامُ عليك يا مُحَمَّد** – الذات التي تتأبى على القيود، فإني لا أحب القيود في معصميكِ، ذاتٌ تتأبى على القيود جمالها في عدم قيودها، فإني لا أحب القيود في معصميكِ – **السَّلامُ عليك يا مُحَمَّد السَّلامُ عليك يا أحمد** – هذه عناوين تتنزه عن القيود، تتنزه عن الإضافات، أجلى أجلى من أن توصف بأنها رسول الله، رسول الله من مقاماته لكن الخطاب هنا مع المقام الأسمى، نبي الله خاتم الأنبياء من مقاماته لكن مُحَمَّداً هنا أسمى أسمى أسمى ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ **السلام عليك يا مُحَمَّد** – الاسم المنزه عن القيود عن الإضافات في حالة الإطلاق في عالم الإطلاق – **السَّلام عليك يا مُحَمَّد السَّلامُ عليك يا أحمد** – وكلمة مُحَمَّد وكلمة أحمد بحاجة إلى شرح، إن شاء الله في وقتٍ آخر أشرح هذين الاسمين الشريفين.

فلكل اسمٍ ولكل وصفٍ ولكل لفظةٍ من هاتين اللفظتين كلامٌ طويل في شرح معناهما، إن شاء في وقتٍ آخر أتناول شرح هذين الاسمين الشريفين – **السَّلامُ عليك يا مُحَمَّد السَّلامُ عليك يا أحمد السَّلامُ عليك يا حُجة الله على الأولين** – هذه قيود، في البداية الخطاب على وجه الإطلاق، كما يقول الشاعر فإني لا أحب القيود في معصميكِ، هنا ذوات هنا أسماء مقامات مُنزه عن القيود – **السَّلام عليك يا مُحَمَّد السَّلامُ عليك يا أحمد السَّلامُ عليك يا حجة الله على الأولين والآخرين والسابقَ إلى طاعة رب العالمين والمهيمن على رسله** – هذه مقاماته لننتبه إلى العبارات – **السلام عليك يا مُحَمَّد السلامُ عليك يا أحمد السلامُ عليك يا حجة الله على الأولين والآخرين والسابقَ إلى طاعة رب العالمين والمهيمنَ على رُسله** – له الهيمنة – **والمهيمنَ على رسله** – فهم رشحةٌ من نوره – **والمهيمنَ على رسله والخاتم لأنبيائه والشاهد على خلقه** – شاهدٌ على الجميع – **والشفيع إليه والمكين لديه والمطاع في ملكوته** – الملكوت ما وراء ظاهر الوجود – **الأحمد من الأوصاف المُحَمَّد لسائر الأشراف** – وهذه من مجالي معاني الاسمين الكريمين، ما عندي وقت أن أقف عند هذه العبائر – **الأحمد من الأوصاف**

المُحَمَّد لسائر الأشراف الكريم عند الرب والمُكَلَّم من وراء الحُجب الفائز بالسباق – هو الفائز الأول – **والفائت على اللحاق** – لا يُلحق، لا يُسبق، هذه أوصافه – **الفائز بالسباق** – هذه العترة التي نسلم عليها – **وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ** – هي عترة هذا الأحمد من الأوصاف المُحَمَّد لسائر الأشراف، هي عترة هذا الموصوف بهذه الأوصاف بكل هذه الأوصاف وبما هو أعظم من هذه الأوصاف وكل هذه الأوصاف تتجلى في عترته، وتظهر في عترته فحين نخاطبهم – **وَسُلالَةَ النبيينَ، وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ** – إنما نعني هذه المعاني ونقصد هذه الأبعاد، لخصته في هذه الكلمة القرآنية ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ السَّلام عليكم يا نوراً على نور، السَّلام عليكم يا نوراً على نور وينتهي الكلام.

هذه جولة وجولة سريعة النصوص كثيرة والكلمات المعصومية كثيرة والإشارات القرآنية كثيرة لكنني أحاول أن أقتضب المطالب بحسب ما يسنحُ به المقام، بقيت بقية ووقت البرنامج ما بقيت منه إلا دقائق قارب على الانتهاء، ولا أريد أن أتعبكم أكثر بالإطالة، لكن بقيت بقية أريد أن أتمها حتى يكمل عندنا شرح المقطع الأول من المقاطع الخمسة، المقاطع الأصول من المقاطع الأسس في الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَسُلالَةَ النبيينَ، وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** – ورحمة الله وبركاته هذه واضحةٌ لديكم معطوفةٌ على السَّلام لأننا في البداية قلنا – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – إلى آخر المقطع، بنهايته ينتهي الكلام تتم المعاني في المقطع الأول فنقول – **وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** – فهي معطوفةٌ على السَّلام، وإذا تتذكرون حين تحدثنا عن السلام أشرتُ إلى جهات عديدة، ومن جملة الجهات التي أشرتُ إليها ذكرتُ هذه الرواية أعيدها على مسامعكم لأجل أن تترابط المعاني.

الرواية في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول من الكافي الشريف، **عن داوود بن كثيرٍ الرقي قال: قلت لأبي عبد الله** – الرقي يعني من مدينة الرقة – **قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما معنى السلام على رسول الله؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لمَّا خلق نبيه ووصيه وأبنته وأبنيه وجميع الأئمة وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا وأن يتقوا الله ووعدهم أن يسلم لهم الأرض المباركة** – والحديث هنا عن سلام وعن رحمة وعن بركات، السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته – **ووعدهم أن يسلم لهم الأرض** – سالمةً بالسلام مباركةً – **ووعدهم أن يسلم لهم الأرض المباركة والحرم الأمن وأن ينزل لهم البيت المعمور ويُظهر لهم السقف المرفوع ويريحهم من عدوهم والأرض التي يبدلها الله من السلام ويسلم ما فيها لهم لاَّ شِيَةَ فِيهَا قال: لا خصومة فيها لعدوهم وأن يكون لهم فيها ما يحبون وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك**

وإنما السلام عله تذكرة نفس الميثاق وتجديد له على الله لعله أن يعجله جلَّ وعزَّ ويعجل السلام لكم بجميع ما فيه – إذاً قولنا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته هو تجديدٌ لميثاق الله ولميثاق رسوله بأنه سيمنحهم ويمنح شيعتهم السلام والرحمة والبركة، كما أشارت إلى هذا الرواية وقد شرحت هذه الرواية حين شرحنا وتبياننا لمعنى السلام في الحلقات الأولى من هذا البرنامج، يمكنكم أن تراجعوا الحلقات الأولى من هذا البرنامج فتتذكرون الكلام السابق، هذه الرواية قرأناها في ذلك الوقت وشرحناها، خلاصةُ ما فيها من كلامٍ أن المراد من قولنا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تجديدٌ للميثاق الإلهي وتجديدٌ للميثاق المُحَمَّدي في أن الله سبحانه وتعالى سيهبهم السَّلام والرحمة والبركة متى يكون هذا؟

إنما يكون هذا بدايته في زمان ظهور إمامنا وفي زمان الرجعة بعد دولة إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، وكل ذلك تجديدٌ ومعاهدةٌ ومواثقةٌ لكل هذه المعاني التي جاءت في ذلك الميثاق وفي ذلك العهد المعهود الذي أخذ في العوالم العلوية مرةً من قِبَل الله ومرةً من قِبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمردُ في ذلك إلى خاتم الأنبياء.

الرواية **عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول** – إمامنا الصادق صلوات الله عليه ماذا يقول؟ – **اللهم صلِّ على مُحَمَّدٍ صفيك وخليلك ونجيك المُدَبِّر لأمرك** – فهو المدبرُ للأمر، الأمر عائدٌ إليه لذلك الرواية هنا تحدثت عن أن الميثاق الإلهي تكرر وتجدد، من الذي أخذ الميثاق في المرة الثانية؟ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم لأنه هو المُدَبِّر للأمر، هو المدبرُ للخلق وهو المدبرُ للأمر، وما الخلق وما الأمر إلا من تجليات الحقيقة المُحَمَّدية، الله سبحانه وتعالى خلق النور الأول ومن النور الأول اشتق كل الأنوار، وتلكم هي الحقيقة الكاملة، ذلك المعنى هو المعنى الجلي والمعنى الواضح، لربما الروايةُ أيضاً في الكافي الشريف والتي أختم بها الكلام.

الرواية عن إمامنا الصادق ومرت علينا هذه الرواية لكنني أعيدها مرة ثانية لمناسبتها للموضوع الذي بين أيدينا إمامنا الصادق يقول: **إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خَلق منه مُحَمَّداً وعليَّاً فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كُون قبلهما فلما يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى أفتراقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب** – صلوات الله عليهما وعلى آلهما الأطيبين الأطهرين، بذاك تتضح لنا شيءٌ من معنى من قول الزيارة الجامعة الكبيرة – **وسلالة النبيين وصفوة المرسلين وعترة خيرة رب العالمين ورحمة الله وبركاته.**

أختم الحديث بقراءة كُلِّ المقطع وهو المقطع الأول من المقاطع الخمسة الأصول في الزيارة الجامعة الكبيرة،

وبهذا وبحمدٍ من الله وتوفيقٍ من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد تم الكلامُ في هذا المقطع:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْي، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم، وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ، وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ، وَأَبْوابَ الأيمانِ، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ، وَسُلالَةَ النبيينَ، وَصَفْوَةَ المُرْسَلينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

وأنتم يا أشياعهم يا أوليائهم السَّلام عليكم موعدنا يتجدد إن شاء الله، لقاءنا يتجدد في أيام شهر رمضان بين يومٍ ويوم، ألقاكم على مودّة عليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ حتى ينقطع النفس.

أسألكم الدعاء في أمان الله.

الحلقة السادسة عشر

معنى أَئِمَّةِ الهُدى ومَصابيحِ الدُّجى وأعلامِ التُّقى

السلام عليكم جميعاً أحباب عليٍّ وآل عليّ ورحمة الله وبركاته، هذه الحلقة السادسة بعد العاشرة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، لا زال الكلام متواصلاً في بيان ما يمكنني أن أبينه من مضامين هذا النص الشريف، وفي الحلقة الماضية تَمَّ الكلامُ في المقطع الأول من المقاطع الخمسة التي تمثل قلب الزيارة الجامعة الكبيرة، هذه المقاطع الخمسة والتي تُختتَمُ بالقولة ورحمة الله وبركاته، كل مقطع يبتدئ بالسلام وينتهي بقول الزيارة ورحمة الله وبركاتهُ، هذه المقاطع الخمسة تمثلُ الأصول والأسس التي تتفرع عليها سائرُ المعاني المذكورة في بقية عبارات وسطور وجمل والمقاطع الأخرى من الزيارة الشريفة، هذا مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القمي وهذه هي الزيارة الجامعة الكبيرة وقد تَمَّ الكلام بتوفيق الله في المقطع الأول ونشرع اليوم في المقطع الثاني من المقاطع الخمسة الأصول.

المقطع الثاني يبتدئُ: **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى** – هذه العناوين الثلاثة مرتبطة بعضها بالبعض الآخر وسيتضح هذا المضمون من خلال الشرح والبيان، المقطع السابق ابتدأ السلامُ وانتهى ورحمة الله وبركاته، وحين تحدثت عن معنى السلام في الزيارة الشريفة في هذه وفي غيرها من الزيارات الأخرى، بينت جملة من المطالب ومن ضمنها أن السلام هو تجديدٌ للعهد والميثاق المأخوذ على المؤمنين، هناك ميثاقٌ إلهي، وهناك ميثاقٌ مُحَمَّدي، ومرت الروايات مبيّنة معنى هذا الميثاق، الآن حينما نقول مرةً ثانية في هذا المقطع نُكرر فنقول: **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى** – في المقطع السابق ابتدأ المقطع الأول: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – إلى آخر المقطع، المقطع الثاني الآن ابتدأ – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى** – السلام هنا ما معناه؟ السلام هنا يشتمل على المعنى الأول، وهو تجديد العهود، تجديد المواثيق، وأيضاً يشتمل على تأكيد معنى التسليم والسالمية لأهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، تأكيد التسليم وتأكيد السالمية باعتبار أن المقطع الأول تحدث عن كمالات أهل البيت، تحدث عن المراتب العالية وعن المقامات الشامخة السامقة لهم صلوات الله عليهم، تحدث المقطع الأول عن علمهم الكامل المحيط وتحدث المقطع الأول عن ولايتهم المحيطة، وتحدث المقطع الأول عن أن

النعم والفيوض الواصلة إلى المخلوقات إنما هي متأتيةٌ من أبوابهم الشريفة كل هذا مَر، فمن البداهة أن العباد إذا ما عرفوا هذه المعاني واعتقدوها من البداهة بمكان أن العباد سيسيرون في هذا الطريق، في أي طريق؟ في طريق التسليم وبعد التسليم تأتي السالمية، وإلا لا يتحقق أيُّ معنىً من معاني الكمال في الإنسان إذا ما لم تكون، ما لم تكن مسيرتهُ موافقةٌ للفطرة أولاً، وللمنطق والعقل والحكمة ثانياً، فإذا كان العلم كلهُ عندهم، وإذا كانت الحكمة كلها عندهم، وإذا كانت النِعَمُ والفيوضات من قبلهم فماذا يبقى للعبد إلا أن يكون مُسَلِّماً وسالماً، وذلك هو منطق الفطرة ومنطق العلم والعقل والحكمة، السلام هنا هو تجديدٌ، تأكيد، ترسيخٌ، توثيقٌ لهذه المعاني، لمعاني التسليم ولمعاني السالمية.

نحن حين نقرأ في الكتاب العزيز في الآية الخامسة والستين من سورة النساء ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حتى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ: الإيمانُ هو السيرُ والانسياق باتجاه الفطرة، الإيمان هو السير والانسياق باتجاه المنطق الحقيقي، باتجاه المنطق السليم، باتجاه العقل المنير، وباتجاه الحكمة الواضحة، الإيمان هو هذا، الإيمانُ فطرةٌ ومنطقٌ وعقلٌ وحكمة، هذا هو معنى الإيمان ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ لا يؤمنون أن الإيمان لا يحل في قلوبهم، فحينما يحل الإيمان فذلك يعني أن الإنسان قد سار في هذا المسار، قد سار في هذا الاتجاه، في اتجاه الفطرة والمنطق والعقل والحكمة ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حتى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ الآية هنا تتحدث عن الأوضاع المتأزمة للإنسان، الإنسان ربما في الحالة الهادئة قد يدعي التسليم، وقد يدعي أكثر من التسليم وهو السالمية، إذا كانت الأحوال هادئة، إذا كانت الأمور باردة، لكن حينما تكون الأمور ساخنة، حينما تكون الأمور مشتدة، هنا تظهر حقيقة التسليم عند الإنسان، أَمُسَلم هو أم لا؟ لذلك الآية تشير إلى هذه الحقيقة ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حتى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني حينما تكون الأوضاع النفسية ساخنة، حينما تكون الظروف المحيطة بالإنسان الظروف الموضوعية المحيطة تكون هذه الظروف مشتدة شديدة قوية، فهنا يتبين ويظهر معدن الإنسان أهو مُسَلم أم لا؟

لأن التسليم هنا هو انسياقٌ في طريق الفطرة، الفطرة والمنطق يدفعان بالإنسان إلى التسليم لأن الجهة التي نسلم لها ويسلم إليها جهة كاملة، كاملةٌ في العلم، كاملةٌ في الحكمة، كاملة في القول والفعل والعمل، كاملةٌ في جميع الاتجاهات، فإذا كانت الجهة الموجهة، الجهة المُشرفة جهة كاملة في جميع الاتجاهات فإن الفطرة والمنطق والعقل والحكمة كل ذلك يحكمون بضلالة من يخالف السير في الاتجاه الذي تريدهُ تلكم الجهة

الكاملة، لذلك الآية تقول ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ لأن الإيمان هو سيرٌ في مسار الفطرة المنطق والعقل والحكمة ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ في الظرف الساخن، في الظروف المشتدة ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ وهذا هو التسليم، التسليم هو الإخبات، يعني أن النفس البشرية إن الإنسان يُكَيّف قناعاتهِ وفقاً لِمَا يريدهُ المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فالمعصوم وجه الله، فما يريدهُ المعصوم هو الذي يريدهُ الله، والإنسان في مقام العبودية لا يمكن أن يكون عبداً إلا بهذه الصفة بصفة التسليم، لأن أول مرتبة من مراتب العبودية هي التسليم، نحن لا نستطيع أن ندخل إلى فناء العبودية إلا من باب التسليم، إذا لم ندخل من باب التسليم ولم نُقبَل عند باب التسليم لأننا لسنا مُسَلمين فإننا لن نستطيع الولوج إلى فناء العبودية، وبعد ذلك الترقي في مراقي العبودية، العبودية هي التسليم، والتسليمُ أول مرقاةٍ في سلم العبودية ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ نفوس مطمئنة، نفوس هادئة، نفوس ساكنة لمَا يأتي به القضاءُ، لِمَا يأتي به الأمر لِمَا تأتي به الإرادة المعصومة ﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ .

فنحن هنا حين نُسلم على الأئمة: **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى**، هذا السلام إعلانٌ وإشعارٌ وتأكيدٌ لمعنى التسليم، لأننا بعد أن اعتقدنا بأنهم صلوات الله عليهم بأنهم مهبط الوحي وبأنهم معدن الرحمة وبأنهم خُزّانُ العلم وبأنهم قادة الأمم وبأنهم أولياء النعم وبأنهم وبأنهم، الأوصاف والمقامات والمراتب التي تَمَّ الحديثُ عنها في المقطع الأول من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة، لَمَّا آمنا وأذعنا وجددنا العهد والميثاق على هذه المعاني على هذه المراتب على هذه المقامات فإن السلام هنا في المقطع الثاني وحتى في المقاطع الآتية إنما هو تجديدٌ واعترافٌ وإقرارٌ وإذعانٌ بالتسليم وبعدها السالمية لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والتسليم في الحياة العملية وفي الحياة النفسية للإنسان إنما يتجلى متى؟ يتجلى حين تكون الظروف ساخنة، حين تكون الأوضاع مشتدة، وإلا يمكن للإنسان وهو يعيش في بُهنيةٍ من الوقت وفي راحةٍ من الزمان والمكان وفي هدوء بال فيدعي ما يدعي، لكن التسليم الحقيقي إنما يظهر عند الظروف الساخنة، وإلى هذا أشارت الآية ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ما شجر بينهم من خلاف، من خلافٍ حول الدين أو حول الدنيا ﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ إنما هذه النفوس مطمئنة ساكنة ﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ .

إذا نذهب إلى سورة الأحزاب في الآية الثانية والعشرين، هذا نوعٌ آخر من الضيق ومن الشدة، الآية التي مرت علينا قبل قليل الآية الخامسة والستون من سورة النساء كانت تتحدث عن الشِجار فيما شَجرَ بينهم، وأنهم لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما لمَا قضيت به، وتلك الآية تتحدث عن نوعٍ عن نحوٍ من الحدث النفسي الساخن وهو الشِجار، إن كان ذلك الشجار في الدين أو في الدنيا، الآية الثانية والعشرون من سورة الأحزاب ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ والإيمان هو التسليم، إيماناً وتسليماً ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ هذا أيضاً نحو من أنحاء الشدة، نحوٌ من أنحاء الأحداث الساخنة، الآية السابقة في سورة النساء تتحدث عن شِجار بين أهل الإيمان، بين الدائرة الموالية، لابد أن يُحَكِّموك فيما شجر بينهم في دائرة الموالين، أما هنا الكلام في دائرة الأعداء، حينما يقف الأعداء في مواجهة الأولياء، وهذا الظرف يكون أكثر سخونة ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ .

في نفس سورة الأحزاب في الآية السادسة والخمسين ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّموا تَسْلِيمًا﴾ صلوا عليه، الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله هي صلةٍ وارتباطٌ وهي نحو تحية ونحو سلام ونحو تجديد عهدٍ معه صلى الله عليه وآله، ولكن هذه الصلاة القولية اللفظية القلبية تصاحبها عقيدةٌ مهمة، هذه العقيدة المهمة ﴿وَسَلِّموا تَسْلِيمًا﴾ .

الآية في سورة النساء كانت تتحدث عن ظرفٍ ساخن في شِجار فيما بين أصحاب الدائرة أصحاب دائرة الولاية، والآية الثانية والعشرون من سورة الأحزاب كانت تتحدث عن مجيء الأحزاب، عن صراعٍ فيما بين أهل الولاية وبين أعدائهم والظرف هنا سيكون أكثر سخونة، الآية السادسة والخمسون من سورة الأحزاب تتحدث وتأمر لتعين لنا نوع العلاقة والرابطة فيما بيننا وبين المعصوم، فيما بيننا وبين النبي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّموا تَسْلِيمًا﴾ الآية آمرة بنحوٍ واضح وبنحوٍ صريح بالتسليم للنبي الأعظم والتسليم هنا لمقام الولاية، الولاية في بُعديها في بُعدها النبوي وفي بُعدها الولوي.

في سورة الزمر في الآية التاسعة والعشرين ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ – متشاكسون مختلفون – وهذا الرجل لن يستطيع أن يفعل شيئاً، هذا عبدٌ اشتراه مجموعة من الناس وكل واحد يريد منه

أن يذهب إلى جهة فإنه حينئذٍ لا يستطيع أن يذهب إلى أي جهة، لأن المالك الأول الشريك الأول يريد منه أن يذهب مُشَرِّقاً، والثاني يريد منه أن يذهب مُغَرِّباً، والثالث يريد منه أن يذهب باتجاه الجنوب، والآخر يريد منه باتجاه الشمال، والآخر يريد منه أن يبقى في مكانه، فهل يستطيع أن يفعل شيئاً؟ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَماً لِّرَجُلٍ﴾ وهناك رجلٌ آخر سلماً، سلماً أي سَلَّم عقله وقلبه وروحه ونفسه وعواطفه وأحاسيسه ومشاعرهُ، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ – بالكامل – ﴿وَرَجُلًا سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمونَ﴾ .

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمونَ﴾ لنقف قليلاً عند كلمات أهل البيت في بيان مضمون هذه الآية، الآية التاسعة والعشرون من سورة الزمر، هذا هو الجزء السادس من تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه، والرواية عن محمد بن الحنفية عن أبيه سيد الأوصياء صلوات الله عليه – في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَجُلًا سَلَماً لِّرَجُلٍ﴾ – ماذا قال أمير المؤمنين؟ – **قال: أنا ذلك الرجل السالم لرسول الله** – قلبهُ مع رسول الله، عقلهُ مع رسول الله، حواسه مشاعره عواطفه كله في كله لرسول الله، فما من شيءٍ في عليٍّ إلا وهو لرسول الله، فأين هذا من رجلٍ تتقاذفه أمواج الشكوك وأمواج الفِتَن يتردد في ريبهِ، كما جاء في سورة التوبة وهي تتحدث عن العديد من هؤلاء الذين في ريبهم يترددون، من أولئك الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله كما في الآية الخامسة والأربعين وهي تصفهم هذا الوصف الدقيق ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني القلوب مُلئت بالشكوك ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ والشكوك بطبيعة الحال لا تأتي من جهةٍ واحدة، وإنما تأتي من جهاتٍ عديدة، وحين تهجم الشكوك على الإنسان فإن الإنسان تُفتَحُ أمامه العشرات من الاحتمالات، فتتشاكس فيه هذه الاتجاهات، هذا هو الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون، تتشاكس فيه الاتجاهات والأفكار والنزعات فالدنيا بكل تفاصيلها كل جانبٍ منها يجرهُ إلى جهة والناس الذين من حولهِ كل واحد يوسوس له بوسوسة معينة، وشياطين الجن والأبالسة والضعف الذي يهيمن عليه ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ رواحاً ومجيئاً، غُدواً ورواحاً، ذهاباً وجيئةً ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ ولا يستطيعون الخروج من هذا.

كما جاء في موطنٍ آخر ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ﴾ هذا البنيان قد يكون بنياناً في الخارج على الأرض وقد يكون بنياناً في القلوب، وإنما يكون هذا البنيان في القلوب مما بنوه بأعمالهم وبنواياهم ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني سيبقى هذا البناء يزداد ريبةً فوق ريبة، وتبقى هذه الحالة معهم حتى تتقطع القلوب؟ متى تتقطع القلوب؟ تتقطع عند الموت ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ فهنا حين يقول سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه: **أنا ذلك الرجل السالم لرسول الله** صلى الله عليه وآله، سالم في عقلهِ في قلبهِ في حبه لرسول الله في كل شيء في وجودهِ، عليٌّ بكل وجودهِ لرسول الله لذلك قال رسول الله: **أنا عليٌّ وعليٌّ أنا**، وهل السالمية إلا هذا؟! وقال سيد الأوصياء: **أنا مُحَمَّد ومُحَمَّد أنا**، إلى أن صَرَّح القرآن في آية المباهلة وأنفسنا، التصريح واضح وجلي وهو اختصار واصطلاح للقولتين: أنا عليٌّ وعليٌّ أنا، أنا مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ أنا، هذه المعاني تختصر في هذا العنوان وأنفسنا فهو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، **أنا ذلك الرجل السالم لرسول الله**.

حديثٌ آخر يرويه أبو خالدٍ الكابلي **عن إمامنا الباقر عليه السلام قال: سألتهُ عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ قال: الرجل السالم لرجل عليٌّ عليه السلام وشيعته** – قطعاً هذا المعنى يتجلى في شيعتهِ باعتبار أن الشيعة متفرعةٌ عنه، باعتبار أن الشيعة تتجلى فيهم صور ومظاهر من معاني حقيقة عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، وذلك بإتباعهِ وبالاقتداء به وبطاعة أمره وبالتسليم لعليٍّ، حين نسلم لعليٍّ فإننا نُسلم لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله ونَسْلم له أيضاً.

وروايةٌ أخرى أيضاً يرويها أبو خالد **عن إمامنا الباقر: الرجل السالم حقاً** – وحقاً هنا للتأكيد، الرواية السابقة الرجل السالم لرجل عليٌّ وشيعته، هذه الرواية فيها تأكيد أكثر – **الرجل السالم حقاً عليٌّ وشيعتهُ** – والروايات والأحاديثُ عديدة في هذا المعنى وفي هذا المضمون عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه الروايات تحدثنا عن سالمية سيد الأوصياء للنبي الأعظم ويتفرع على هذا سالمية الشيعة لعليٍّ وآل عليٍّ والتي هي بالضرورة تعني السالمية لِمُحَمَّدٍ والسالمية لله سبحانه وتعالى، كل هذه المعاني هي تسليمٌ لله وساليةٌ لله، فإن ما هو بالعَرَض يعود إلى ما هو بالذات كما يقول الفلاسفة، فالسالمية لعليٍّ هي سالمية لرسول الله وهي سالمية لله سبحانه وتعالى، والتسليم لعليٍّ هو تسليمٌ لرسول الله وهو تسليمٌ لله سبحانه وتعالى، فنحن هنا حين نسلم على أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في بداية هذا المقطع وهو المقطع الثاني، وكذلك في بداية كل مقطعٍ من المقاطع المتبقية، إضافة لما مر في المقطع الأول من تجديد العهود والمواثيق التي

أخذت علينا في عالم الذر وما قبل عالم الذر، التسليم هنا تأكيدٌ وترسيخ وتشديدٌ واعتراف وإقرار بمعاني التسليم والسالمية لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لذلك أول عنوان يبدأ – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى** – والتسليم إنما يكون لمن والسالمية؟ تكون لأئمة الهدى، هم أئمة الهدى، يعني هم يأخذوننا إلى الهدى، الذي يأخذك إلى الهدى المنطق والعقل والحكمة والفطرة والوجدان كل هذه تشهد بأنه يجب عليك أن تسلم له، لأنهُ هو الذي سيقودك في طريق الهدى، هؤلاء أئمة الهدى يعني أن الهدى بكاملهِ عندهم، فإذا كان الهدى بكاملهِ عندهم ماذا يلزم الإنسان ماذا يجب على الإنسان؟

يجبُ على الإنسان أن يسلم وأن يكون سالماً لهم، وفي ذلك فوزهُ ونجاحهُ، وفي ذلك نيلهُ لكل ما يريد، لِمَا هو موجودٌ في مخيلتهِ ولِمَا هو أفضل من كل ما موجودٌ في مخيلتهِ، لذلك هذا السلام هنا هو ترسيخٌ لهذه المعاني، لذلك المقطع أول ما يبدأ – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى** – أئمة الهدى يجبُ على الذي يرتبط بهم يتصل بهم أن يكون مُسَلِّماً، إذا لم يكن مُسَلِّماً فذلك يعني أنه سيسير في اتجاهٍ هو غير الاتجاه الذي يسير فيه أئمة الهدى وذلك هو الضلال، هناك اتجاه يسير فيه أئمة الهدى وهناك اتجاهات أخرى، هذا الاتجاه الذي يسير فيه أئمة الهدى هو هذا الاتجاه الذي يوصلنا إلى الفوز وإلى النجاح، ولا نستطيع أن نسير في هذا الاتجاه إلا بالتسليم والسالمية، أن نجعل القلوب، أن نجعل العقول، أن نجعل المشاعر، أن نجعل الحواس والقناعات والعواطف، أن نجعل الوجود وجودنا بكله في أبعادهِ المادية، في أبعادهِ المعنوية، في أبعادهِ الإدراكية، في أبعاده العاطفية، في كل بعدٍ من أبعاد وجودنا، أن نجعله تحت أقدامهم، تحت أقدام هؤلاء الذين يقودونا في طريق الهدى، حينما أقول تحت أقدامهم إنما هو معنى التسليم ومعنى السالمية، فلا نرى لوجودنا وجوداً في جنبهم، ولا نرى لحقائقنا من حقيقةٍ في جنب حقائقهم لأنهم حقيقة الهدى وهم الذين يسيرون ونحن نسير خلفهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، السَّلام إذاً هو تجديدٌ إعتراف إقرار إذعانٌ بالتسليمِ والسالمية، فنحن نسلم عليهم – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى** – أئمة جمعٌ لإمام، الإمام في لغة العرب له معانٍ عديدة، له معانٍ كثيرة، الإمام في لغة العرب هو المقصود، الجهة المقصودة، أَمَّ إليهِ: قصدهُ، وفلانٌ أَمَّ البلد الفلاني أو أَمَّ إلى البلد الفلاني، أمَّ البلد الفلاني، أمَّه قصدهُ، الأم هو القصد، الأَم هو الحركة باتجاه جهة معينة، حين أقول الإمام، الإمام هو المقصود، الجهة التي يكون الأَمُّ باتجاهها، يكون القصد باتجاهها، حين أقول أؤمُّ إلى الإمام معنى ذلك في العربية أقصد إلى المقصود، الإمام إذاً هو المقصود هو الجهة التي تُقصد، الإمام ليست هو الجهة التي تَقْصُد وإنما هو الجهة التي تُقْصَد، الإمام أيضاً في لغة العرب تعني الأصل، ولذلك كلمة الأم من أين مأخوذة؟

مأخوذ من الأَم، الأُم هي الأصل، والإمام أيضاً تأتي بمعنى الجامع، ولذلك يقال مثلاً لإمام الجماعة أنه أمَّ

الناس، أَمَّهُم يعني جمعهم في صلاتهِ، الإمام هو الجامع، الإمام هو المقصود، الإمام هو الأصل، الإمام هو الجامع، الإمام كذلك هو الهادي، المراد من الهادي الذي يتبعهُ الناس يسيرون خلفه، لذلك من جملة مصاديق الإمام في الحياة العملية ما كان يفعله العرب في الليالي المُظلمة في القوافل في مسير الجيوش حين يرفعون مشعلاً كبيراً رمحاً عالياً عموداً كبيراً عالياً ويضعون في رأسه النار، هذا إمامٌ يُقتدى به يُهتدى به، حيثما سار هذا المشعل الناس تسير خلفه، القافلة تسير باتجاه ذلك المشعل، فذلك هو الإمام، ولذلك في لغة العرب أيضاً الإمام هو التُر، التُر ما هو؟ التُر هو الشاقول أو هو الخيط الذي يستعمله البناؤون لمعرفة الاستقامة في البناء، الإمام هذا موجودٌ في كتب اللغة، الإمام هو التُر، التُر هو الشاقول ما نسميه في زماننا بالشاقول كانت العرب تسميه بالتُر، التُر هو الشاقول وهو الخيط الذي يستعمله البناؤون لمعرفة استقامة البناء، الإمامُ، الإمامُ، الإمامُ، هناك معانٍ كثيرة لكلمة الإمام في لغة العرب.

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى – الهدى المراد منه هو السير السليم، السير الصحيح في الطريق الصحيح الموصل إلى النتيجة الصحيحة، الهدى هو هذا، سيرٌ في الطريق الصحيح باتجاه الهدف الصحيح، وإلا إذا سار الإنسان في غير الطريق الصحيح ولم يصل إلى الهدف الصحيح فلا يقال لذلك هدى، ولو سار في الطريق الصحيح ولكنه ما وصل إلى الهدف الصحيح فلا يقال لذلك هدى، والهداية كما يقول أهل العلم على مرتبتين: الهداية إما أن تكون إرائة وإما أن تكون إيصال، الهادي الذي يهدي أيّاً كان هذا الهادي، الهادي الذي يهدي إما أن يُريك الطريق المهتدي فيقول لك هذا هو الطريق المهتدي، الطريق المهتدي هو الطريق الصحيح الذي يوصلك إلى الهدف الصحيح، إما أن يُريك الطريق ويخبرك بما في هذا الطريق، يعني يعطيك خريطة، يؤشر لك الطريق من هنا وتسير كذا وكذا، يريك الطريق، هذه إرائة، ومرةً الهادي يأخذ بيدك ويسير معك في الطريق ويوصلك إلى الهدف الصحيح وذلك هو الإيصال، فالهداية قد تكون في بعض الأحيان من أفق الإرائة وقد تكون في بعض الأحيان من أفق الإيصال، وأئمة الهدى في بعض الأحيان تكون الهداية الصادرة منهم في أفق الإرائة في أفق التعليم والتبليغ والإرشاد، وقد تكون الهداية في بعض الأحيان الصادرة منهم في أفق الإيصال وتلك هي الرعاية الخاصة وذلك هو التوفيق بمعانيه، التوفيق الجلي أو التوفيق الخفي، تلك هي الرعاية المعصومة من الإمام صلوات الله وسلامه عليه – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى** – الهداية هي الحالة التي يتلبس بها الإنسان، وحينما يتلبس بها الإنسان فإنه سيصر على المسير في ذلك الطريق الواضح وسيجدّ السير باتجاه الهدف الواضح.

في الكتاب الكريم هناك جهاتٌ عديدة تَحَدَّث عنها قرآننا الكريم في موضوع الهداية. في سورة العنكبوت الآية التاسعة والستون ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ كلمة حسنة، الحسنى،

الإحسان، المحسنون، بحسب روايات أهل البيت كلها تشير إلى ولاية عليّ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المحسنون هم أتباعُ عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، المحسنون هم المتلبسون بالحسنةِ، المتلبسون بالحسنى، والحسنة والحسنى في روايات أهل البيت في بيان معانيها في الكتاب الكريم هي ولاية عليٍّ وآل عليّ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الذين جاهدوا فينا هذا الجهاد إنما يتفرع على هداية الإرائة، أهل البيت يعلمونا يرشدونا يعطونا التعاليم ونحن نسعى نجاهد نعمل نحث الخُطى، هذا السعي الحثيث والعمل والجهاد والكفاح يقودنا إلى أي شيءٍ؟ يقودنا للوصول إلى الهدف الصحيح ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الهداية إلى سبل الله، نحن نقرأ في دعاء الندبة: **أين السّبيلُ بَعدَ السّبيل** – سبل الله هم الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الحديث هنا عن أفق الهداية في مقام الإرائة، والإرائة هو التعليم هو التبليغ، الأئمة يُعلِّمونا يرشدوننا، الأئمة صلوات الله عليهم يكشفون لنا عن الحقائق، فحين نحث الخُطى وفقاً للبرنامج الذي يرسمه الأئمة لنا هو هذا الجهاد الحقيقي، الجهاد في هذا الطريق هو الذي سيوصلنا إلى الهدف ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

حينما نذهب إلى سورة القصص وفي الآية السادسة والخمسين ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلم بِالْمُهْتَدِينَ﴾ الحديث هنا أيضاً عن الهداية في أفق الإرائة، النبي صلى الله عليه وآله يبين الحقائق للناس، الإمام المعصوم يبين الحقائق لكن ليس بالضرورة أن الذين تُبيّن لهم الحقائق أنهم يهتدون، هذه هداية الإرائة لو كانت هذه الهداية هداية إيصال حينئذٍ لابد أن يصل الإنسان، كما قلت إن الهداية هداية إرائة وهداية إيصال، الآية التي مرت علينا عن الذين يجاهدون في سبلنا يجاهدون في الله سبحانه وتعالى سوف يهتدون إلى السبيل ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الحديث هنا عن هداية الإرائة لقومٍ استجابت قلوبهم، والحديث في هذه الآية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الحديث عن هداية الإرائة لقومٍ لم تستجب قلوبهم، فهذه صورٌ، نماذج، أمثلة من هداية الإرائة.

حين نذهب إلى سورة الإسراء ونقرأ في الآية التاسعة ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

﴿يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾: في روايات أهل البيت يهدي للتي هي أقوم يهدي للإمام المعصوم، للتي هي أقوم للتي هي أكثر استقامة ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ للحقيقة الأقوم، للحقيقة التي هي أكثر استقامة، أكثر كمالاً، هذا نحوٌ من أنحاء هداية الإرائة، مرَّ الكلام في هداية الإرائة والحديث كان في آية العنكبوت، والحديث كان أيضاً في آية القصص عن هداية الإرائة من النبي صلى الله عليه وآله من المعصوم صلوات الله عليه، الآية هنا في سورة الإسراء تتحدث عن هداية القرآن، أن القرآن يهدي هداية الإرائة ولكن إلى أي جهة؟ يهدي إلى الجهة الكاملة ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ والجهة الأقوم كما في روايات أهل البيت هو الإمام المعصوم.

حين نذهب إلى سورة الشورى في الآيتين الثانية والخمسين والثالثة والخمسين ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا﴾ إلى أن تقول الآية ﴿وَإِنَّكَ﴾ وإنَّك الخِطابُ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بالأصالة ولعليٍّ والأئمة المعصومين بالتبعية ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هذه الهداية تشير إلى هداية الإيصال، هذا التأكيد وإنك، إن المشددة مع ضمير الكاف المتصل، مع وصف الاستقامة في الصراط، هناك هدايةٌ جلية ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هذه هداية الإيصال، قطعاً هداية الإيصال تكون مسبوقةٌ بهداية الإرائة، وحين تستجيب القلوب لهداية الإرائة يأتي التوفيق.

في سورة يوسف الآية الثامنة بعد المئة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ هذه سبيلي هذا تشخيص، تشخيص دقيق جداً، سأقرأ بعضاً من الروايات ومن الأحاديث التي تبين معنى الصراط والسبيل ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ كما مرَّ علينا في سورة الشورى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ بتخصيصٍ أكثر ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ إشارة إلى قريب ﴿هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ هذه سبيلي ومع البصيرة وضوح مضاعف ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ يعني

أن من اتبعني هو على بصيرةٍ وعلى وضوحٍ في السبيل، وفي ذلك إشارات إلى هداية الإيصال، كما قلت الإيصال يأتي بلطفٍ وبفيضٍ بعد الإرائة، المرحلة الأولى هي مرحلة الإرائة فإذا استجابت القلوب وهشت وبشت للهداية ولطريق الصواب وسعت وجاهدت، والذين جاهدوا فينا، هذا الجهاد سيقودهم إلى أي شيءٍ؟ سيقودهم إلى هداية الإيصال، بالتوفيق، فلربما حتى الآية التي قرأناها في سورة العنكبوت هي أيضاً في وجهٍ من وجوهها تشير إلى هذا المعنى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ يعني بعد أن استجابت قلوبهم لهداية الإرائة ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ هذه الهداية هنا هداية توفيقية وهي هداية الإيصال ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

في سورة مُحَمَّد الآية السابعة بعد العاشرة ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ أنا قلت هذه العناوين في الزيارة الجامعة الكبيرة التي قرأتها في أول البرنامج مترابطة – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى** – هدى، تُقى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ هناك تلازم بين الهدى وبين التقوى، الذين اهتدوا ساروا في طريق الهداية بعد الإرائة، زادهم هدى، هذه هداية التوفيق، هذه هداية الإيصال، الإيصال بالتوفيق، الإيصال بالرحمة ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾.

هذه جولة سريعة في آيات الكتاب الكريم وهي تُحَدِّثنا عن جهاتٍ من معاني الهداية إن كان ذلك في أفق الإرائة أو في أفق الإيصال – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى** – أئمة الهدى هم الذين يأخذوننا في سبيل الهدى وفي صراط الهدى وفي طريق الهدى.

هذا هو الجزء الرابع والعشرون من بحار الأنوار أتلوا على مسامعكم نماذج من النصوص والروايات التي ترتبط بالموضوع الذي بين أيدينا: الرواية يرويها شيخنا الصدوق، **عن المُفضّل قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط، فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ** – الصراط هو الطريقُ إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ – **وهما صراطان: صراطٌ في الدنيا وصراطٌ في الآخرة، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفهُ في الدنيا زلت قدمهُ عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم** – الرواية هذه على قصرها اختصرت لنا المطالب كلها، أقرأ الرواية مرة ثانية، الرواية جداً مهمة، هذه من أمهات الروايات في المطالب العقائدية، **المفضل يقول: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط، فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ، وهما صراطان: صراطٌ في الدنيا وصراطٌ في الآخرة، فأما الصراط الذي في**

الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفهُ في الدنيا زلت قدمهُ عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم – فالإمام هو الصراط المستقيم، وهذا هو معنى إمام الهدى – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى** – هداية الإرائة، هداية الإيصال كلها تقودنا إلى أين؟ تقودنا إلى الصراط المستقيم، إلى هذا الطريق الواضح.

روايةٌ أخرى: **عن حماد بن عيسى عن إمامنا الصادق عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ:** ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾ – والذي نكررهُ يومياً في صلواتنا – **قال: هو أمير المؤمنين ومعرفته** – حماد بن عيسى عن أبي عبد الله في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾ – **قال: هو أمير المؤمنين ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين** – السؤال هنا عن سورة الفاتحة، الكلام هنا إمامنا الصادق يتحدث عن سورة الفاتحة ويتحدث عن هذه الآية التي هي في قلب سورة الفاتحة ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾ فماذا قال؟ قال الصراط المستقيم في سورة الفاتحة هو أمير المؤمنين ومعرفتهُ، ويستمر في حديثهِ فيقول – **والدليل على أنه أمير المؤمنين عليه السَّلام قوله عزَّ وجلَّ:** ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ – الآية الرابعة في سورة الزخرف – ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ – وسورة الفاتحة هي أم الكتاب، أليس من أسماء سورة الفاتحة أم الكتاب ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ والعلي الحكيم هو ذلك الصراط المستقيم – **وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أُمِّ الكتاب في قولهِ:** ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾ – الإمام يقول – ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾ **هو أمير المؤمنين ومعرفته والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله عزَّ وجلَّ:** ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ **وهو أمير المؤمنين في أم الكتاب في قوله:** ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾.

الرواية: عن الثمالي **عن إمامنا السجاد صلوات الله قال: ليس بين الله وبين حجته حجاب** – فكيف يكون حجة إذا كان فيما بينه وبين الله حجاب، الحديث هنا عن الحجة المطلقة، والحجة المطلقة هم النبي وآل النبي، وإلا ليس الحديث عن الأنبياء، الأنبياء حجيتهم متفرعة عن حجية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فلذلك فيما بين الأنبياء وبين الله حجاب فهم أهل البيت، النبي وآلهُ – **ليس بين الله وبين حجته المطلقة حجاب فلا لله دون حجته ستر ثم يقول: نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم ونحن**

عيبة علمه ونحن تراجمة وحيه ونحن أركان توحيده ونحن موضع سره – وهؤلاء هم أئمة الهدى، هذه هي أوصافهم.

عن جابرٍ عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، جابر الجعفي يسأل الإمام الباقر، **قال: سألتهُ عن هذه الآية في قول الله عزَّ وجلَّ:** ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ – سؤال جابر عن هذه الآية – ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ **قال:** – جابر يقول – **فقال عليه السلام: أتدري ما سبيل الله؟ قلتُ: لا والله إلا أن أسمعهُ منك، قال: سبيل الله هو عليٌ عليه السلام وذريتهُ، وسبيل الله من قُتِل في ولايتهِ قُتِل في سبيل الله ومن مات في ولايتهِ** – في ولاية عليٍّ – **مات في سبيل الله** – سبيل الله هو هذا عليٌّ وآل عليّ – **فقال: أتدري ما سبيل الله؟ قلتُ: لا والله إلا أن أسمعهُ منك، قال: سبيل الله هو عليٌ وذريتهُ وسبيل الله من قُتِل في ولايتهِ قُتِل في سبيل الله ومن مات في ولايتهِ** – في ولاية عليٍّ – **مات في سبيل الله.**

وأعتقد أن الروايات وأن النصوص هذه واضحة وجلية وبينة ولا تحتاج إلى كثير تأمل وإلى كثير عناية.

عن حَنَّان بن سدير، تُقرأ حَنَّان وفي بعض القراءات حنان بن سدير الصيرفي من رواة الأئمة، **عن جعفر بن مُحمَّد عليهما السلام قال: قول الله عزَّ وجلَّ في الحمد** – يعني في سورة الحمد – ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ **يعني مُحمَّداً وذريته صلوات الله عليهم** – الإمام يتحدث عن سورة الفاتحة التي نقرأها يومياً – **قول الله عزَّ وجلَّ في الحمد:** ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ **يعني مُحمَّداً وذريته صلوات الله عليهم.**

الرواية **عن أبي بصيرٍ عن أبي جعفر صلوات الله عليه في قوله:** ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ – هناك صراطٌ واحد – ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ **قال: نحن السبيل** – هم السبيل، هم الصراط – **قال: نحن السبيل فمن أبى فهذه السبل** – فليذهب في السبل المختلفة – ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ **قال: نحن السبيل** – نحن الصراط المستقيم ومن أبى أن يسير في هذا السبيل فهذه السبل بين يديه المختلفة، فليتبع السبل لتتفرق به عن سبيل الله وعن طريق الله ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾

هناك سبيلٌ واحد ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ يعني عن سبيل الله – **قال: نحن السبيل فمن أبى فهذه السبل ثم قال:** ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ **يعني كي تتقوا** – وهذا هو الترابط بين التقوى وبين الهداية كما قلت في عناوين الزيارة الجامعة الكبيرة هذا الترابط – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى** – هناك ارتباط بين التقى وبين الهداية – ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعني كي تتقوا – هذه الروايات والأحاديث واضحةٌ جليةٌ بينةٌ في دلالاتها وفي معانيها ومضامينها، كلها تشير إلى أن الصراط المستقيم، إلى أن سبيل الله هم أئمتنا، إلى أن الهداية لا يمكن أن نصل إليها ولا يمكن أن تصل إلينا إلا من طريقهم، لذلك نحن نسلم عليهم:

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، هم أئمتنا وهم سادتنا وهم قادتنا وهم هدانا الحقيقي، هدايتنا منهم وهدايتنا إليهم، وهدايتنا بهم، هدايتنا منهم، منهم تأتينا الهداية، علماً فهماً أو توفيقاً، الهداية منهم تأتينا، إن كانت هذه الهداية هداية إرائه فمن علومهم من فهمهم من حديثهم، نأخذ الهداية وإن كانت هذه الهدايةُ هداية إيصال فالتوفيق منهم هم يوفقوننا، الهداية منهم والهداية إليهم ونحن إنما نهتدي إليهم، لا تتحقق الهداية إلا بالتوجه بهم وإليهم، إذا أردنا أن نصل إلى الله لابد أن نصل من خلالهم، هم الأبواب التي فتحها الله لنا، نتوجه إليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نتوجه إليهم ونتوجه بهم، هم القادة لذلك نتوجه إليهم، وهم الحجاب فيما بيننا وبين الله لذلك نتوجه بهم إلى الله، هم قادتنا في الدنيا فنتوجه لهم، وهم الحجاب فيما بيننا وبين الله فنتوجه بهم إلى الله، ومن أراد الله توجه بكم، هكذا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة وتأتينا هذه العبارات التي نخاطب بها أئمتنا – **مَنْ أَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – إلى غير ذلك من المعاني التي تصرح بها الزيارة الجامعة الكبيرة.

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، هذا شيءٌ من معنىً، شيءٌ من بيان، شيءٌ من شرح، قولوا ما شئتم، حين وقفنا في فناء هذه العبارة، حين نقول: **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى** – مصابيح جمعٌ لمصباح، والمصباح هو الذي نستعمله للإنارة، قد يكون في الأزمنة القديمة بشكلٍ بتجسيمٍ بصناعةٍ معينة، وفي هذا الزمان قد يكون بشكلٍ وتجسيمٍ وصناعةٍ معينة، وقد تتغير الصناعات وتتغير الآلات لكن المراد من المصباح، المصباح هو وسيلة الإضاءة، المصباحُ هو الوسيلةُ التي يتوهج منها الضوءُ، يتوهج منها النورُ الذي بواسطته نهتدي الطريق الذي بواسطته نستطيع أن نصل إلى مرامنا، المصابيح جمع مصباح، والمصباح وسيلة الإضاءة، وسيلة الإنارة والاستنارة، الدجى جمعٌ لدجيه والدجيه هي الظلام، هي الظلمة الحالكة، هي الليل الأليل – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى** – وهذا التعبير هو قريبٌ من التعبير الأول، فأئمة الهدى هم

الذين يشخصون لنا طريق الهداية إن كان ذلك عبر الإرائة أو كان ذلك عبر الإيصال أو عبر الاثنين معاً، فهم أئمة الهدى، لكن هذا التعبير – **وَمَصابيحِ الدُّجى** – هو نفس المضمون الموجود في التعبير – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى** – لكن هنا مأخوذ بخصوصية بلحاظ، أئمة الهدى هم أئمةٌ للهداية إن كان هناك من ظُلمةٍ أم لم تكن هناك من ظُلمة، هم أئمةٌ في وقت سطوع النور وفي وقت اشتداد الظلمات، أما هنا التعبير – **وَمَصابيحِ الدُّجى** – إنما المصابيح تستعمل حين الظلام، حين يشتد الظلام، فكأن الزيارة هنا تريد أن تؤكد على هذا المعنى على هذه الخصوصية على عمق معنى الهداية، أنهم أئمة الهدى ليس فقط حينما تكون الدنيا مشرقة ومنيرة، أقول حينما تكون الدنيا مشرقة ومنيرة ليس مقصودي من الإشراق والإنارة المعنى المادي، الحديث هنا عن الهداية، والهداية هي هداية القلوب وهداية العقول وهداية الضمائر، هداية العقول وهداية القلوب وهداية الضمائر ليست محتاجةً إلى نور الشمس الحسي إنها تحتاج إلى نور الفطرة، إنها تحتاجُ إلى نور القبول والإخبات في العقول وفي القلوب في الوجدان وفي الضمائر، الحديث عن الإشراق هنا وعن الإنارة، عن الإشراق والإنارة في النفوس في القلوب، فهناك قلوبٌ مزهرة وهناك قلوبٌ مظلمة قد انطمست فيها الهداية، هناك قلوبٌ لا يصل إليها النور ولا يخرج منها النور، وهناك قلوب مشرقة عامرة بالنور تشع نوراً، هذا النور تهتدي هي به وتهتدي قلوبٌ أخرى بنورها أيضاً، كما في أحاديث أهل البيت التي تتحدث عن القلوب التي تكون مفعمةً بمعرفة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **والله يا أبا خالد** – كما يقول إمامنا الباقر في الرواية التي يرويها شيخنا الكليني في الكافي الشريف، في الجزء الأول من الكافي – **والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من هذه الشمس المضيئة** – هذا هو النور الذي أقصده في كلامي من أن الهداية هي السيرُ في الطريق المنير – **وَمَصابيحِ الدُّجى** – أن الأئمة هم مصابيح للهداية حتى لتلكم القلوب التي فقدت النور وما وصل إليها النور، هم مصابيح الدجى، هذه القلوب المُظلمة لو أرادت أن تهتدي بهدى الأئمة فإنهم سيجدون الأئمة مصابيح متوهجة في وسط ذلك الظلام، لكن القضية تحتاج إلى عزم إلى نيةٍ تحتاج إلى همة.

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى – هذا عنوان الهداية بنحوٍ عام، إن كانت تلك الهدايةُ في أجواءٍ منيرة أو في أجواء مظلمة، أما هنا حينما تأتي الزيارة فتشخص هذا الوصف – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى** – تشير إلى هذه الحيثية، تشير إلى هذه الجهة، أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم المصابيح التي يهتدي بها من يهتدي، حتى أولئك الذين يغطون في الظلام الدامس في ذلك الليل البهيم، سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، يحدثنا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في معراجه، ألم يكن قد رأى على ساق العرش مكتوباً: **إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة**، الحسين مصباح هدىً، ذلك

المصباح الذي ينير الدجى، المصباح إذا كان في النهار فإنه لن يبين إلا إذا كان نوره أعلى من نور الشمس، المصباح إنما يبين وينير متى؟ ينير هذا المصباح وإن كان منيراً في النهار لكن ضوء المصباح يشرق يتألق يتوقد يتوهج، متى يتقد؟ يتقد حين يشتد الظلام، الحسينُ مصباح هدىً لذلك تلك الجموع المتكاثر التي وقفت في وجه سيد الشهداء كانت تغط نوماً عميقاً في ظلماتٍ حالكة، لو كانت تملك أدنى همة لاهتدت بذلك المصباح المتوهج، ولذلك هناك منهم من اهتدى وإن كانوا قلائل ولكن هذه مصاديق واضحة لمعنى الاهتداء والوصول إلى الحقيقية عن طريق ذلك المصباح المتوهج في وسط ذلك الظلام الحالك، الحسين مصباح الهدى، حين توهج ذلك المصباح في وسط تلكم الجموع التي تغط نوماً عميقاً في غفلتها وفي ضلالها وفي انحرافها عن جادة الحق وعن سبيل الله، عن سبيل عليٍّ وآل عليّ، وكان ذلك المصباح متوهجاً، قلوب قليلة كانت تملك الهمة والعزيمة فاهتدت واقتدت وجاءت متوجهةً إلى ذلك المصباح كما تطير الفراشات، كما تعشق الفراشات ضوء الشمعة، حين تتوهج الشموع فإن الفراشات تنجذب إلى نار تلكم الشموع وإن كانت تكتوي بحرارتها، ذلك المصباح المتوهج حين توهج في وسط ذلك الظلام استجابت له بعض تلك النفوس لأي أمرٍ؟ لأنها كانت تملك شيئاً من همة، كانت تملك شيئاً من عزيمة، تلك الهمةُ وتلك العزيمة هي التي دفعتها لتقترب شيئاً فشيئاً من ذلك المصباح المتوهج.

وما حسينٌ إلا مصداقٌ من مصاديق هذه الزيارة – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى** – وأهل البيت هم مصباح الوجود أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم مصباح الوجود، وقد مر علينا في الحلقات الماضية من هذا البرنامج حين الحديث عن آية النور الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أقفُ وقفةً قصيرة عند هذا المصباح المتألق في كل هذا الوجود، أهل البيت هم المصباح المتألق في كل هذا الوجود، الرواية عن شيخنا الصدوق، عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه حين سئل عن قول الله عزّ وجلَّ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ – فماذا قال الإمام؟ – **قال: هو مثلٌ ضربه الله عزَّ وجلَّ لنا** – هذا المثل مَثَلٌ لنا، وماذا في هذا المثل ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المصباح هنا هو الجوهر، المصباح هنا هو المركز في هذه الآية، لأن المصباح منه يشرق النور، صحيح أن المصباح يستمد زيته من الشجرة، ولكن

الشجرة أين تجلت؟ تجلت في هذا المصباح، الشجرة الزيتونة المباركة التي لا هي شرقية ولا هي غربية يكاد زيتها يضيء، هذا الزيت يكاد يضيء أين يضيء؟ يضيء في ذلك المصباح، الآية حين تقول ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ هذا النور على النور أين يتجلى؟ يتجلى في ذلك المصباح، والمصباح هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، المصباح هو قلب مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، المصباح حقيقةُ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هم مصباح الوجود لـمَّا سألوه عن هذه الآية، **قال إمامنا الصادق: هو مثلٌ ضربه الله عزَّ وجلَّ لنا** – لنا لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

في هذه الرواية، الرواية: **عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله تعالى عليه قال: دخلتُ إلى مسجد الكوفة وأمير المؤمنين صلوات الله عليه يكتب بأصبعه ويبتسم، فقلت له: يا أمير المؤمنين ما الذي يُضحِكُك؟ فقال: عجبت لمن يقرأ هذه الآية** – جابر يقول – **دخلتُ إلى مسجد الكوفة وأمير المؤمنين صلوات الله عليه يكتب بأصبعه ويبتسم** – يعني يكتب على الأرض بإصبعه، على أرض المسجد – **فقلت له: يا أمير المؤمنين ما لذي يُضحِكُك؟ فقال: عجبت لمن يقرأ هذه الآية ولم يعرفها حق معرفتها، فقلت له: أي آية يا أمير المؤمنين؟ فقال: قوله تعالى** ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ **المشكاةُ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله** ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ **أنا المصباح** ﴿فِي زُجَاجَةٍ﴾ **الزجاجة الحسن والحسين** ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ **قال: وهو عليُّ بن الحسين** ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ **مُحَمَّد بن علي** ﴿زَيْتُونِةٍ﴾ **جعفر بن مُحَمَّد** ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ **موسى بن جعفر** ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ **عليُّ بن موسى** ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ **مُحَمَّد بن علي** ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ **علي بن مُحَمَّد** ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ **الحسن بن علي** ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ **القائم المهدي** ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ – الروايات عديدة في بيان مضامين هذه الآية الكريمة لكنني اخترت هذه الرواية من بين كل تلكم الروايات الكثيرة لأنها جاءت تشير إليهم جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم، لأن الإمام ماذا قال؟ **قال: هو مثلٌ ضربه الله عزَّ وجلَّ لنا** – فكأن هذه الرواية المفصلة تشرح هذه الرواية المُجملة، أنا أخذت روايةً مجملة وهي قول الإمام الصادق – **هو مثلٌ ضربه الله عزَّ وجلَّ لنا** – أي للأئمة المعصومين، وجئت بهذه الرواية اقتطفتها عن سيد الأوصياء وكأنها تفصل معنى تلكم الرواية المُجملة، هذا في أفقهم وتتجلى معانيهم في أولياءهم.

لذلك عندنا رواية مروية عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه هذه الرواية: **عن طلحة بن زيد عن**

جعفر بن مُحَمَّد عن أبيه سلام الله عليهما في هذه الآية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **قال: بدأ بنور نفسه تعالى** – حين قال – ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **قال: بدأ بنور نفسه تعالى** ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ **مثل هداه في قلب المؤمن** ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾ **والمشكاة جوف المؤمن والقنديل قلبه** – هذا القلب الذي قال عنه إمامنا الباقر كما ذكرت قبل قليل: لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من هذه الشمس المضيئة في النهار – **والمشكاة جوف المؤمن والقنديل قلبه والمصباح النور الذي جعله الله في قلبه** – في قلب المؤمن – ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ **قال: الشجرة المؤمن** ﴿زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ **على سواء الجبل** – على سواء الجبل يعني في المكان الذي تشرق الشمس على الشجرة من أول ما تشرق حتى تغيب – **على سواء الجبل لا غربية أي لا شرق لها ولا شرقية أي لا غرب لها إذا طلعت الشمس طلعت عليها وإذا غربت غربت عليها** ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ **يكاد النور الذي جعله الله في قلبه** – في قلب المؤمن – **يضيء ولو لم يتكلم** ﴿نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ **فريضةٌ على فريضة وسنةٌ على سنة** ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ **يهدي الله لفرائضه وسننه من يشاء** ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ **فهذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن ثم قال: فالمؤمن يتقلب في خمسةٍ من النور مدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور** – هذه المداخل النورية والمخارج النورية وهذا العلم النوري والكلام النوري والمصير النوري من أين يتأتى للمؤمن؟

يتأتى من قلبه الذي وصف بأنه قنديل، وكان قلبه قنديلاً لأي شيءٍ؟ لأن المصباح قد توهج فيه، وهذا المصباح من أين أستقى ومن أين جاء زيته الذي توهج فيه؟ هذا التوهج جاء من تلكم الشجرة المباركة، ولذلك الروايات ربطت رباطاً وثيقاً بين شيعة أهل البيت وبين فاطمة، وهذا نجده واضحاً في الروايات التي تحدثنا عن يوم القيامة، وإنما الأمور بمآلها، إنما الأمور بخواتيمها، كيف تتحقق الأمور؟ تتحقق الأمور بتحقق خواتيمها، إنما الأمور بمآلها إلى أين تؤول؟ حينما نقرأُ روايات المحشر ماذا نجد في روايات المحشر؟ إلى أين يؤول أمرنا نحن الذين ندعي بأننا من شيعة أهل البيت، إلى أين يؤول الأمر؟ ألا تقول الروايات حين تُقبِل فاطمة والمنادي ينادي أن يا أهل المحشر غضوا الأبصار، فحين تُقبِل فاطمة والروايات مفصلة بشكلٍ مجمل فتشفع في شيعتها، ثم ماذا؟ وتشفع في شيعة شيعتها، هناك شفاعةٌ لشيعتها، وهناك شفاعةٌ لشيعة شيعتها، وإنها تجمعهم جميعاً، تجمع شيعتها، تلتقطهم كما يلتقط الطيرُ الحب الجيد من الحب الرديء هكذا وصفت الروايات، فتلتقط شيعتها، ثم ماذا؟ وتلتقط شيعة شيعتها، تلتقط محبيها في الروايات، وتلتقط

بعد ذلك محبي محبيها، المآل إلى فاطمة فتجتمع هذه الجموع الكثيرة من شيعتها ومن شيعة شيعتها، أين يجتمعون؟ الروايات تقول يقفون على باب الجنة فتدخل ويدخلون معها، هذا الاجتماع الهائل هذا هو الاجتماع الفاطمي، ولذلك الروايات تمدح الفاطميين، التركيز على العقيدة الفاطمية، على النفس الفاطمي، على الروح الفاطمية، هذا المؤمن – **يتقلب في خمسةٍ من النور مدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور** – هذه الأنوار من أين تتأتى؟ من القنديل الذي في قلبه، وهذا القنديل من أين يأتيه النور؟ من المصباح، وهذا المصباح من أين يأتي نوره؟ من الزيت، وهذا الزيتُ من أين يأتي؟ هذا الزيت من تلكم الشجرة الزيتونة التي هي لا شرقية ولا غربية من تلكم الشجرة المباركة، هذا النور وهذا الزيت من تلكم الشجرة، من الرمزية الفاطمية، من الفيض الفاطمي.

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى – هذه المصابيح من أين تأخذ زيتها؟ ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ هذا الزيت من أين يأتي؟ من تلكم الشجرة المباركة – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى** – هذه المصابيح من أين تتألق؟ في دجى العقول، في دجى الأرواح، في ظلمات العوالم السفلية، في ظلمات المعاصي والذنوب، هناك مصباحٌ مصابيح تتوهج، مصابيح مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، علائم الهدى على الطريق، إنها أبواب النجاة المفتوحة لكل ضالٍ ولكل بعيدٍ عن الطريق، لكل إنسانٍ قعدت به الدنيا ومشاغلها ومتاعبها، هناك شموع مضيئة مصابيح متوهجة، هناك أهلة قد أشرقت، شموس قد سطعت، بدور بزغت، كل ذلك مرده إلى تكلم الشجرة الزيتونة، وكأني حين أسلم على الأئمة – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى** – كأني أقول لهم السلامُ عليكم يا أبناء فاطمة، مصابيح الدجى هم أبناء فاطمة، هذه المصابيح من أين توهجت؟ توهجت من زيت تلكم الشجرة المباركة، والشجرة المباركة فاطمة – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى** – السلام عليكم يا أبناء فاطمة – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى** – أئمة الهدى هم مجالي مُحَمَّد لأن حقيقة الهدى مُحَمَّد، هذه الحقيقة الكاملة حقيقة الهدى أين تتجلى؟

تتجلى في أئمة الهدى وكأني أقول لهم السلام عليكم يا أبناء مُحَمَّد – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى** – إذا أردت أن أختصر المضامين يعني السلام على أبناء مُحَمَّد، فمُحَمَّدٌ هو الهدى وبعده الضلال، الهدى عند مُحَمَّد وما بعد مُحَمَّد الضلال، من تجاوز مُحَمَّد وقع في الضلال، ومن لم يدرك مُحَمَّداً لازال يسير في الضلال، الهدى عند مُحَمَّد – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى** – كأني أقول لهم السلام عليكم يا أبناء مُحَمَّد، وحين أقول – **وَمَصابيحِ الدُّجى** – وكأني أقول لهم السلام عليكم يا أبناء فاطمة، هذه المصابيح مصابيح آل مُحَمَّد تتوهج من زيت فاطمة، ولذا قالها إمامنا الزاكي العسكري – **نحن حجج الله على العباد وفاطمة أمّنا حجة الله علينا** – فاطمة حجةٌ عليهم، والحجة ما معناها؟ الحجةُ يعني البرهان، يعني الوضوح، يعني

السطوع، يعني الزيت الذي أشرق في هذه الذوات في هذه المصابيح – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى** – ثم تقول الزيارةُ الشريفة – **وَأعْلامِ التُّقى.**

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأعْلامِ التُّقى، أعلام جمعٌ لعلم والعلم هو كل شيءٍ عال، الجبل يقال له علم إذا كان الجبل عالياً جداً يقال للجبل علم، الشجرة العالية جداً المميزة فيما بين الأشجار يقال لها علم، الرمح العالي الذي توضع النار في رأسه يقال له علم، كان هناك من العرب من أجواد العرب من يضعون النار في رأس عمودٍ عالٍ جداً أو في رأس رمح كي ينبهوا الناس الذين يسيرون في الليل كي يأتوا إلى بيوتهم إلى بيوت هؤلاء الأجواد، هذا يقال له علم، الشاخص العالي، النور العالي، الجبل العالي، وكل ما هو عالي ومشخّص، لذا يقال للبيرق، البيرق الذي هو قطعةٌ من قماش ذات لون معين رموز معينه ترفعها الدول، ترفعها الجيوش في الحروب، ترفعها الجماعات، الفِرَق، الجمعيات، المواكب يقال لهذه البيارق أعلام، لماذا أعلام؟ لأنها مشخصة واضحة مميزة، العلم هو الشيء الواضح هو الشيء البيّن لذا يقال للأشخاص المعروفين أعلام، فلان علم لأنه معروف مشهور مميز بيّن، ولذا يقال لأسماء البشر باعتبار أن هذه الأسماء مُمَيزة ومُميِّزة للأشخاص يقال هذه أسماء العلم، أسماء العلم لأنها أسماء مميزة ومميِّزة.

فالعَلَم هو كل شيءٍ بيّن، هو كل شيءٍ واضح، هو كل شيءٍ مشخّص – **وَأعْلامِ التُّقى** – والتقى والتقوى معنىً واحد وهي مأخوذة من الوقاية، الوقاية أصل كلمة التقوى والتقى هي مأخوذة من وقى، نحن لا نملكُ في لغة العرب أصلاً وجذراً لغوياً تقى، إنما نملك وقى ومن وقى جاءت التقوى وجاءت التقية وجاءت التقى وهكذا، في لغة العرب المطلعون على علم اللغة يعرفون بأنه نحن لا نملك في لغة العرب جذراً لمادة تقى، وإنما نحن نملك جذراً لمادة وقى، ومن مادة وقى تنشأ هذه التفريعات فتأتي التقوى وتأتي التقية وتأتي التقى، فالأصل في هذه التفريعات يشتمل على معنى الجذر، وهذه قاعدة معروفة في علم اللغة، التفريعات التي تتشقق من الجذور اللغوية لابد أن تكون مشتملة على معنى الجذر، لذلك التقوى تعني الوقاية، التقوى إن كان المراد منها الطاعة والورع فهي وقاية عن أي شيءٍ؟

هي وقاية عن الوقوع في المعاصي، وقاية عن الوقوع في الذنوب، هي وقاية عن أن يقع الإنسان في دائرة غضب الله سبحانه وتعالى، وهي وقاية عن أن يذهب الإنسان إلى الجحيم، وهذه الأعمال هي مظاهر لحقيقةٍ واضحة هي ولاية عليٍّ وآل عليّ – **وَأعْلامِ التُّقى** – ما المراد من مخاطبتنا لأئمتنا صلوات الله عليهم بأنهم أعلام التقى؟ بأنهم أعلام التقى هم العلائم الواضحة البينة التي من أراد أن يتوقى الضلال، يتوقى الشرك، يتوقى الكفر، يتوقى جهنم فعليه أن يلجأ إلى تلكم الأعلام، مثل ما يكون هناك طريق فيه مخاطر، طريق فيه وحوش كاسره، طريق فيه ألغام، طريق من المخاطر الكثيرة وتوضع علامات والناس يعرفون بأن

هذه العلامات حين يتجهون باتجاهها يتوجهون إليها سينجون، سينجون من المخاطر، هم أعلام التقى، هم العلامات، هم الأعلام التي نصبها الباري سبحانه وتعالى التي توصلنا إلى هذه المرتبة، إلى أي مرتبة؟ إلى مرتبة التقوى، لذلك نحن نقرأُ مثلاً في زيارة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه في زيارة وارث:

يا مولاي يا أبا عبد الله أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين وأشهد أنك الإمام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا – وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى، تلاحظون الاقتران دائماً بين التقى والهدى، نحن الآن كنا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة في هذه الفقرات التي نحن بصدد شرحها – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى** – والزيارة هنا واضحة تخاطب سيد الشهداء – **وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا** – كلمة التقوى يعني هم الحقيقة الجامعة، كما نقول كلمة التوحيد، كلمة التوحيد ما هي؟ لا إله إلا الله، يعني أن هذه الكلمة جامعة لكل معاني التوحيد، حين نقول كلمة التقوى يعني الكلمة الجامعة لكل معاني التقوى – **وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى** – هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم كلمة التقوى، وهذا التعبير تعبير أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنهم كلمة التقوى هو نفس التعبير الموجود هنا في الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَأَعْلامِ التُّقى** – غاية ما في الأمر أن الجهة التي أُخِذت في زيارة وارث كلمة التقوى الجهة الجمعية الجهة الموحدة، هنا أُخِذت المصاديق المتكثرة – **وَأَعْلامِ التُّقى** – وإلا المعنى واحد، هم كلمة التقوى وهم أعلام التقى – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى.**

نحن نقرأُ في الكتاب الكريم في الآية الثانية بعد المئة من سورة آل عمران ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ هذه الآية لا يمكن أن تنطبق على أحدٍ بحقيقة المعنى إلا على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ وإذا طُبِّقت على غيرهم فهي من باب التجوز.

هناك آيةٌ أخرى، الآية التي جاءت في سورة التغابن الآية السادسة بعد العاشرة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ هذه يمكن أن تنطبق علينا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ هذا المعنى يمكن أن ينطبق علينا، على أولياء أهل البيت صلوات الله عليهم، أما ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ فتلك هي

العصمة، الآية هنا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ولذلك هذا المعنى موجودٌ في روايات وأحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مثلاً:

الرواية يرويها الشيخ الصدوق، **عن أبي بصيرٍ قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اتَّقُوْا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قال: يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر** – هذه الأوصاف هل يمكن أن تنطبق علينا؟! هل يمكن أن تنطبق على عامة أولياء أهل البيت؟! الإمام يشرح لنا ﴿اتَّقُوْا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ **يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.**

رواية أخرى: **عن عبد خير قال: سألت عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا اتَّقُوْا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قال** – أمير المؤمنين يقول – **والله** – الأمير يقسم – **والله ما عمل بها غير أهل بيت رسول الله** – لأن هذه هي العصمة ﴿اتَّقُوْا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ كما قال إمامنا الصادق: **يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.** أمير المؤمنين ماذا يقول؟ يقول: **والله ما عمل بها غير أهل بيت رسول** الله نحن ذكرنا الله فلا ننساه – معصومون لا يتطرق إليهم النسيان – **نحن ذكرنا الله فلا ننساه ونحن شكرناه فلن نكفره ونحن أطعناه فلم نعصه** – معصومون لا تصدر منهم المعصية – **فلمَّا نزلت هذه الآية قالت الصحابة: لا نطيق ذلك** – لأن الصحابة في أفضلهم ما هم على العصمة، فما بالك بالأسوء، الأفضل منهم ما هو بمعصوم الأمير يقول – **فلمَّا نزلت هذه الآية** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا اتَّقُوْا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ **قالت الصحابة لا نطيق ذلك، فأنزل الله تعالى** ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ – لذلك في روايات أهل البيت عن إمامنا الباقر عن إمامنا الصادق أن هذه الآية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ نسخت الآية السابقة ﴿اتَّقُوْا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ هذا النسخ بخصوصنا نحن وإلا ذلك المعنى منطبقٌ على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في جميع الأحوال ﴿فَاتَّقُوْا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ هذا المعنى منطبقٌ عليهم لكن بالنسبة لنا لا يمكن أن تتحقق هذه الآية في حياتنا أن نتقي الله حق تقاته، وإنما يمكن أن نتقي الله ما استطعنا.

لذلك الرواية: **عن أبي بصيرٍ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿اتَّقُوْا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قال: منسوخة قلت: وما نسخها؟ قال: قول الله** ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ – هذا النسخ بالنسبة لنا أما

بالنسبة للأئمة فالمعنى ذلك ثابتٌ لهم كما قال سيد الأوصياء: **والله ما عمل بها غير أهل بيت رسول الله.**

هناك رواية ينقلها العياشي، **عن الحسين بن خالد قال: قال أبو الحسن الأول** – يعني الإمام الكاظم – **كيف تقرأ هذه الآية؟** – يسأل الحسين بن خالد – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمونَ﴾ **الإمام يقول ماذا؟** – يبدو أن الإمام أشار إلى آية مكتوبة فقال له – **كيف تقرأ هذه الآية؟** – إما كانت مكتوبة أو أن السائل سألها وقرأ الآية والإمام أعاد عليه فيبدأ يقرأ – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمونَ﴾ **الإمام يقول ماذا؟** – يعني ماذا قلت آخر كلمة – **قلت:** ﴿مُّسْلِمونَ﴾ **فقال الإمام سبحان الله يوقع عليهم الإيمان فيسميهم مؤمنين** – لأنه خاطبهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ – **فقال: سبحان الله يوقع عليهم الإيمان فيسميهم مؤمنين ثم يسألهم الإسلام والإيمان فوق الإسلام ثم يسألهم التقوى وبعد ذلك يطالبهم بالإسلام؟** الآية كما هي القراءة المشهورة المعروفة الآن المكتوبة في المصحف، كيف مكتوبة؟ مكتوبة هكذا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمونَ﴾ هذه هي قراءة رسم المصحف الموجودة في المصحف، الحسين بن خالد قرأ الآية كما هي مكتوبة في المصحف، الإمام قال له: سبحان الله إذا كانت الآية تقرأ بهذه القراءة فإن الله قد وصفهم بالإيمان وكذلك أمرهم بالتقوى، وبعد ذلك يطلب منهم الإسلام، فكيف يكون ذلك؟ فإن الإيمان أعلى من الإسلام، والإيمان يأتي بعد الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ يعني هؤلاء أسلموا وأمنوا واتقوا فكيف يطالبهم ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمونَ﴾ تلاحظون الوجه إلى أن يشير الإمام؟ لأن الآية هكذا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لَمَّا خاطبت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني أن هؤلاء قد اسلموا وأمنوا فالإيمان بعد الإسلام يأتي، لأنه الآية صريحة في سورة الحجرات، الآية الرابعة بعد العاشرة ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أنتم لم يدخل ﴿وَلَمَّا﴾ يعني ولم ﴿يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ يعني الإسلام قبل الإيمان، الإمام يشير إلى هذه الحقيقة، فيقول: سبحان الله أنت تقرأ بهذه القراءة، وهي القراءة المعروفة ونحن نقرأ بها، لكن الإمام يريد أن يشير إلى المعنى الدقيق في الآية، لأنه حينما نقرأ مُسْلِمون ماذا

نفهم؟ مُسْلِمون يعني على الإسلام هكذا يفهمها الناس، فكيف يطالبهم الله بالإسلام وهم قد تجاوزوا الإسلام والإيمان إلى التقوى؟! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني أسلموا وآمنوا ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ وهذي أعلى مراتب التقوى، فتقول الآية ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمونَ﴾ فالإمام يقول: **سبحان الله يوقع عليهم الإيمان فيسميهم مؤمنين ثم يسألهم الإسلام والإيمان فوق الإسلام؟ قلت: هكذا تقرأ في قراءة زيد، قال: إنما هي في قراءة عليٍّ** – يعني في رواية زيد، هكذا تقرأ في قراءة زيد يعني في رواية زيد – **قال: إنما هي في قراءة عليٍّ وهي التنزيل الذي نزل به جبرئيل على مُحَمَّد إلا وأنتم مُسَلِّمون** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسَلِّمونَ﴾ التسليم هذا أعلى درجات الإيمان يأتي بعد الإسلام بعد الإيمان بعد التقوى.

قال: إنما هي في قراءة عليٍّ – وطبعاً هذه القراءة تنسجم المعاني نحن لا نقرأها بهذه القراءة وإنما نقرأها: مسلمون، كما أمرنا الأئمة أقرؤه كما يقرأه الناس ونفهم معنى مسلمون أنهم مُسَلِّمون لأن الإسلام في أفقٍ من معانيه هو التسليم – **إنما هي في قراءة عليٍّ وهي التنزيل الذي نزل به جبرئيل على مُحَمَّد إلا وأنتم مُسَلِّمون** – مسَلمون لمن؟ كما يقول الإمام في نفس الرواية – **إلا وأنتم مُسَلمون لرسول الله ثم للإمام من بعده** – يعني يكون معنى الآية هكذا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسَلِّمونَ﴾ لـمُحَمَّد وآل مُحَمَّد، وتلك هي التقوى الحقيقة، هذه هي التقوى الحقيقية، أعلى مراتب التقوى.

نحن قلنا هذه الآية نسخت، هذه الآية لها آفاق ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ هذه في أفقٍ من آفاقها تعني العصمة وهذه خاصة بأهل البيت، وفي أفق من آفاقها تعني التقوى التي توقعنا في الحرج بحيث لا نستطيع أن نلتزم بها ولذلك نسخت فنسختها هذه الآية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وفي أفقٍ آخر من آفاقها تعني الولاية لعليٍّ وآل عليّ، والإمام هنا يتحدث عن هذا الأفق عن هذه الحيثية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسَلِّمونَ﴾ لِمُحَمَّد وآل مُحَمَّد، إذاً الإسلام يقودنا إلى الإيمان والإيمان إلى التقوى إلى حق التقوى، وحق التقوى المراد منها التسليم لـمُحَمَّد وآل مُحَمَّد، التسليم للإمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسَلِّمونَ﴾ لإمام زمانكم صلوات الله وسلامه عليه، والروايات في هذا المضمون وفيرةٌ وكثيرةٌ كلها تشيرُ إلى هذه الحقيقة أن التقوى حقيقةً هي ولاية عليٍّ

وآل عليّ، هي التسليم لعليٍّ وآل عليّ، وقبل قليل ونحن نتحدث عن السلام قلنا إن السلام في هذا المقطع والمقاطع الآتية هو ترسيخٌ وتأكيدٌ وإقرارٌ واعترافٌ منا بالتسليم لـمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وبالسالمية لهم، وهذا المعنى يتجلى ويظهرُ واضحاً وجلياً في هذه العبائر من الزيارة الشريفة – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأعْلامِ التُّقى** – وحقيقةً كان بودي أن أشير إلى مطالب أخرى لكن الوقت قد جاز وقد تعدى عن الوقت المخصص للبرنامج، بهذا القدر أكتفي وإن شاء أكون في خدمتكم في مناسباتٍ أخرى لتناولي ما بقي من مطالب لم يسنح الوقت بالتعرض لها وللدخول في تفاصيلها.

السَّلامُ عليكم سادتي آل مُحَمَّد، اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأعْلامِ التُّقى.

والسلام عليكم أنتم يا أشياعهم ويا أولياءهم أسألكم الدعاء جميعاً ولقاءنا يتجدد على قناة المودة الفضائية على مودّةٍ عليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ حتى ينقطع النفس أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة السابعة عشر

معنى وَذَوِي النُّهى وَأُولِي الحِجى وَكَهْفِ الْوَرى

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، صياماً مقبولاً ودعاءً مستجاباً لنا ولكم ولكل محبّي فاطمة وآل فاطمة، هذه الحلقة السابعةُ بعد العاشرة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، تمَّ الكلامُ في الحلقات الماضية في المقطع الأول من المقاطع الرئيسة في الزيارة الجامعة الكبيرة وشرعنا في الحلقة الماضية في المقطع الثاني من مقاطع هذه الزيارة حيث ابتدأ المقطع الثاني:

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى

ومر الكلام في هذه العناوين من هذا المقطع، أتناول اليوم عناوين أخرى جديدة ذكرتها الزيارة الجامعة الكبيرة، ونحن نخاطبهم صلوات الله عليهم: **وَذَوِي النُّهى، وَأُولِي الحِجى، وَكَهْفِ الْوَرى، وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ.**

هذه العناوين مترابطة يرتبط بعضها بالبعض الآخر، أقف عليها لبيان ما أتمكن من بيانه بحسب ما يسنح به المقام، نحن سَلّمنا عليهم فقلنا: **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى،** اليوم نستمر في سلامنا فنقول: **وَذَوِي النُّهى،** وذوي النهى أظن أن هذه التركيبة واضحة لديكم، ذوي النُهى يعني أصحاب النهى، فكلمة ذوي هي جمعٌ لكلمة ذو، وذو في لغة العرب تأتي بمعنى صاحب، نقول ذو ثراءٍ أي صاحب ثراء، وذو علم أي صاحب علم، وذو جاهٍ أي صاحب جاه، وذوي النهى يعني أصحاب النهى، أما كلمة النهى، النُهى قد تأتي جمعاً لنُهيه، والنُهيةُ في لغة العرب هي العقل، وقيل للعقل نهيه لأنه ينهى عن المفاسد، لأنه ينهى عن المضار، وقد تكون النُهى كما جاء في بعض روايات وكلمات أهل البيت صلوات الله عليهم جمعٌ لنهاية، نهاية تجمع على نهى – **وَذَوِي النُّهى** – فهي تأتي بمعنى أصحاب العقول إذا كانت النهى جمعاً لنُهيه، وتأتي بمعنى أصحاب النهايات إذا كانت النهى جمعاً لنهاية، والمعنيان ينطبقان على بعضهما أيضاً، فإن النُهى وهي العقول جمعٌ لنُهيه هي منتهى ما يصل إليه الإنسان، أين يذهب الإنسان؟ منتهى الإنسان أن يعود إلى عقله، منتهى الإنسان أن يعود إلى هذه الجوهرة وهي جوهرة العقل التي أودعها الله في باطن مكنون هذا الإنسان، النُهى بمعنى العقول أو النهى بمعنى النهايات فإنهما ينطبقان على بعضهما فنهايات الإنسان أين تكون في مداه الإنساني، الإنسان في المدى الإنساني إلى أين ينتهي؟

ينتهي إلى عقله، ولذلك إمامنا الرضا صلوات الله عليه وهو يُحدِّث العالِم اللغوي المعروف ابن السُكيت عن حجج الله فيقول: حجج الله حججٌ ظاهرة وباطنة، الحجج الظاهرة هم الأنبياء والأوصياء، وأما الحجج الباطنة فهي العقول، والحجة هو منتهى الوضوح، منتهى البرهان، الحجة الظاهرة في منتهاها هم الأنبياء، والحجة الباطنة في منتهاها هي العقول، النهى بمعنى العقول أو النهى بمعنى النهايات ينطبق أحد المعنيين على الآخر، وكذلك لو أردنا أن نطبق المعنيين كلاهما على أهل البيت فإنهما ينطبقان وبيُسرٍ وسهولة نحن نخاطبهم – **وَذَوِى النُّهى** – والقرآن الكريم أشار على ذوي النهى، أشار إلى ذوي النهى في موضعين من مواضع الكتاب: في سورة طه في الآية الرابعة والخمسين في سياق آياتٍ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾. وكذلك جاء هذا التعبيرُ في سورة طه أيضاً هذه هي الآية الرابعة والخمسون ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ بعد ذلك السياق الذي جاء ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ الآيات هنا تتحدث عن لوحةٍ في هذا العالم الذي نعيش فيه، ففي ذلك آياتٌ لأولي النُهى.

في نفس سورة طه الآية الثامنة والعشرون بعد المئة ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾. في روايات أهل البيت، في حديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الروايةُ يرويها علي بن إبراهيم في تفسيره: **عن علي بن رئاب عن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ قال: نحن والله أولوا النهى** – الإمام يؤكد هذا المعنى بِقَسَمه – **قال: نحن والله أولوا النهى فقلت: جُعِلتُ فداك وما معنى أولوا النهى؟** – فيبدأ الإمام يحدثه عن الوقائع وعن الأحداث التي تقعُ من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى أن يقول الإمام – ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ **الذي انتهى لنا علم ذلك كله** – الرواية هنا تشير إلى أنهم هم جهة النهاية – **الذي انتهى لنا علم ذلك كله** – إلى آخر الرواية، أنا فقط أخذت منها موطن الحاجة، لا أريد أن أقرأ النصوص بكاملها لضيق الوقت، أخذ منها مواطن الحاجة – ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ **الذي انتهى إلينا علم ذلك كله.**

الرواية عن عيسى بن داود النجار عن إمامنا الكاظم عليه السلام في قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ – ماذا قال إمامنا الكاظم؟ – **قال: هم الأئمة من آلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم وما كان في القرآن مثلها** – يعني إن هذا العنوان هو عنوانٌ خاصٌ بآل مُحَمَّد فقد ورد في الكتاب الكريم في سورة طه ورد مرتين وكلا المرتين عنوانٌ خاص بنحو المعنى الحقيقي لا ينطبق إلا على آل مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم، إمامنا يقول، إمامنا الكاظم يقول – **هم الأئمة من آل مُحَمَّدٍ وما كان في القرآن مثلها** – مثل هذه الآية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ المُراد ما كان في القرآن مثل هذه الآية أن ينطبق على غير أهل البيت على غير آل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أولوا النهى هم أرباب العقول أو هُم الجهة التي ينتهي إليها كُلُّ العلم، منتهى العلم، ومنتهى العلم يعني منتهى كل شيء، وأهل البيت هم مجالي أسماء الله الحسنى.

لو ذهبنا إلى سورة النجم في الآية الرابعة بعد العاشرة من سورة النجم ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ سدرة المنتهى هي عنوانٌ كما مر الحديثُ عن ذلك في الحلقات المتقدمة من هذا البرنامج سدرة المنتهى هي الحقيقة المُحَمَّديةُ في مقاماتها القادسة وفي تجلياتها الأسمائية بجمالها وبجلالها ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ والسدرةُ حيث الخفاء والسدرةُ هي الحجاب، وسَدَرَ الشيء غطاه حجبه أخفاه، هناك عند سدرة المنتهى كانت مقامات قوس الصعود الأحمدي حين صعد في معراجه صلى الله عليه وآله فكانت مراقي صعوده في قوس الصعود الأحمدي كانت عند سدرة المنتهى، وعند سدرة المنتهى تغيب الحقائق، لكن الحقيقة الأحمدية ما غابت، ومر علينا هذا الكلام ومرت علينا هذه الإشارات التي جاءت في كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا التعبير تعبير المُنتهى وتعبير الانتهاء منوطٌ بهذه الذوات المقدسة، ولذلك مَرَّ علينا في كلام إمامنا الكاظم عليه السلام قال إن هذا الاستعمال في الكتاب الكريم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ **قال: هي في الأئمة من آل مُحَمَّد وما في القرآن مثلها**، مثل هذا التعبير إلا هو في آل مُحَمَّد، لأن النهاية عندهم ولأن الأمور تؤول إليهم صلوات الله وسلامه عليهم، سدرة المنتهى هي سدرتهم وهي حقيقتهم، فالمنتهى عندهم والمنتهى إليهم.

في نفس سورة النجم الآية الثانية والأربعين ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ المنتهى والنهاية إلى ربك وهذا الاسم معنى الربوبية إنما يتجلى في الحقيقة المُحَمَّدية لأن الربوبية تعني المَدد، تعني الفيض، فهي مأخوذةٌ من التربية، والتربية هي تواصل الفيض، والفيض الإلهي إنما يتواصلُ ويصلُ إلى هذا الوجود من خلال باب

الفيض، من خلال الحقيقة المحَمَّدية – **فما من شيءٍ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل** – ومرَّ الكلام في هذه المعاني في بيان معنى وأولياء النعم ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ المُنتهى عند الجهة التي يصدر منها الفيض، والنهايات عند الله سبحانه وتعالى.

في سورة النازعات في الآية الرابعة والأربعين ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ هذه الآيات التي تسبق الآية الرابعة والأربعين ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ وتستمر الآيات ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ أيضاً هنا جاء اسم الرب، لأن الرب هو الذي يتجلى برحمته بلطفه بفيضه، هو الذي يربي هذه الكائنات، أخرجها من العدم إلى الوجود، ثم أكمل وجودها، وأعطى لكل موجودٍ فاعليته وقدرته على الفعل، وأعطاه كذلك قدرته على الانفعال لترتبط هذه الموجودات بعضها بالبعض الآخر فيحدث التكامل فيما بينها، فكما أن الفاعلية والفعلية كمالٌ في المخلوق كذلك الانفعالُ والتأثر والمعلوليةُ هي جزءٌ من كمال هذا المخلوق ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ كل شيءٍ منتاها عند أفق الربوبية، والربوبيةُ تجلت بفيضها بصفاتها بأسمائها في الحقيقة المُحَمَّدية التي صدر منها الفيض المُقدَّس على جميع الكائنات على جميع الموجودات ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ كل هذه الآيات فيها إشاراتٌ ودلالاتٌ إلى نفس المضمون الذي تكتنزه هذه العبارة من الزيارة الشريفة – **وَذَوِي النُّهى** – وذوي النهى هُمْ حقائق العقول والتي أشارت إليها الروايات أن الله سبحانه وتعالى أول ما خلق، ماذا خلق؟ خلق العقل فقال له أقبل فأقبل، أدبر فأدبر، وقد شرحت شيئاً من معنى هذا الحديث في طوايا الحلقات الماضية، فكانت النتيجة أن خاطبه سبحانه وتعالى أما أني بك أثيب وبك أعاقب جعله هو الميزان، وكل هذه الكلمات إنما هي رموز، هذا العقل تجلى في تلكم المظاهر الإلهية القادسة التي تجلت في عالم الخلق الأول وتجلت كذلك في مراتبها المختلفة في عالم الخلق الثاني، فهم العقول وهم النهايات، وأولي النهى أولي العقول وأولوا النهايات، والنهايات تتجلى فيهم، إن كان ذلك في العالم الدنيوي أو كان ذلك في العالم الأخروي.

هذا هو الجزء السابع والعشرون من بحار الأنوار وهذه الرواية: عن جابر عن أبي عبد الله – وجابرٌ هذا هو الجعفي حامل أسرار أهل البيت – **عن جابر عن أبي عبد الله عن إمامنا الصادق أنه قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين لفصل الخطاب دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فيُكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حُلَّةً خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب، ويُكسى عليٌّ عليه السلام مثلها، ويُكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حُلَّةً وردية تضيء**

ما بين المشرق والمغرب ويُكسى عليٌّ عليه السلام مثلها، ثم يُدعى بنا – أي بالأئمة المعصومين بالعترة الطاهرة – **ثم يُدعى بنا فيُدفع إلينا حساب الناس** – وسيأتينا في عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة وحساب الخلق عليكم، إياب الخلق إليكم وحساب الخلق عليكم، الإياب إليكم والحساب عليكم – **ثم يُدعى بنا فيُدفع إلينا حِسَابُ الناس أو حِسَابَ الناس** – والقراءتان صحيحتان – **فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة وندخل أهل النار النار ثم يُدعى بالنبيين عليهم السلام فيُقامون صفين عند عرش الله عزّ وجلَّ حتى نَفرُغَ من حساب الناس فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بعث الله تبارك وتعالى عليّاً فأنزلهم منازلهم في الجنة** – منتهى أمور الجنان إلى عليٍّ ومنتهى أمور النيران إلى عليٍّ – **بعث الله تبارك وتعالى عليّاً فأنزلهم منازلهم في الجنة وزوجهم، فعليٍّ واللهِ الذي يزوج أهل الجنة في الجنة وما ذلك إلى أحد** – لأن الولاية العلوية ولايةٌ مبسوطة في جميع آفاق هذه الوجود – **فعليٍّ والله الذي يزوج أهل الجنة في الجنة وما ذلك إلى أحدٍ غيره وإنما هذه كرامةٌ من الله عزَّ ذكره له، وفضلاً فضله به ومَنَّ به عليه وهو والله يدخل أهل النار النار وهو الذي يغلق على أهل الجنة إذا دخلوا فيها أبوابها ويغلق على أهل النار إذا دخلوا فيها أبوابها لأن أبواب الجنة إليه وأبواب النار إليه** – ولايةٌ مبسوطةٌ في كل آفاق وطبقات هذا الوجود.

وذلك هو معنى منتهى الأمور إليه، إذاً المنتهى إليه، إذاً الرجعى إليه، وأولي النهى هم الحقائق العقلية التي كانت ميزاناً للثواب والعقاب، وهم الجهة التي تنتهي إليها الأمور، على الأقل إذا أردنا أن نتحدث عن أهل الجنان وأهل النيران فأنهم الجهة التي ينتهي إليها مصيرُ أهل الجنان ومصيرُ أهل النيران كما بينت هذه الرواية وروياتٌ كثيرةٌ ووفيرةٌ جداً جاءت عن النبي الأعظم وعن آله الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

بهذه العجالة يتضح عندنا معنى قول الزيارة: **وَذَوِى النُّهى**، فهم المَظهرُ العقليُ الأكملُ الذي يتجلى في عالمنا الدنيوي وهم صورةٌ لذلك العقل الذي خلقه الله فقال له أقبل فأقبل وأدبر فأدبر ثم قال أما أني بك أعاقب وأثيب فجعله الميزان، هناك ميزان، هذا الميزان جاء ذكره في الكتاب الكريم في سورة الرحمن ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الميزَانَ﴾ هناك ميزان والميزان هنا ليس ميزاناً مادياً، هذا الميزان هو ميزانُ الوجود ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الميزَانَ﴾ نحن نُسَلِّمُ على سيد الأوصياء في زياراته، الذين يقرءون زيارات أمير المؤمنين في مفاتيح الجنان وفي غير المفاتيح، في زياراته المطلقة وفي زياراته المخصوصة: **السَّلامُ عليك يا ميزان الأعمال وسيف ذي الجلال**، – هذا مظهرٌ من مظاهر هذه الميزانية في الوجود أنه صلوات الله عليه ميزان الأعمال، وميزانيته للأعمال هي في الدنيا وهي في الآخرة أيضاً، وميزانيته في هذا الوجود هي التي

إليها الإشارة هنا ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الميزَانَ﴾ الآيات التي بعدها ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الميزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الميزَانَ﴾ ألا تطغوا في الميزان قولوا فينا ماشئتم ولكن نزهونا عن الربوبية، هذه الكلمة النورية من سيد الأوصياء هي تنهانا عن الطغيان في الميزان ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا﴾ وفي روايات أهل البيت السماء في القرآن هي عنوانٌ واسمٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا﴾ كما أن النجوم أسمٌ للمعصومين من عترته الطاهرة التي رصعت السماء، فالسماء أسمٌ لرسول الله وهو الوجود الأوسع الوجود الفسيح ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الميزَانَ﴾ ولولاك يا عليُّ لم يُعرَف المؤمنون بعدي، هكذا خاطبه ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الميزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الميزَانِ﴾ نزهونا عن الربوبية وقولوا في فضلنا ما شئتم ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الميزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الميزَانَ﴾ لا تبغضونا فإن الذي يخسر هذا الميزان من هو؟ هو مُبغِضهم، فنحن ما بين طغيانٍ وما بين خسران، الطغيان مذموم والخسران مذموم ولكن ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ وإقامة الوزن بالقسط تحتاج إلى ذلك الذي يملأها قسطاً وعدلاً، ملئه للأرض قسطاً وعدلاً هو مظهرٌ لميزانيته.

نحن إذاً إذا أردنا أن نقيم الوزن بالقسط لابد أن نرجع إلى الميزان، ميزاننا في هذا الوقت هو الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليه ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الميزَانَ﴾ إذاً لنبحث عن هذا الميزان حتى لا نطغى في هذا الميزان ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الميزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ كما يريدون هم ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الميزَانَ﴾ فهم ميزان هذا الوجود، لَمَّا قال للعقل أقبل فأقبل وأدبر فأدبر، فماذا قال له؟ قال أما أني بك أثيب وبك أعاقب، فكانوا هم الميزان – **السَّلامُ عليك يا ميزان الأعمال** – هذه الميزانية المذكورة في هذه العبارة من الزيارة هي مرتبة من مراتب ميزانية عليّ لأن الميزانية الحقيقية هي ولاية عليّ، ولاية عليّ هي الميزان في الرابطة وفي العلاقة فيما بين المخلوقات وبين الله، الولايةُ العلويةُ في عُمقها الوجودي هي موجودةٌ حتى عند قاتله، لأننا لا نستطيع أن نتصور موجوداً من دون هذه الولاية، أما قضية الإيمان قضية الإسلام مرتبطةٌ بالولاية العلوية في مظهرها الإنساني، هناك الولاية العلوية في مظهرها الوجودي وكل الكائنات مرتبطة بها وحتى النواصب لأن وجودهم قائمٌ بهذه الولاية، الولاية هنا هي مادةُ وجودهم فلا يمكن أن نتصور الموجود من دون مادة الوجود، مرادي من مادة الوجود الماء الأول، الفيض الأول، ليس القضية المادية

المحسوسة، هذه القضية المادية المحسوسة هي صورة، صورة للمادة الحقيقية، المادة الحقيقية ما وراء هذه المادة، هذه المادة المحسوسة التي لها أبعاد طول وعرض وارتفاع، هذه المادة المحسوسة المرئية بحاسة البصر الملموسة بحاسة اللمس هذه هي عبارة عن صورة للمادة الحقيقية التي وراء هذه المادة المحسوسة، فأنا أتحدث عن الولاية العلوية في عُمقها الوجودي هي هذه المادة التي ما وراء المادة المحسوسة.

أما الولاية العلوية في أفقها الديني في العلاقة الإيمانية في البعد القرآني هذه الولاية العلوية في البُعد الإنساني في قضية الارتباط بالله سبحانه وتعالى وتلك يمكن أن ينكرها البعض ويمكن أن يؤمن بها البعض، أما الولاية العلوية في عُمقها الوجودي لا يمكن أن يتجرد منها موجود السبب في ذلك أنها هي مادة الوجود، هذه المادة المحسوسة متقومة بمادةٍ حقيقية وراءها، المادة الحقيقية هي الولاية العلوية، والولاية العلوية هي الولاية الإلهية هذا مجرد عنوان، الكائنات قائمة بأي شيءٍ؟ قائمة بولاية الله سبحانه وتعالى، الولاية العلوية هي الولاية الإلهية، وهذا هو الذي يجعلهم أن تكون النهايات إليهم، السلام عليكم سادتي أئمتي – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى، وَذَوِى النُّهى** – هم العقول القادسة وهم النقطة التي تنتهي عندها النهايات وتتلاشى عندها النهايات، وسدرة المنتهى هم سدرة المنتهى هم جنة المأوى في بُعدٍ أعمق لمعاني هذه المصطلحات – **وَذَوِى النُّهى، وَأُولِى الحجى** – وأولي الحجى تعني أصحاب الحجى، تعني أرباب الحجى، تعني أولئك الذي يملكون الحجى، ما المراد من الحجى في لغة العرب؟

الحجى في لغة العرب المراد منها الحكمة، والحجى تأتي بمعنى العقل ولكن العقل في أفق الحكمة، صاحب الحجى هو صاحب الحكمة، وقطعاً حين يكون الإنسان صاحب حكمة فهو بالضرورة لابد أن يكون صاحب عقلٍ متين حتى تأتي الحكمة فتستقر في ذلك العقل أو تتجلى في ذلك العقل أيّاً كان التعبير، الحجى هو الحكمة والحكمة هي أرقى مظاهر العقل، ومن كانت عنده الحكمة من الضرورة بمكانٍ وبوضوح أنه يملك العقل المتين وبعد ذلك تأتي الحكمة، وهذه الحِكَمة إما أن تكون آتية وإما أن تكون مشرقة من داخل ذلك العقل – **وَأُولِى الحجى** – الحجى أيضاً تأتي بمعنى الذكاء، الذكاء الشديد المتوقد، وهي أيضاً أعلى درجات الإدراك في الحالة البشرية العادية، أعلى درجات الإدراك والتواصل مع العالم الخارجي إنما يكون بقدرة الذكاء، الحجى تأتي بمعنى الذكاء، والذكاء هو أيضاً من مظاهر ومن مراتب العقل البشري – **وَذَوِى النُّهى، وَأُولِى الحجى** – يعني أصحاب الحكمة، يعني أصحاب الذكاء، يعني أصحاب الفطنة، العبارة السابقة – **وَذَوِى النُّهى، وَأُولِى الحجى** – النُّهى أيضاً تأتي بمعنى العقول، والحجى بمعنى العقول، ما الفارق بين العبارتين؟ – **وَذَوِى النُّهى، وَأُولِى الحجى** – النُّهى كما قلنا يُنظر فيها إلى مرتبة العقل الذي هو نهاية النهايات، نحن في مثال أمورنا في مثال تفكيرنا إلى أين ننتهي؟ ننتهي عند العقل، العقل هو الميزان،

حتى في حياتنا الشخصية وفي جزئياتها البسيطة، مثال هذه الجزئيات، مثال هذه الحياة إلى العقل – **وَذَوِى النُّهى** – أما حين نقول – **وَأُولِى الحجى** – الحِجى هي العقول، والحجى هي الحكمة ولكن النظر هنا إلى مرتبةٍ أخص من المرتبة الأولى، المرتبة الأولى هي الميزان، والنُّهى نهية، والنهية هو العقل الذي ينهى، بك أثيب وبك أعاقب، هذه هي النُهية وهذا هو معنى النهى، أما ما المراد من الحجى؟ الحجى هو جهة العقل التي تتجلى في خواصهم، ما يتجلى من المراتب الخاصة للعقل في خواص أهل البيت، وذلك إنما يتأتى منهم، ما من شيءٍ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل، الحجى هي المراتب الخاصة من العقل ولنعبر عنها بالبصيرة مثلاً، البصيرة في معناها العميق هي الحجى.

وأولي الحجى يعني أصحاب البصائر، لذا نجد مثلاً في الجزء الخامس والعشرين في حديثٍ طويل وقد مَرَّ علينا هذا الحديث، هناك عبارات قصيرة فيها إشارة واضحة إلى معنى الحِجى، فالحجى كما قلت هي مرتبة العقل الخاصة، ومرتبة العقل الخاصة هي التي تكشف عن حقيقة الإنسان، الإنسانُ بشكلٍ عام، كل البشر يمتلكون في الجانب الفكري في الجانب العقلي يمتلكون نفس الوسائل نفس الآليات، يعني مثلاً البديهيات، البديهيات أو الضروريات في الفكر البشري أو الفطريات يعني نسبةً إلى الفطرة، الفطريات نسبةً إلى الفطرة، أو البديهيات نسبةً إلى البديهة، هذه القواعد الفكرية موجودة عند الجميع، وكل العقول تعمل بهذه الآليات، لكن هناك خصوصية في كل عقل، بالنتيجة العقول لها مراتب، من جهة البديهيات، من جهة القواعد العامة كل العقول تعمل في نفس الأفق ويمكن أن تصل إلى نفس النتائج ولكن يبقى لكل عقلٍ له الحالة الخاصة به وتلك هي الحقيقة التي تمثلُ وجه الإنسان، نحن حين نتحدث عن وجه الإنسان، وجه الإنسان المحسوس هو هذا الذي فيه عيناه وفيه جبهته وفيه فمه وبه يتمايز الإنسان عن غيره، وقد تتشابه التوائم فلا نجد ما يميز بين هذا التوأم وذاك التوأم، ولكن بالنسبة للعقول حتى التوائم كل توأم له خصوصيته الخاصة، لكل عقلٍ خاصيته التي تخصه وذلك هو الوجه الحقيقي للإنسان، خواص أهل البيت ينالون وجهاً خاصاً منهم صلوات الله عليهم، وهذا مرت الإشارة إليه في الأحاديث إن حديثنا إن أمرنا صَعبٍ مستصعب لا يحتمله لا نبيٌ مرسل ولا مَلَكٌ مقرب ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان فمن يحتمله يا ابن رسول لله قال: من شئنا، من شئنا هؤلاء الذين تصدر إليهم هذه المراتب الخاصة من العقل، لا يحتمله لا نبيٌ مرسل ولا ملك مقرب ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، إذاً من يحتمله؟ قال: من شئنا، الحجى المراد هو هذا المعنى، هذه الخاصية المرتبة الخاصة من العقل، أنا قلت فلنسمها البصيرة، وإن كان البصيرة فيها دلالة أخرى ولكن لأجل تقريب المعنى، المراد من الحجى هو هذا المعنى هو هذه المرتبة، وهذه المرتبة مرتبطة أين؟ مرتبطة بالحقيقة الثابتة بالعقل الثابت بالميزان، ولذلك في هذا الحديث، حديث طويل ومر ذكره في الحلقات السابقة، يرويه جابر الجعفي عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، فمن جملة ما جاء في هذا الحديث

قول الله سبحانه وتعالى وهو يخاطب النبي والأئمة: **فكل شيءٍ هالكٌ إلا وجهي وأنتم وجهي**. الله يخاطب النبي وآل النبي: **فكل شيءٍ هالكٌ إلا وجهي وأنتم وجهي لا تبيدون ولا تهلكون ولا يبيد ولا يهلك من تولاكم**. الحديث هنا عن تلكم المرتبة الثابتة والتي تتجلى في مرتبة الميزان، الميزان الثابت الذي توزن به الأشياء، توزن به الحقائق، فهم وجه الله، ووجه الله سبحانه وتعالى هو الوجه الثابت الذي لا يهلك – **فكل شيءٍ هالكٌ إلا وجهي وأنتم وجهي لا تبيدون ولا تهلكون ولا يبيدُ ولا يهلك من تولاكم** – هذا هو كلام الله سبحانه وتعالى للنبي وآل النبي كما في هذه الرواية التي ينقلها جابر الجعفي عن إمامنا أبي جعفرٍ الباقر صلوات الله وسلامه عليه.

العقل هنا هو وجه الإنسان، العقل هنا هو حقيقة الإنسان، فحينما يقول في الحديث الذي مر علينا أن أولياءكم لا يبيدون ولا يهلكون إنما هم لا يبيدون ولا يهلكون من هذه الجهة، من جهة ما تجلى من مرتبة العقل الخاصة عند أولياءهم أمثال سلمان ومن كان في درجة سلمان، الذي جاء في وصفه بأن من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً، لماذا؟ لأن سلمان قد صار في مرحلة الميزان، أُعطي تلكم الرتبة، أُعطي هذه الرتبة المُشار إليها في الزيارة – **وَأُولِي الحجى** – الحِجى هنا المراد منها هذه الرتبة هذه المرتبة الخاصة من العقل، فأولي الحجى يعني هم الذين يمنحون أولياءهم خواصهم هذه المرتبة، وهم كذلك هم الأصل في ذلك، حقيقة الحجى حقيقة العقل هي عندهم، وهم حقيقة العقل، والمعاني هنا متناسقة ما بين ذوي النهى وما بين أولي الحجى، فالنُّهى عقول والحِجى عقول والنتيجة أنهم هم المنتهى، حينما مثلاً نقرأُ في دعاء علقمة الذي يستحب قراءته بعد زيارة عاشوراء، ماذا نقول في هذا الدعاء؟

إلى الله انقلبتُ على ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله مفوضاً أمري إلى الله مُلجئاً ظهري إلى الله متوكلاً على الله وأقولُ حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس لي وراء الله ووراءكم يا سادتي منتهى – هذه المعاني المتقدمة كلها تجتمع في هذه العبارة – **إلى الله انقلبتُ على ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله مفوضاً أمري إلى الله مُلجئاً ظهري إلى الله متوكلاً على الله وأقولُ حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا** – كل هذه المعاني وهي من أعمق معاني التوحيد وهي من أعمق معاني التوكل واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى تجتمع في هذه العبارة – **ليس لي وراء الله ووراءكم يا سادتي منتهى** – المنتهى يكون عندهم، النهاياتُ تكون عندهم صلوات الله عليهم، وهذه النهاياتُ الإشارة إليها في هذه العبارات في الزيارة – **وَذَوِي النُّهى، وَأُولِي الحِجى** – فالنُّهى هي العقول، هي النهايات، والحجى هي أرقى مراتب العقول التي لو تجلت وظهرت في إنسان ظهر وجهه الحقيقي، لذلك عندنا في الروايات إن أعداء أهل البيت يحشرون يوم القيامة على صور، على هيئات تحسن عندها القِردةُ والخنازير لماذا؟ لأنهم لا يملكون هذه المرتبة

من العقل، لا يمتلكون مرتبة الحجى، زينة الإنسان أين تكمن؟ زينة الإنسان تكمن في عقله، جمال الإنسان يكمنُ في عقله، جمال المخلوق يكمن في عقله، وكلمَّا ترقى هذا العقل كلما أزداد الإنسان جمالاً، إلى أن يكون هناك المرتبة الخاصة، فمن يحتمله قال من شئنا، هذه المرتبة تحتاج إلى عناية خاصة، إلى جوهرة خاصة، إلى أفق خاص من آفاق العقل وهو الحجى.

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأعْلامِ التُّقى، وَذَوِى النُّهى، وَأُولى الحجى، هناك إذاً علاقة خاصة وهي هذه العلاقة التي يرتبط بها المؤمن بأئمته فيمنحونه هذه الصفة، يمنحونه هذه المرتبة: من شئنا، من يحتمله؟ من شئنا، لابد من وجود إضافة تضاف على هذا الإنسان كي يصل إلى هذه المرتبة، وإلا الرواية قالت: **لا يحتمله لا نبيٌ مرسل ولا ملكٌ مقرب ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان،** إذاً من يحتمله يا ابن رسول الله؟ **قال: من شئنا،** إذاً هناك مجموعة تحتاج إلى عناية خاصة إلى إضافة خاصة هذه العناية التي ظهرت في سلمان، سلمانُ منا أهل البيت، هناك عناية خاصة أضيفت إلى سلمان، سلمان أضيف إلى الرحم المُحَمَّدي، ليس الرحم بمعنى اللحمة النسبية أو النسبة العشائرية، الرحم بالمعنى الأعمق بالمعنى الحقيقي والذي تتحدث عنه كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الرواية عن إمامنا الحسن العسكري، الرواية طويلة ولكنها تشتمل على مضامين مهمة لذا سأتلوها على مسامعكم، إمامنا العسكري صلوات الله عليه يحدثنا عن جده أمير المؤمنين وهذا هو الجزء الثالث والعشرون من بحار الأنوار: **وقال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال الله عزَّ وجلَّ: أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من أسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته** – سلمان أُدخِل في هذه الدائرة، هذه العناية الخاصة التي جعلت من سلمان أن قال عنه رسول الله سلمان منا أهل البيت، هذا هو سلمان المُحَمَّدي، هذه النسبة ليست نسبة اللحمة، هذه النسبة إلى الرحم الحقيقي – **أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من أسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته، ثم قال عليٌ عليه السلام: أوتدري ما هذه الرحم التي من وصلها وصله الرحمن ومن قطعها قطعه الرحمن؟ فقيل: يا أمير المؤمنين حَثَّ بهذا كل قومٍ على أن يكرمُوا أقربائهم ويصلوا أرحامهم، فقال لهم: أيحُثّهم على أن يصلوا أرحام الكافرين؟!** – باعتبار أن الكلام عام – **أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من أسمي من وصلها وصلته** – يعني من وصل الرحم مطلقاً، والرحم قد يكون بين الكافرين وبين المؤمنين، وقد يكون بين المؤمنين والكافرين أيضاً، إذا كان المنظور والمراد من الرحم، الرحم العشائرية النسبية الأسرية – **فقال لهم: أيحثهم على أن يصلوا أرحام الكافرين وأن يُعَظِّموا من حَقّره الله وأوجب احتقاره من الكافرين؟ قالوا: لا ولكنه يحثهم على صلة أرحامهم المؤمنين، قال: فقال**

أوجب حقوق أرحامه لاتصالهم بآبائهم وأمهاتهم؟ – الإمام هنا يسألهم يقول – **أوجب حقوق أرحامه لاتصالهم بآبائهم وأمهاتهم؟ قلتُ: بلى يا أخا رسول الله، قال: فآباءهم وأمهاتهم إنما غذوهم في الدنيا ووقوهم مكارهها وهي نعمةٌ زائلةٌ ومكروهٌ ينقضي، ورسول ربهم ساقهم إلى نعمةٍ دائمةٍ لا تنقضي ووقاهم مكروهاً مؤبداً لا يبيد، فأيُّ النعمتين أعظم؟ قلت: نعمة رسول الله صلى الله عليه وآله أجلُّ وأعظم وأكبر.**

قال: فكيف يجوز أن يحث على قضاء حقٍ من صغَّر الله حقه ولا يحث على قضاء حق من كبَّر الله حقه؟ قلتُ: لا يجوز ذلك، قال: فإذاً حقُّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعظم من حق الوالدين وحق رحمه أيضاً أعظمُ من حق رحمهما، فرحمُ رسول الله صلى الله عليه وآله أولى بالصلة وأعظمُ في القطيعة، فالويلُ كل الويل لمن قطعها، والويلُ كل الويل لمن لم يعظم حرمتها، أو ما علمت أن حرمة رحم رسول الله حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن حرمة رسول الله حرمة الله وأن الله أعظم حقاً من كل منعمٍ سواه فإن كل مُنعمٍ سواه إنما أنعم حيثُ قيضه له ذلك ربه ووفقه، أما علمت ما قال الله لموسى بن عمران؟ قلت: بأبي أنت وأمي ما الذي قال له؟

قال عليه السلام: قال الله تعالى يا موسى أوتدري ما بلغت رحمتي إياك؟ فقال موسى: أنت أرحم بي من أمي، قال الله: يا موسى وإنما رحمتك أمك لفضل رحمتي أنا الذي رفَّقتُها عليك وطَيّبتُ قلبها لتترك طيب وسنها لتربيتك ولو لم أفعل ذلك بها لكانت وسائر النساء سواء، يا موسى أتدري أن عبداً من عبادي تكون له ذنوب وخطايا تبلغ أعنان السماء فأغفرها له ولا أبالي، قلتُ: يا ربي وكيف لا تبالي؟ قال تعالى لخصلةٍ شريفةٍ تكون في عبدي أحبها يحب إخوانهُ المؤمنين ويتعاهدهم ويساوي نفسه بهم ولا يتكبر عليهم فإذا فعل ذلك غفرت له ذنوبه ولا أبالي، يا موسى إن الفخر ردائي والكبرياء إزاري من نازعني في شيءٍ منهما عذبته بناري، يا موسى إن من إعظام جلالي إكرام عبدي الذي أنلتهُ حظاً من حِطام الدنيا عبداً من عبادي مؤمناً قَصُرت يدهُ في الدنيا فإن تكبر عليهِ فقد استخف بعظيم جلالي.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الرحم التي أشتقها الله عزَّ وجلَّ بقولهِ أنا الرحمن هي رحم مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وإن من إعظام الله إعظام مُحَمَّد وإن من إعظام مُحَمَّد إعظام رحم مُحَمَّد وإن كل مؤمنٍ ومؤمنة من شيعتنا هو من رحم مُحَمَّد وإن إعظامهم من إعظام مُحَمَّد فالويل لمن استخف بحرمة مُحَمَّد وطوبى لمن عَظَّمَ حُرمتهُ وأكرم رحمه ووصلها – الرواية واضحةٌ صريحةٌ تتحدثُ عن أن حقيقة التواصل مع الله سبحانه وتعالى في التواصل رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وأن الرحمن الذي على

العرش استوى، الحديث هكذا قال أنا الرحمن وقد اشتققت لها اسماً من اسمي، اشتق للرحم، الرحم هي الرابطة الصلة فيما بيننا وبين الله، قال أنا الرحمن واشتققت لها اسماً من اسمي لهذه الرابطة لهذه الصلة، الرحم الرحمن اشتق لها اسماً من اسمِهِ، ثم قال من وصلها وصلته، من وصلها وصلهُ الله، ومن قطعها قطعتهُ، ومن قطعها قطعه الله، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ الرحمانية هي الرحمة التي تجلت وظهرت في كل جهةٍ من جهات هذا الوجود وبها وُجدنا، والرحم هي نوع العلاقة، نوع الرابطة فيما بيننا وفيما بين الله، وهذا الرحم هو رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هذا الرحم هو العنوان المُحَمَّدي، العنوان العلوي، هذه الرواية التي قرأتها على مسامعكم رواية جاءت بنحو التقريب لتقريب المعاني، بنحو التفهيم وكأنها وسيلة إيضاح لتقريب المعنى، لأنها تشير إلى ذلك البُعد إلى أن الرحم هو عنوان الصلة فيما بين المخلوقات وفيما بين الله، والرحم في معناه في صورتهِ الحقيقية ولاية عليٍّ، الولاية العلوية بكل معانيها الولاية المُحَمَّدية الولاية العلوية، لكنني أركز على ذكر الولاية العلوية:

أولاً: لأن الولاية العلوية هي جهة الارتباط فيما بين الكائنات وبين الحقيقة المُحَمَّدية، أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، أنا مدينة الحكمة وعلي بابها وهذا مجلىً من مجالي المعنى الحقيقي في الأفق الأول من هذا الوجود، مدينة الحكمة ومدينة العلم الحقيقية هي الحقيقة المُحَمَّدية التي خلقت قبل خلق الخلق، تلك هي مدينة العلم الحقيقية ومدينة الحكمة الحقيقية، فالولاية العلوية هي المجلى هي الباب، هذا أولاً.

وثانياً: إن كلمات أهل البيت تؤكد على هذه الحقيقة تركز على ارتباطنا في الظاهر وفي الباطن بالولاية العلوية، وأن المنجى وأن الهداية وأن الفوز وأن الفلاح وأن خير العمل وأن خير الدين وأن خير العقيدة في ولاية عليٍّ وآل عليّ، من هنا جاء التركيز في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على هذه القضية أو على هذا العنوان.

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى، وَذَوِي النُّهى، وَأُولِي الحجى، وَكَهْفِ الْوَرى، وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ – كهف هو الغار الكبير في الجبل، في الجبال توجد هناك مداخل، توجد هناك فجوات، توجد هناك مساحات محفورة داخل الجبل، إذا كان هذا المكان صغير يسمى بالغار وإذا كان المكان كبير ومتسع يسمى بالكهف، والكهفُ يُلجأ إليه عادةً إما أن يكون الإنسان خائفاً من عدو أن من حيوانٍ مفترس أو يلجأ إلى الكهف حينما تشتد الرياح والعواصف والكوارث الطبيعية يلجأ الناس إلى الكهوف – **وَكَهْفِ الْوَرى** – الكهف إذاً هو المكان الكبير المفتوح في الجبل، ويكون ملجأً يحتمي فيه الناس، يلوذ إليه الناس، لسعتهِ من جهة، وللأمان، هذا جبل من يستطيع أن يهدم الجبل، وعادةً الكهف يكون في مكانٍ عالٍ لا يكون بمستوى الأرض، فهو في منأىً عن أن تصل إليه أيادي الأعداء، في منأىً

عن أن تصل إليهِ الأضرار، في منأىً عن أن تصل إليه أسباب الهلاك، فهو مكانٌ واسع محفورٌ في الجبل على ارتفاعٍ عالٍ من الأرض وهو ملجأٌ ومأمنٌ يلجأ إليه الخائف ويستقر فيه قراره، أما كلمة الورى، كلمة الورى في لغة العرب تأتي بمعنى الناس طراً كل الناس على اختلاف ألوانهم وأصنافهم وألسنتهم وشعوبهم وقبائلهم، وتأتي أيضاً في لغة العرب بمعنى كل الخلق، الورى إما هم كل الناس وإما هم كل الخلق، الإنسان، الجان، الجماد، النبات، الحيوان، كل ما خلق الله – **وَكَهْفِ الْوَرى** – والمعنيان مقصودان في هذه العبارة، فآلُ مُحَمَّد هم كهف الورى، إذا كان الورى بمعنى الناس فهم كهف للناس، وإذا كان الورى بمعنى الخلق طُراً فهم أيضاً كهفٌ للخلق طراً، والنصوص والروايات والكلمات في هذا المعنى تتجلى جليةً واضحةً بيّنة.

هذا هو الجزء الثاني بعد المئة من كتاب بحار الأنوار لشيخنا المجلسي رضوان الله تعالى عليه، وهذه العبارة في زيارة الندبة لا في دعاء الندبة، زيارة الندبة التي يُزار بها إمام زماننا صلوات الله عليه – **فلا نجاة ولا مفزع إلا أنتم ولا مذهب عنكم** – إلى أين نذهب – **فلا نجاة ولا مفزع إلا أنتم** – حين تضطرم المضطرمات، وحين تزدحم المزدحمات، وحين تهجم علينا النوائب، وحين تترادف علينا الكوارث وتتعاقب علينا المصيبات، وحين يقف بنا الجهل في وسط الطريق فنبقى حيارى بل سكارى وما نحن بسكارى، وحين تحوطنا الأخطار، وحين تحفنا المدلهمات من عصائب الأمور، ومن شتات الحيرة، ومن ذهول الدهشة في تقلبات الأيام وفي دول السنين ونحن نتنقل ما بين شكٍ وخيالٍ وجهل ووهم، إلى أين المنجى وقد أعيتنا المذاهب وضاقت بنا السبل وبدأت هذه الدنيا تضيق علينا شيئاً فشيئاً بما رَحُبت، إلى أين نعطي وجوهنا؟ نعطي وجوهنا إلى كهف الورى، أليس هكذا نخاطبهم – **وَذَوِي النُّهى، وَأُولِي الحِجَى، وَكَهْفِ الْوَرى** – فلا نجاة ولا مفزع إلا أنتم ولا مذهب عنكم، نحن مهما ابتعدنا نؤوب إليكم، مهما شرَّقنا ومهما غرَّبنا، إمامنا الباقر عليه السلام وهم يحدثوه عن الحسن البصري قال كذا قال كذا، قال فليُشَرِّق الحسن البصري وليُغَرِّب، الحسن البصري هنا مثال، فليُشَرِّق الحسن البصري وليُغَرِّب، وليُشَرِّق من يريد أن يُشَرِّق وليُغَرِّب من يريد أن يُغَرِّب فإن العلم لا يؤتى إلا من ها هنا وأشار إلى صدرهِ الشريف، فإن العلم لا يؤتى إلا من هذا البيت وأشار إلى بيتهِ المقدس إلى بيت عليٍّ وآل عليّ، فإن العلم لا يؤتى إلا من هذا البيت إلا من بيت عليّ.

في نفس الزيارة الجامعة الكبيرة تأتينا إن شاء الله هذه الفقرات، نحن هكذا نخاطبهم – **مَنْ أَتاكُمْ نَجا** – النجاة عندكم أنتم كهف الورى – **مَنْ أتاكُمْ نَجا، وَمَنْ لم يَأتِكُمْ هَلَكَ** – حينما تشتد العواصف وتشتد الريح العقيم إلى أين يلجأ الناس؟ إلى أين يلجأ المسافرون؟ نحن الآن في طريق سفر والدنيا سفر، ما الدنيا إلا سفر، نحن نوهم أنفسنا بأننا ماكثون في هذه الدنيا، نحن على سفر، المنادي ينادي فينا تجهزوا للرحيل،

هذا النداء تخاطبنا به الدنيا كل صباحٍ وكل مساء تجهزوا للرحيل

وفدتُ إلى الكريم بغير زادٍ .....

حين أقبل عليٌّ من المدينة إلى المدائن، حين توفي سلمان الفارسي، سلمان المُحَمَّدي في المدائن فإن عليّاً أقبل في الساعة إلى المدائن وجهزَّ سلمان، كفَّنَهُ، جاءه بكفن، كُفِّن بكفن خاص سلمان، وكتب سيد الأوصياء على كفن سلمان ماذا كتب؟ كتب هذين البيتين:

وفدتُ إلى الكريم بغير زادٍ من الحسنات والقلب السليمِ

وحمل الزاد أقبح كل شيءٍ إذا كان الوفود على الكريم

نحن هنا نَفِدُ إلى كهف الورى، مسافرون، مسافرون، مسافرون والقافلة تسير، فاشتدت الريح العقيم، وقصفت بنا القواصف وعصفت بنا العواصف إلى أين الملاذ، فإن الأرض تتزلزل من حولنا، إلى أين الملاذ؟ الملاذ إلى ذلك الكهف الواسع إلى كهف الورى، هناك نحط الرحال، وهناك نلقي عصانا، ألقت عصاها واستقرت بها النوى، هناك نلقي عصانا

ألقت عصاها واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

هناك نقر عيناً عند كهف الورى، وهذه المعاني تبينها لنا الزيارة الجامعة الكبيرة – **مَنْ أَتاكُمْ نَجا، وَمَنْ لم يَأتِكُمْ هَلَكَ، إلَى اللهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ تُسَلمونَ، وَبِأمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَإلى سَبيلِهِ تُرْشِدُونَ، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ، سَعَدَ مَنْ والاكُمْ** – الذي يدخل إلى الكهف ماذا ينال؟ النتيجة ما هي؟ نحن جئنا فراراً من عواصف وقواصف وزلازل ورعود – **سَعَدَ مَنْ والاكُمْ، وَهَلَكَ مَنْ عاداكُمْ، وَخابَ مَنْ جَحَدَكُمْ، وَضَلَّ مَنْ فارَقَكُمْ، وَفازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ، وَأمِنَ مَنْ لَجَأَ إلَيْكُمْ** – الأمان هنا في هذا الكهف – **وَأمِنَ مَنْ لَجَأ إلَيْكُمْ، وَسَلم مَنْ صَدَّقَكُمْ، وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ، مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالجنَّةُ مَأواهُ، وَمَنْ خالَفَكُمْ فَالنّارُ مَثْواهُ، وَمَنْ جَحَدَكُمْ كافِرٌ، وَمَنْ حارَبَكُمْ مُشْرِكٌ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ في أسْفَلِ دَرْك مِنَ الجحيمِ، أَشْهَدُ اَنَّ هذا سابِقٌ لَكُمْ فيما مَضى** – لمُحَمَّدٍ وعليٍّ وحسنٍ وحسينٍ – **وَجارٍ لَكُمْ فيما بَقِيَ** – لِحُجَّةٍ، لإمامٍ، لإمام زماننا، للحجة بن الحسن العسكري – **أَشْهَدُ اَنَّ هذا سابِقٌ لَكُمْ فيما مَضى، وَجارٍ لَكُمْ فيما بَقِيَ** – صلوات الله وسلامه عليكم ما أشرقت شمسُ وما بزغ قمر، صلوات الله وسلامه عليكم ما علا في صدري شهيقٌ أو زفير، صلوات الله عليكم تترا وتزيد آل مُحَمَّد – **وَذَوِي النُّهى، وَأُولِي الحجى، وَكَهْفِ الْوَرى، وَوَرَثَةِ الأنْبِياءِ** – العبارات يتصل بعضها بالبعض الآخر – **وَكَهْفِ الْوَرى، وَوَرَثَةِ الأنْبِياءِ** – أمرُ مروراً بحسب ما يسنح به الوقت على مجموعةٍ من كلمات وأحاديث أهل البيت.

وهذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الأنوار، الرواية: **عن محمد بن زياد عن ابن محرز عن**

الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى عَلَّمَ آدم أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم وهم أرواح – تجلت لهم الحقائق – **إن الله تبارك وتعالى عَلَّمَ آدم أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنكم أحق بالخلافة في الأرض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال الله تبارك وتعالى: يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلمَّا أنبأهم بأسمائهم وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله في أرضهِ وحججهُ على بريتهِ ثم غَيَّبهم عن أبصارهم** – غَيَّبَ الحقائق الأولى عن أبصار الملائكة، فأبصار الملائكة لا يمكن أن تحيط بهم، هذا كان تجلي من تجلياتهم – **ثم غَيَّبهم عن أبصارهم وأستعبدهم** – استعبد الملائكة – **بولايتهم ومحبتهم وقال لهم: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون** – تجلت لهم الحقائق ثم غُيِّبت عنهم، فالملائكة لا يستطيعون أن يحيطوا بتلكم الحقائق – **ثم غَيَّبهم عن أبصارهم وأستعبدهم بولايتهم ومحبتهم** – هذه الرواية وغيرها من الروايات ومن الأحاديث تحدثنا عن أي مضمون؟

عن مضمون كهف الورى، أنهم الكهف، المكان، الجهة التي يلجأ إليها كل الورى كل الخلق، الرواية هنا تحدثت عن الملائكة وهم أكثر خلق الله، الروايات تقول: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، فكل هؤلاء الملائكة لجأوا إليهم لذلك استعبدهم الله بولايتهم ومحبتهم، حين استعبدوا بالولاية والمحبة المستعبدون إلى أين يتجهون؟ يتجهون إلى الجهة التي استعبدتهم واستعبدوا لأجلها واستعبدوا فيها، فهم يلجئون إلى ذلك الكهف الواسع إلى كهف الورى.

الرواية: **عن ابي الصباح الكناني عن جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام قال: أتى رجلٌ أمير المؤمنين وهو في مسجد الكوفة قد احتبى بسيفهِ** – احتبى يعني جلس جلسة الاحتباء، كيف احتبى بسيفهِ؟ يعني أقام رجليه، أقام ركبتيه وأحاطهما بسيفهِ، هذه التي يقال لها جلسة الاحتباء – **أتى رجلٌ أمير المؤمنين وهو في مسجد الكوفة قد احتبى بسيفهِ قال: يا أمير المؤمنين إن في القرآن آيةً قد أفسدت قلبي وشككتني في ديني، قال له عليه السلام: وما هي؟ قال: قولهُ عزَّ وجلَّ:** ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ – وأسأل الخطاب لِمَن؟ للنبي هذه الآية هي الخامسة والأربعون في سورة الزخرف، الآيات التي قبلها ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ فتأتي الآية الخامسة والأربعون ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ هذا السائل ما هو سؤالهُ؟ – **هل كان في ذلك الزمان** – يعني في زمان النبي – **هل كان في ذلك الزمان غيرهُ نبياً يسألهُ؟** – كيف القرآن

يخاطبهُ، يخاطب النبي ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ الآية تقول له أسأل، لابد أن يكون الأنبياء موجودين حتى يسألهم، فلذلك هذا السائل يقول: هذه الآية حيرتني – ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ **هل كان في ذلك الزمان غيرهُ نبياً يسألهُ؟ فقال له صلوات الله وسلامه عليه: أجلس** – الإمام هنا يبين وجهاً من الوجوه وإلا الآية فيها أفاق عديدة.

من جملة أفاق هذه الآية الرؤية الإحاطية التي تحدثنا عنها سابقاً ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ الرؤية الإحاطية، الشهادة المطلقة، أليس هو الشاهد على كل الناس، الشاهد على كل الوجود، شاهد يرى في نفس اللحظة، نحن والرواية – **فقال له عليٌّ صلوات الله عليه: أجلس أخبرك إن شاء الله، إن الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابهِ:** ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المسْجِدِ الحرَامِ إِلَى المسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ **فكان من آيات الله عزَّ وجلَّ التي أراها مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله أنه أتاه جبرئيل فاحتمله من مكة فوافى به بيت المقدس في ساعةٍ من الليل، ثم أتاه بالبراق فرفعهُ إلى السماء ثم إلى البيت المعمور فتوضأ جبرئيل وتوضأ النبي كوضوئه وأذن جبرئيل وأقام مثنى مثنى** – أقام مثنى مثنى يعني قال حيَّ على الصلاة حيَّ على الصلاة لا كإقامة المخالفين واحدة واحدة – **وأقام مثنى مثنى وقال للنبي صلى الله عليه وآله تقدم فصلي واجهر بصلاتك فإن خلفك أفقاً من الملائكة** – أفقاً يعني أمماً من الملائكة – **إن خلفك أفقاً من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله وفي الصف الأول أبوك آدم ونوح وهود وإبراهيم وموسى وكل نبيٍ أرسلهُ الله مُذ خلق السماوات والأرض إلى أن بعثك يا مُحَمَّد، فتقدم النبي صلى الله عليه وآله فصلى بهم غير هائبٍ ولا محتشم ركعتين فلمَّا انصرف من صلاتهِ أوحى الله إليه أسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا، فالتفت إليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال بِما تشهدون؟**

قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله وأن عليّاً أمير المؤمنين ووصيك وكلُ نبيٍ مات وخَلَّفَ وصياً من عصبتهِ غير هذا وأشار إلى عيسى بن مريم فإنه لا عصبة له وكان وصيه شمعون الصفا، ونشهد أنك رسول الله سيد النبيين وأن عليَّ بن أبي طالب سيد الوصيين أُخِذت على ذلك مواثيقنا لكما بالشهادة، فقال الرجل: أحييت قلبي وفرجت عني يا أمير المؤمنين.

كل هذه الروايات تتحدث عن هذه الحقيقة عن حقيقة أنهم المرجع وأنهم الكهف الذي تؤول إليه الخلائق يؤول إليه الأنبياء، فقط أقرأ هذا المقطع لتأكيد المعنى الذي جاء فيه – **فقال: بما تشهدون؟ قالوا: نشهد**

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّك رسول الله وأنَّ عليّاً أمير المؤمنين ووصيك وكل نبيٍ مات خَلَّفَ وصياً – يشهدون بهذه الحقيقة – **وكل نبيٍ مات خَلَّفَ وصياً من عصبتهِ** – يعني من أسرتهِ من آلهِ – **غير هذا** – غير هذا النبي، من هو؟ – **وأشاروا إلى عيسى بن مريم فإنه لا عصبة له وكان وصيهُ شمعون الصفا** – إلى آخر الرواية التي قرأتها على أسماعكم.

هناك حديثٌ منقولٌ عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه وهو يحدث عن آبائهِ عن رسول الله – **قال: قال صلى الله عليه وآله: يا عباد الله إن آدم لَمَّا رأى النور ساطعاً من صُلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهرهِ رأى النور ولم يتبين الأشباح** – وإنما القلوب أوعية، وكل قلبٍ يأخذ بمقدار وعائيتهِ – **فقال: يا ربي ما هذه الأنوار؟ قال الله عزَّ وجلَّ: أنوار أشباحٍ نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاءً لتلك الأشباح، فقال آدم: يا ربي لو بينتها لي، فقال الله تعالى: أنظر يا آدم إلى ذروة العرش فنظر آدم عليه السلام ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فانطبع فيه صور أشباحنا كما ينطبع وجه الإنسان في المرأة الصافية فرأى أشباحنا، فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟**

فقال: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وبرياتي هذا مُحَمَّدٌ وأنا الحميد المحمود في أفعالي شققت له أسماً من أسمي وهذا عليٌّ وأنا العلي العظيم شققت له أسماً من أسمي – شققت يعني تجليت فيه، هذه عبائر تقريبية – **وهذا عليٌّ وأنا العلي العظيم شققت له أسماً من أسمي وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرضين فاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عَمَّا يعتريهم ويشينهم فشققت لها أسماً من أسمي وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل شققت لهما أسماً من أسمي هؤلاء خيار خليقتي وكِرام بريتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب** – هم الميزان وذوي النهي وأولي الحجى وكهف الورى، هؤلاء هم – **هؤلاء خيار خليقتي وكِرام بريتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب فتوسل إليَّ بهم يا آدم وإذا دهتك داهيةٌ فاجعلهم إليَّ شفعائك فإني آليتُ على نفسي قسماً حقاً لا أُخَيِّبُ بهم آمِلاً ولا أرد بهم سائلاً، فلذلك حين زلت منه الخطيئة** – من آدم – **دعا الله عزَّ وجلَّ بهم فتاب عليه وغفر له** – والمعاني في هذه القضية مبسوطة في روايات وأحاديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

حديثٌ آخر، حديث جميل وهذا الحديث منقولٌ في كتب العامة قبل أن يُنقل في كتب الخاصة، ومنقول بأسانيد من أسانيد المخالفين قبل أن يكون هذا الحديث موجوداً في كتبنا، الرواية: **عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لمَّا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يُهلك قوم نوح أوحى إليّ أن شُقَّ ألواح**

الساج – يعني خشب الساج – **فلمَّا شقها لم يدري ما يصنع بها فهبط جبرئيل فأراهُ هيئة السفينة ومعه تابوت** – تابوت يعني صندوق – **فيهِ مئة ألف مسمار وتسعة وعشرون ألف مسمار فَسَمَّر بالمسامير كلها السفينة إلى أن بقيت خمسة مسامير** – هذه المسامير الخمسة لها خصوصية – **فضرب بيدهِ إلى مسمارٍ منها فأشرق في يدهِ وأضاء كما يضيء الكوكب الدري في أفق السماء فتحير من ذلك نوح فأنطق الله ذلك المسمار بلسانٍ طَلِقٍ ذَلِق، فقال له: يا جبرئيل ما هذا المسمار الذي ما رأيت مثله؟ قال: هذا باسم خير الأولين والآخرين مُحَمَّد بن عبد الله أسمرهُ في أولها على جانب السفينة اليمين** – هذه المسامير هي التي كانت سبب نجاة السفينة، مسامير هذه مكتوبة مرموزة بأسمائهم صلوات الله عليهم – **أسمرهُ في أولها على جانب السفينة اليمين، ثم ضرب بيدهِ على مسمارٍ ثانٍ فأشرق وأنار فقال نوح وما هذا المسمار؟**

فقال مسمار أخيه وابن عمه علي بن أبي طالب فأسمرهُ على جانب السفينة اليسار في أولها، ثم ضرب بيدهِ إلى مسمارٍ ثالث فأزهر وأشرق وأنار فقال: هذا مسمار فاطمة فأسمرهُ إلى جانب مسمار أبيها، ثم ضرب بيدهِ إلى مسمارٍ رابع فزهرَ وأنار فقال هذا مسمار الحسن فأسمرهُ إلى جانب مسمار أبيه، ثم ضرب بيدهِ إلى مسمارٍ خامس فأشرق وأنار وبكى فقال: يا جبرئيل ما هذه النداوة – في مصادر أخرى هذه النداوة كما قالت الروايات كانت في لونٍ كلون الدم، لَمَّا أخذ المسمار الخامس وطرقهُ خرجت منه نداوة، خرج منه سائل أحمر – **فقال يا جبرئيل ما هذه النداوة** – في هذه الرواية ما ذُكِر هذا الكلام لكن في روايات أخرى ذُكِر – **فقال: هذا مسمار الحسين بن علي سيد الشهداء فأسمرهُ إلى جانب مسمار أخيه** – انتبهوا إلى حالة نوحٍ عليه السلام – **ثم ضرب بيدهِ إلى مسمارٍ خامس فأشرق وأنار وبكى** – فانكسر قلبهُ كما في روايات أخرى، فانكسر قلبهُ وخرجت من المسمار نداوة كأنها الدم – **ثم ضرب بيدهِ إلى مسمارٍ خامس فأشرق وأنار وبكى فقال يا جبرئيل ما هذه النداوة؟ فقال: هذا مسمار الحسين بن علي سيد الشهداء فأسمرهُ إلى جانب مسمار أخيه، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله:** ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ **قال النبي صلى الله عليه وآله: الألواح خشب السفينة ونحن الدُسُر** – الدُسُر يعني المسامير، هذه المسامير الخمسة – **ونحن الدُسُر ولولانا ما سارت السفينة بأهلها** – هذا قول المصطفى الأعظم، هم سفينة نوح، هم كهف الورى، هم ملاذ الأنبياء وملاذ الخلق، هذه العبارات تكاد أن تتوحد في مضامينها تكاد أن تتفق – **وَذَوِى النُّهى، وَأُولِى الحِجَى، وَكَهْفِ الْوَرى، وَوَرَثَةِ الأَنْبياءِ** – وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ: تعطي معنى الوراثة ولكن بأي معنى؟ هناك أكثر من معنى في هذا المصطلح أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم ورثة الأنبياء، هم ورثة الأنبياء بالمعنى النَسَبَي فهم ورثة مُحَمَّد

صلى الله عليه وآله، هم ورثتهُ بالمعنى النسبي والحسبي، وهم ورثة الأنبياء في أجدادهم، هم ورثة إبراهيم، هم ورثة إسماعيل، هم ورثة عبد المطلب، هم ورثة أبي طالب، وكل الأنبياء في سلالة أجدادهم صلوات الله عليهم، هم ورثة الأنبياء، هم ورثة مُحَمَّدٍ وكفى، هم وَرَّاثٌ لِمُحَمَّدٍ من الجهة النَسَبية والحسبية، وهم وُرَّاثٌ لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله بالميراث الإلهي بميراث النبوات، وهم ورثة الأنبياء، وهناك من الأنبياء منهم في أجدادهم وتلك وراثة نسبية، وهم ورثة الأنبياء بالميراث النوري بالميراث الإلهي.

حين نقرأ في زيارة وارث وهذا المعنى يتكرر في زيارات سيد الأوصياء في زيارات سيد الشهداء في زيارات الأئمة: **السَّلامُ عليكَ يا وراثَ آدم صفوة الله، السَّلامُ عليك يا وارث نوحٍ نبي الله، السَّلامُ عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السَّلامُ عليك يا وارث موسى كليم الله، السَّلامُ عليك يا وارث عيسى روح الله، السَّلامُ عليك يا وارث مُحَمَّدٍ حبيب الله، السَّلامُ عليكَ يا وارث أمير المؤمنين ولي الله،** هذه الوراثة وراثة الأنبياء، هناك أفق من هذه الوراثة وهي الوراثة النسبية، وهناك أفق آخر من هذه الوراثة وهي الوراثة النبوية الوراثة الإلهية، ما عند الأنبياء من نبوات من علوم من حكمة من كتاب فهو في مواريث النبوة ودلائل الإمامة، هناك وراثة نسبية كوراثتهم لإبراهيم، هناك وراثة نبوية كوراثتهم لمواريث النبوة ودلائل الإمامة وانتقال المعجزات والولايات والكتب وكل ما كان عند الأنبياء فإنه ينتقل إليهم، وفي الحقيقة هم أصحابهُ الحقيقيون، وهم أصحاب الوراثة الكاملة.

حينما نذهب إلى الكتاب الكريم ونقرأ مثلاً في سورة الحجر في الآية الثالثة والعشرين، هذه قبل الثالثة والعشرين ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**﴾ هذه وراثة مطلقة ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**﴾ وهم مجالي أسماء الله سبحانه وتعالى، هم مجالي الأسماء الإلهية، مجالي الصفات الإلهية ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**﴾ أصلاً الوارث هنا صيغة فاعل، صحيح في أصل اللغة هو أنه هو الذي ينتقل إليه الميراث، ولكن يمكن بعنايةٍ أن يكون هو الذي يعطي الميراث، صحيح أن الميت في اللغة هو المورِّث والوارث هو الذي ينتقل إليه الميراث، فهم ورثة الأنبياء ينتقل إليهم الميراث باللحاظ النسبي وباللحاظ الثاني وهو انتقال النبوات مواريث النبوة ودلائل الإمامة إليهم، وكل ما كان عند الأنبياء فهو عندهم، من الكتب والحقائق والعلائم والدلائل، ولكن لهم وراثةٌ بمعنى أعم حين يكون الوراث بمعنى المالك ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**﴾ الوارثون هنا المالكون، والوارثون هنا صفةٌ لله سبحانه وتعالى، لكن هذه الصفة أين تتجلى؟ تتجلى في وجهه الذي لا يهلك، أما مرَّ علينا قبل قليل ونحن نقرأ في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم هم

الوجه الذي لا يهلك، مرَّ علينا قبل قليل في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الله سبحانه وتعالى يخاطبهم – **فكل شيءٌ هالكٌ إلا وجهي وأنتم وجهي لا تبيدون ولا تهلكون** – أليس هو هذا المعنى ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الوجه الذي لا يهلك، الوجه الذي لا يبيد هو الوجه الوارث، ولذا جاءت هنا بصيغة الجمع المذكر السالم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ هم مجالي ومظاهر الصفات الإلهية، طبعاً هنا قد يأتي من يستكثر هذا المعنى، لكن هذا المعنى لا يُستكثر على الملائكة الذين هم في الروايات خُدامهم وخدام شيعتهم هكذا ورد في الروايات، الملائكة الذين استعبدهم الله كما مرَّ علينا في الروايات، الملائكة هم الذين يقومون بدور الإماتة وكذلك بدور الإحياء، لو أن ميتاً أرادوا إحيائه الملائكة يقومون بإحيائه، هذا الدور حين يُنسب إلى الملائكة لا يُستكثر عليهم لكن إذا نُسب إلى أهل البيت يُستكثر عليهم، أهل البيت مجالي الصفات الإلهية – **فكل شيءٌ هالكٌ إلا وجهي وأنتم وجهي لا تبيدون ولا تهلكون** – الوارث هو المالك، قطعاً نحن نتحدث هنا في الأفق الأعمق لأهل البيت، في الأفق الذي تحدثت عنه الروايات فقالت أول ما خلق الله خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة، نحن نتحدث في هذا الأفق لا نتحدث في الأفق البشري الأرضي ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ أهل البيت مظاهر ومجالي لذلك الأفق، هم ورثة الأنبياء من الجهة النسبية والحسبية، من الجهة النبوية وأيضاً هم مجلى من مجالي هذه الوراثة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾.

إذا نذهب إلى سورة القصص والآية الخامسة ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ هذا مصداق آخر من مصاديق الوراثة ولكن هذه الوراثة التي تشتمل على كل مراتب الوراثة التي أشرت إليها، الوراثة النسبية والحسبية لبعض من الأنبياء، الوراثة النبوية لكل الأنبياء، والوراثة التي هي بمعنى المالكية التي أشارت إليها هذه الآية الثالثة والعشرون في سورة الحِجر ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ هذا مجلى من مجاليها الواضحة ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ وفي نفس سورة القصص الآية الثامنة والخمسون ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ هذه مظاهر لنفس المعنى الذي مرَّ في الآية الثالثة والعشرين من سورة الحجر.

وكذلك في سورة المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى أن تقول الآيات ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ هنا نكتة مفيدة ومهمة جداً حسب ما جاء في روايات أهل البيت ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ في صلاتهم يعني في ولايتهم لعليّ، لأننا إذا نستمر ستأتينا بعد ذلك الآية التاسعة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ هذه الصلوات هي الصلوات المفروضة، أما في أول السورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ كما قال سيد الأوصياء: **أنا صلاة المؤمنين وصيامهم**.

نحن حين نقرأ في زيارة الندبة التي نزور بها إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه ماذا نخاطبهُ؟ **السلام عليكم أنتم نورنا** – هذا الخطاب في زيارة الندبة، هذا هو الجزء الثاني بعد المئة من البحار – **السَّلام عليكم أنتم نورنا وأنتم جاهنا وأوقات صلواتنا، وعصمتنا بكم لدعائنا وصلاتنا وصيامنا واستغفارنا وسائر أعمالنا** – وأنتم جاهنا وأوقات صلواتنا: هم صلواتنا وهم أوقات صلواتنا وهم كذلك عصمتنا لدعائنا وصلاتنا وصيامنا هذه مظاهر، مرةً يكون التجلي أنهم أوقات صلاتنا، ومرةً يكون التجلي أنهم عصمةٌ لصلاتنا – **وعصمتنا بكم لدعائنا وصلاتنا وصيامنا** – ومرةً يكونون هم هُم هم بأنفسهم يكونون صلاةً لنا، والصلاة في عمقها هي ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، المعاني متعانقة ومتسقة ومستوسقة ما بين الآيات ما بين الروايات ما بين الزيارات ما بين الكتاب والعترة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ونستمر في الآيات ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الآية العاشرة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ قطعاً أهل البيت هم أصحاب الوراثة الحقيقية وإنما المؤمنون هنا أشياع أهل البيت هم ورَّاثٌ بالتفرع ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذه الوراثة كما قرأنا قبل قليل قرأنا في الروايات في الأحاديث من أن الذي يُدخل أهل الجنان في جنانهم من هو؟ الذي يُدخل أهل الجنان في جنانهم هو عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه، وهو والله يُدخل أهل النارِ النار، وهو الذي يُغلق على أهل الجنة إذا دخلوا فيها أبوابها، ويغلق على أهل النار إذا دخلوا فيها أبوابها، لأن أبواب الجنة إليه وأبواب النار إليه، فماذا تقول الرواية أيضاً – **بعث الله تبارك وتعالى عليًّا فأنزلهم** – يعني أنزل أهل الجنان في جنانهم وأنزل أهل النيران في نيرانهم – **فأنزلهم منازلهم في الجنة وزوجهم فعليٌّ والله الذي يزوج أهل الجنة في الجنة** – يعني أهل الجنة لا يتزوجون إلا بولايةٍ من عليّ، هي هذه الولاية المُطلقة، هو يُدخل أهل الجنان

في جنانهم، وروايات أخرى ثم يغلق الأبواب عليهم ويقول ينادي خلودٌ خلود، يعني أن الأمر بالخلود يصدر أيضاً من هذه الجهة، ويُدخل أهل النيران في نيرانهم وحين يُغلق الأبواب عليهم ينادي خلودٌ خلود يا أهل النيران، الوراثة الحقيقية هنا، هذه وراثة متفرعة عن تلكم الوراثة الحقيقية، ولذلك عندنا في الروايات وحتى في الأدعية إن الله سبحانه وتعالى خلق الجنة لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وخلق النار لأعداء مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، الروايات هكذا موجودة في كتبنا الحديثية في الأصول الأربعة، إن الله خلق الجنة لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وأشياعهم شيعتهم، وخلق النار لأعداء مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، روايات واضحة وصريحة عن النبي وآل النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وهو نفس المضمون الذي جاء في سورة الشعراء في دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ والروايات تحدثنا في معنى هذه الآية وإن من شيعتهِ من شيعة عليٍّ لإبراهيم، هنا في دعائه ماذا يقول؟ – **وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ** – في سورة الشعراء ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ الآية الخامسة والثمانون ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ هذه الوراثة هي وراثة متفرعة عن وراثة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله لأنه ما من نبيٍ في يوم القيامة إلا وهو محتاجٌ لشفاعة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فهم يرثون الجنان بشفاعة مُحَمَّد، يرثون الجنان بوراثةٍ بمالكيةٍ من مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، بقيت بقيةٌ للحديث إن شاء الله تعالى أتمها في الحلقة القادمة، وقت البرنامج انتهى ومرَّ شطرٌ من الوقت زيادة على وقت البرنامج، أكمل الحديث في معنى ورثة الأنبياء إن شاء الله في الحلقة القادمة وفي الحلقة القادمة سيتم الحديث في المقطع الثاني من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة إذ بقيت عندنا بقية: **وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ، وَالمثَلِ الأَعْلى، وَالدَّعْوَةِ الحسْنى، وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.**

أحاول إن شاء الله تعالى في الحلقة القادمة أن ألملم أطراف الحديث فيما بقي من المقطع الثاني عَلَّنا نستطيع أن نأخذ أكثر مقدار من عبارات ومن معاني الزيارة الجامعة الكبيرة في أيام هذا الشهر المبارك، بهذا القدر أكتفي أسألكم الدعاء جميعاً ونلتقي إن شاء الله على مودّة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في أمان الله.

الحلقة الثامنة عشر

معنى وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ وَالمَثَلِ الأَعْلى وَالدَّعْوَةِ الحُسْنى وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأُولى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ

السلام عليكم جميعاً أحباب عليٍّ وآل عليّ ورحمة الله وبركاته، هذه الحلقة الثامنة بعد العاشرة من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، بقيت عندنا بقيةٌ من الحديث الذي تقدم في الحلقة الماضية، نحن لا زلنا في أجواء المقطع الثاني من المقاطع الخمسة الأُوَل التي تُفتتح بها الزيارة الجامعة الكبيرة والتي قلتُ بأنها تُمَثِّلُ القواعد والأصول التي تتفرع منها سائرُ المطالب وسائرُ المعاني التي جاءت مذكورةً في بقية هذه الزيارة.

المقطعُ الثاني: **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى، وَذَوِي النُّهى، وَأُولِي الحِجَى، وَكَهْفِ الْوَرى،** تقريباً إلى هنا تقدَّمَ الكلامُ في الحَلقات الماضية، ثُم تقول الزيارة: **وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ** – وقد تحدثت بعض شيءٍ عن هذا العنوان وبقيت بقيةٌ أحاول أن أشير إليها في هذه الحلقة وأستمر مع بقية المقطع – **وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ، وَالمَثَلِ الأَعْلى، وَالدَّعْوَةِ الحُسْنى، وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** – وورثة الأنبياء تقدم الكلامُ في أن هذه الوراثة في أُفقٍ من أفاقها هي وراثةٌ نَسَبية، هي وراثة اللُحمة، وراثة الرحم، فهم آل مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم هم اسمهم آلُ مُحَمَّد هم ورثة مُحَمَّد هم يرثون مُحَمَّداً وراثةً نَسَبيةً لُحميةً رحميةً، وهو سيد الأنبياء وأشرف الأنبياء بل هو سيد الكائنات صلى الله عليه وآله وسلم، وهم أيضاً فيما بينهم وبين الأنبياء الذين كانوا في سلسلة أجدادهم ففي ما بينهم وبين أجدادهم وراثةٌ رحميةٌ نَسَبيةٌ وهذا هو أفقٌ من أفاق وراثتهم للأنبياء، الوراثة النَسَبية، الوراثة الرحمية، جدهم سيد الأنبياء أشرف الأنبياء وجدهم هو مَجْمَعُ الأنبياء، جدهم هو الكتاب الجامع لكل النبوات، وكتابهُ هو الكتاب المُهيمنُ على كل كتب النبوات، ورسالتهُ هي الرسالة المهيمنة على كل الرسالات، فجدهم هو مَجْمع النبوات ومجمع الأنبياء والرسل وهو سيدهم، وراثتهم لِمُحَمَّدٍ الوراثة النَسَبية هي وراثة لأشرف النبوات لأشرف الرسالات، ومع ذلك ففي أجدداهم من الأنبياء الطاهرين وهم يُمَثّلون قِسماً قطعاً من كل أنبياء الأرض، أجدادهم أنبياء يُمثّلون قسماً هم ورثتهم وراثة نسبية، هذا المعنى الأول من الوراثة، المعنى الثاني وهو الوراثة الإلهية والذي تمت الإشارة إليه على سبيل المثال في زيارة وارث الحسينية حين نزور سيد الشهداء

بزيارة وارث، وفي غير زيارة وارث، وكذلك في زيارات أمير المؤمنين وفي زيارات سائر الأئمة، هناك تصريحٌ، هناك كلامٌ عن وراثتهم للأنبياء والمُرسلين، هذه الوراثة المذكورة هنا هي وراثة إلهية، هذه وراثة النبوات، وهناك معنىً آخر للوراثة وهي المالكية، هم الوارثون هم المالكون، هم الوارثون للنبوات يعني الذين لهم الولاية ولهم الحاكمية على سائر الديانات المتقدمة على سائر النبوات المتقدمة، فهم حاكميتهم وولايتهم متفرعة من حاكمية مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ومن ولاية مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وإلى هذا يشير المعنى أن عيسى عليه السلام وهو نبيٌ ورسول ومن أولي العزم يكون تابعاً ومُشايعاً لإمام زماننا، والنصوص واضحة في أنه يُصلي خلفه وما الصلاة خلف إمام زماننا إلا رمز، القضية ليست كل القضية في مسألة الصلاة، ما الصلاة هنا خلف إمامنا إلا رمز، إنها رمز الإتباع رمز التشيع لإمام زماننا ورمز الطاعة والتسليم له، فهم لهم الحاكمية، إمامنا صلوات الله وسلامه عليه يرث الأنبياء بالوراثة النَسَبية ويرث الأنبياء الوراثة الإلهية وراثة النبوات، وهناك وراثة ثالثة وهي المالكية وهي الولاية له الولاية على سائر الديانات، له الولاية على سائر الرسالات، له الولاية على الأنبياء والمرسلين، وما بُعث نبيٌ من الأنبياء، ما نُبئ نبيٌ من الأنبياء، ما أرسل رسولٌ من الرسل إلا بولاية مُحَمَّدٍ وعليٍّ والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين وتلك هي معاني التابعية وتلك هي معاني التشيع.

في الآية الثالثة والعشرين من سورة الحجر: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ نحن الوارثون نحن المالكون نحن أصحاب الولاية ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ في آيات الكتاب الكريم هناك تأتي النسبةُ في الأفعال في بعض الأحيان إلى الله سبحانه وتعالى، وفي بعض الأحيان إلى خلقه، فكما تُنسب الإماتةُ إلى الله تُنسب كذلك الإماتةُ إلى مَلَك الموت، الله يتوفى الأنفس وملك الموت يتوفى الأنفس أيضاً، حينما نتدبر هذا المعنى وحينما نتبصر في هذه المضامين فذلك يعني أن مَلَك الموت الله سبحانه وتعالى قد وضع فيه هذه القدرة، قد أعطاه هذه الولاية بنحوٍ يشابه ما أعطانا من ولاية ومن قدرةٍ على التصرف في هذه الحياة، الله سبحانه وتعالى أعطانا قدرةً وولايةً لأن ننام لأن نستيقظ لأن نعمل لأن نفكر لأن نحرّك أيدينا أرجلنا لأن نلتفت يميناً شمالاً كل هذه الأمور نحن نفعلها بولايةٍ أعطيت لنا من الله ولا يوجد هناك من دعاء ندعو الله سبحانه وتعالى حينما نريد أن نحرك أيدينا فندعو الله حتى يعطينا القوة لتحريك أيدينا، أساساً الله سبحانه وتعالى قد أعطانا هذه القوة وأعطانا هذه الولاية، مَلَك الموت أيضاً الله سبحانه وتعالى أعطاه هذه القدرة على الإماتة وحتى على الإحياء، أعطاه القدرة على الإماتة وعلى الإحياء فبإمكانهِ أن يسلب الأرواح وبإمكانهِ أن يرد الأرواح، هذا الإعطاء لملك الموت لعزرائيل عليه السلام كإعطائنا القوة في التصرف في أمور حياتنا، فهو أعطاه هذه القدرة، فنسبة الإحياء والإماتة إليه كنسبة

تصرفاتنا في أمورنا وفي أفعالنا، وهذا المعنى من نسبة الإحياء والإماتة إلى ملك الموت إنما جاء متفرعاً عن معنى الولاية الكلية التي نعتقد بها والإمامة الكلية، فالروايات تحدثنا عن أن الملائكة إنما هم عاملون تحت إمرة إمام الكون وتحت إمرة قلب عالم الإمكان وهو الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، لا بعنوان الإمامة الأرضية لتسيير أمور الناس إن كان في الجانب الديني أو الدنيوي، القضية أبعد من هذا وأوسع وأعمق، وهذه الجموع المتكاثرة من النصوص التي تحدثنا عما وراء العالم الأرضي كلها تشير إلى هذه الحقيقة، نحن نملك في كتب الحديث كميات هائلة من النصوص من الروايات عن النبي وعن الأئمة تحدثنا عن عالم ما وراء العالم الأرضي، كلها تشير إلى هذه الحقيقة، تُشير إلى العالم الأوسع، إلى العالم الفسيح وإلى الإمامة الكُلية المبسوطة على جميع ذرات هذا الوجود.

الآية في هذه الأجواء ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ**﴾ من الذي يقوم بعملية الإحياء والإماتة؟ الآيات: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾ الروايات ماذا تحدِّثنا؟ هناك ملائكة موكلون بالرياح ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾ وهناك ملائكة موكلون بالأمطار، هذه المعاني واضحة في الروايات ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ**﴾ أيضاً الحديث عن إحياء وإماتة أيضاً الأمر راجع إلى الملائكة ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾ الملائكة يقومون بهذا الأمر ﴿**فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾ الملائكة يقومون بهذا الأمر ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ**﴾ أيضاً الملائكة يقومون بهذا الأمر ﴿**وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**﴾ وهناك جهة لها الوراثة لها المالكية لها السلطة.

قطعاً الوراثة الحقيقية والمالكية الحقيقية هي له سبحانه وتعالى، الملك لمن؟ المُلك لله الواحد القهار، لا يوجد هناك من ينافسهُ في مُلكهِ سبحانه وتعالى، هذه القضية بديهية وواضحة ولا أحتاج إلى التأكيد عليها، الحديث إنما هو في الوراثة في المالكية التي جعلها الله سبحانه وتعالى في خُلّص أوليائهِ في أقرب المخلوقات إليه – **اللَّهُمَّ إني أسألُكَ من مُلكِكَ بأفخرهِ** – إذاً هناك مراتب في هذه المالكية – **اللَّهُمَّ إني أسألُكَ من مُلكِكَ بأفخرهِ وكُلُّ مُلكِكَ فاخر** – هذه المالكية هذه الوراثة الله سبحانه وتعالى آتى آل إبراهيم مُلكاً عظيما، وآل إبراهيم كما تقدم عندنا هو مصطلح خاص بآل مُحَمَّد والعنوان هنا ليس عنواناً نسبياً أو قبائلياً أو أُسرياً هذا مصطلحٌ قرآني خاصٌ بآل مُحَمَّد، الملك العظيم خاصٌ بهم، هم الوارثون ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**﴾ الملك العظيم الذي جاء مذكوراً في القرآن العظيم الذي آتاه الله آل إبراهيم هو طاعة المخلوقات، الطاعة كما ورد التعبير في روايات أهل البيت الطاعة الإمامة هو هذا الملك العظيم وتحت

هذا القيد تحت قيد الطاعة يدخل ملك الموت وسائر الملائكة وهناك أبوابٌ في كتب الحديث يحدثنا فيها أئمتنا صلوات الله عليهم عن طاعة الملائكة وعن خدمة الملائكة لهم صلوات الله عليهم، وأن الله استعبد ملائكته طُراً بولاية أهل البيت ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ هذه صيغة الوارثون الموجودة هنا تتناسق مع صيغة العالون الخالدون العالِمون الصادقون المُطهّرون هذه الصيغة تتناسق وتتفق مع كل تلك الأوصاف وقد تحدثت في مناسباتٍ سابقة عن مثل هذا المضمون ولا أريد أن أعيد الكلام في هذا المطلب ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ الإحياء والإماتة منسوبة إلى الملائكة، ونحن الوارثون وهناك جهة مالكة لها الوراثة هذه الوراثة بمعنى المالكية.

هو الذي له الملك، الله سبحانه وتعالى هو الوارث لكن هذه المالكية وهذه الوراثة الله سبحانه وتعالى مثل ما أعطى مَلك الموت القدرة على الإماتة والإحياء ومثل ما أعطى الملائكة القدرة على إرسال الرياح ودفع الرياح وإنزال المطر من السماء الله سبحانه وتعالى أعطى لهذه المجموعة الوارثون أعطاهم القدرة على المالكية، فصارت المالكية والولاية عندهم كما أن قدرة الإحياء والإماتة عند مَلك الموت، كما أني عندي القدرة على أن أتحرك أنام أستيقظ أكل أشرب وهكذا فليست القضية تحتاج إلى دعاء أو تحتاج إلى صلاة الحاجة مثلاً لقضاء الحاجة، مثل ما أعطانا هذه الولاية في حياتنا أعطاهم ولاية أوسع والسبب في ذلك هو حكمتهم، نحن أعطانا ولاية بقدر حكمتنا، حكمتهم واسعة وهي حكمة الله فأعطاهم الولاية الواسعة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ وهذه الوراثة لها مظاهر لها ظهورات تتناسب مع كل عالم بحسبهِ، هنا ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الحديث عن الولاية العامة، الحديث عن الوراثة العامة وهي المالكية.

لكن حين نذهب إلى سورة القصص مثلاً، في الآية الخامسة ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ هذا مظهر من مظاهر الوراثة وهي الحاكمية والإمامة على الأرض ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ هذه هي الآية الثامنة والخمسون أيضاً في سورة القصص ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ هذا أيضاً مظهر آخر من مظاهر الوراثة ومن مظاهر الوارثية، ما مرَّ علينا في سورة الحِجر ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ إشارة إلى مقام الوراثة في أوسع مراتبهِ، وما جاء في الآية الخامسة من سورة القصص

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ هذه مرتبة من مراتب الوراثة وهي مرتبة الحاكمية مرتبة بسط العدل، الإمام صلوات الله وسلامه عليه فهو يبسط القسط والعدل يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وتلك هي الوراثة، الوراثة في العالم الأرضي في حاكمية الناس وهدايتهم وإرشادهم، أما في الآية الثامنة والخمسين من سورة القصص ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ هذا مَظهر آخر من مظاهر الوراثة متفرع عن المقام الأوسع ونحن الوارثون في سورة الحجر، الوراثة على الأرض على السماوات على كل ما خلق الله، لكن في هذه الآية هنا الحديث عن الوراثة ليس الوراثة بمعنى الحاكمية وبمعنى الإمامة الأرضية وإنما هذه وراثة تكوينية وراثة كونية لكنها في عالم الأرض في العالم الأرضي ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ هذه وراثة الإحاطة، هذه وراثة الشهادة، هذه الولاية، ما الوراثة وما الشهادة وما الإحاطة وما الإراءة وما الولاية إلا هي مظاهر ومصاديق للإمامة الكونية للإمامة الكلية للولاية الإلهية الكلية.

أما ما جاء في سورة المؤمنون في الآية العاشرة والتي جاءت في سياق ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى أن تقول الآية التاسعة: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾ الحديث هنا عن مظهر آخر من مظاهر الوراثة المتفرعة عن الوراثة الأصلية، هذه وراثة المؤمنين لمن؟ للفردوس، هذه الوراثة الجنانية وهي مظهر من مظاهر الوراثة المتفرعة عن الوراثة الكلية ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ وفي الروايات المؤمنون الذين جاء ذكرهم في هذه السورة هم الشيعة المُسلِّمون لأهل البيت ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ قد أفلح المُسَلِّمون لأئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولذلك هذا المعنى يتجلى في قصة إبراهيم، في قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء في الآية الخامسة والثمانين وهو يدعو ﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ هذه الوراثة نفس معنى الوراثة التي مرت في سورة المؤمنون، المؤمنون هم الوارثون الذين يرثون الفردوس، والفردوس هي أعلى مراتب الجنان، القمة العالية القمة الشامخة، القمة الشامخة والسامقة في الجنان هي التي عُبِّر عنها بالفردوس ﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ هذه الوراثة كتلك الوراثة التي ذكرتها سورة المؤمنون وأعتقد أنَّ المعاني تتضح وتتجلى أكثر حينما نقرأ في

النصوص في الروايات عن إمام زماننا الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه بعد ظهورِهِ الشريف البيانات الأولى، هذا هو الجزء الثاني والخمسون من بحار الأنوار، البيانات الأولى التي تصدر عن إمام زماننا، من البيانات الأولى هذا البيان يصدر من الإمام كما يرويه لنا أبو خالد الكابلي عن إمامنا الباقر عليه السلام: **والله لكأني أنظر إلى القائم عليه السلام وقد أسند ظهرهُ إلى الحجر** – إلى الحجر الأسود – **ثم يُنشد الله حقه ثم يقول: يا أيها الناس من يُحاجني في الله فأنا أولى بالله، أيها الناس من يُحاجني في آدم فأنا أولى بآدم، أيها الناس من يُحاجني في نوح فأنا أولى بنوح، أيها الناس من يُحاجني في إبراهيم فأنا أولى بإبراهيم، أيها الناس من يُحاجني في موسى فأنا أولى بموسى، أيها الناس من يُحاجني في عيسى فأنا أولى بعيسى، أيها الناس من يُحاجني في مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فأنا أولى بِمُحَمَّد، أيها الناس من يُحاجني في كتاب الله فأنا أولى بكتاب الله.**

هذا هو البيان الأول من البيانات الأولى التي تصدر من إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه في يوم ظهورِهِ الشريف – **من يُحاجني في الله فأنا أولى بالله** – ثم ذكر أسماء الأنبياء وهذه نماذج ذكر أبانا آدم فهو عنوان الخلافة على الأرض ثم ذكر نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، هذه عناوين لأولي العزم لأصحاب الرسالات لأصحاب الديانات لأشرف الأنبياء والمرسلين فهو أولى بهم، هذه الأولوية وهذه الولاية هي وراثة النبوات الوراثة الإلهية فضلاً عن ما بينه وبين بعضهم من وراثة نَسَبية كالعلاقة فيما بينه وبين مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، كالرابطة فيما بينه وبين إبراهيم عليه السلام، لكن بالدرجة الأولى المنظور في هذا الكلام هو الوراثة النبوية الوراثة الإلهية وأيضاً فيها إشارة وفيها دلالة على معنى الوارثية وهي الحاكمية المعنى الثالث للوارثية فهو أولى بآدم وأولى بنوح وحين يصل الكلام هو أولى بمُحَمَّد هو نائبٌ عن مُحَمَّد صلى الله عليه وآله هو وصيه، فولايتهُ وأولويتهُ بمُحَمَّدٍ ولمُحَمَّد هي وصايتهُ هو خاتم أوصياء مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

هناك رواية أخرى لربما فيها شيءٌ من تفصيل أكثر من هذه الرواية، الرواية أيضاً منقولة عن إمامنا الباقر عليه السلام، هذا الخطاب وهذا البيان يصدر بعد حادثة الخسف حين يخسف بجيش السفياني الذي جاء يقصد المدينة المنورة بحثاً عن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، فيُخسف بهذا الجيش في البيداء وهذه القضية مذكورة بشكل واضح وصريح في الكثير من رواياتنا، إمامنا الباقر يقول صلوات الله عليه: **إذا خسف بجيش السفياني** – إلى أن قال: – **والقائم يومئذٍ بمكة عند الكعبة مستجيراً بها يقول أنا وليُّ الله أولى بالله وبِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله فمن حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم ومن حاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح ومن حاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم ومن حاجني في مُحَمَّد فأنا أولى**

الناس بِمُحَمَّد ومن حاجني في النبيين – في كل النبيين – **فأنا أولى الناس بالنبيين إن الله تعالى يقول:** ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ **فأنا بقية آدم وخَيَرة نوح ومُصطفى إبراهيم وصِفوة مُحَمَّد ألا ومن حاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله ألا ومن حاجني في سُنة رسول الله فأنا أولى الناس بسنة رسول الله وسيرتهِ وأُنشِدُ الله من سَمِع كلامي لَمَّا يبلغ الشاهد الغائب** – هذا البيان فيه الحديث بالتصريح عن كل النبيين، فهنا الولاية والعلاقة والرابطة مع كل النبيين بنفس المعنى الذي بينتهُ قبل قليل.

هناك بيان لا علقة له بما نحن فيه بشكل مباشر لكن من المفيد أن أورد ما جاء في هذا البيان، هذا البيان الإمام صلوات الله وسلامه عليه حين يُرسل أحد أصحابهِ إلى أهل مكة إلى المسجد الحرام قبل خروجهِ بأيام قلائل فينقل لهم بيان الإمام وكلمة الإمام، فماذا جاء في هذا البيان؟ – **فيدعو رجلاً من أصحابهِ** – الإمام صلوات الله عليه – **فيدعو رجلاً من أصحابهِ فيقول له: أمضي إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة أنا رسول فلانٍ إليكم** – أنا رسول الحجة بن الحسن إليكم – **وهو يقول لكم: إنّا أهل بيت الرحمة ومعدن الرسالة والخلافة ونَحنُ ذرية مُحَمَّد وسلالة النبيين** – ونحن الآن نتحدث – **وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ** – والعبارات واضحة تشير إلى هذا المعنى – **ونَحنُ ذرية مُحَمَّد وسلالة النبيين وأنَّا قد ظُلمنا واضطُهدنا وقُهِرنا وابتُزَّ منا حقُّنا منذُ قُبِضَ نبينا إلى يومنا هذا فنحن نستنصركم فانصرونا فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبَحوه أهل مكة بين الركن والمقام وهي النفسُ الزكية** – التي تُذبح في اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة يعني فيما بين هذا اليوم وبين ظهور الإمام ما يقرب من خمسة عشر يوم نصف شهر يعني، ذكرت هذا الكلام لتتميم الفائدة وإلا فموطن الشاهد في البيان الأول وفي البيان الثاني – **أيُّها الناس من يُحاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، أيها الناس من حاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم** – كل هذا يشير إلى هذا المضمون الذي أشارت إليه الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ** – هذه الوراثة تتجلى في بُعدها الدنيوي في بُعدها الديني وفي بُعدها الرسالي بظهور حاكمية إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه وكذلك بوراثتهِ للأرض وبوارثيتهِ على الأرض فهو سيرث الأرض وله الوارثية على الأرض، الوارثية بالمعنى الأوسع وهي الحاكمية.

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى، وَذَوِى النُّهى، وَأُولِى الحِجىَ، وَكَهْفِ الْوَرى، وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ، وَالمثَلِ الأَعْلى – هذا عنوانٌ جديد في الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَالمَثَلِ الأَعْلى** – نخاطبهم بأنهم هم المَثَلُ الأعلى، والزيارة هنا تريد أن تشير إلى المثل الأعلى الذي جاء مذكوراً في الكتاب

الكريم في سورة الروم، في الآية السابعة والعشرين ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الحديث عن بداية الخلق ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الحديث هنا عن بداية الخلق عن بدية الفيض ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ طبعاً الآية عند المفسرين لها أكثر من وجه ونحن هنا لا نريد أن نورد أراء المفسرين، هذه الزيارة هي تفسر هذه الآية، حينما يقول إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه هذا الكلام ويأمرنا أن نزور الأئمة بهذه المصطلحات قطعاً حينما يتكلم هو يتكلم بلسان القرآن فهو لا يريد أن يوقعنا في الشبهة فيأتي بمصطلحات وبعناوين توقعنا في الشبهة، فحينما يستعمل هذه العناوين إنما هو يقصد بالدرجة الأولى العنوان القرآني وهذا هو الشيء الطبيعي.

السائل سأل الإمام الهادي علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً أقولهُ إذا زرتُ واحداً منكم، القول البليغ الكامل أين يكون؟ أليس في القرآن بالدرجة الأولى، علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً، القول البليغ الكامل هو في القرآن، فحينما يريد الإمام أن يُعلّمنا زيارة وهذه الزيارة مشتملة على عناوين مشتملة على مصطلحات مشتملة على مقامات على مراتب لابد أن تكون هذه المعاني مُستقاة إما باللفظ وبالمصطلح وبالحروف، وإما بالمضمون من آيات الكتاب الكريم، ولذلك حين أشرح الزيارة الجامعة الكبيرة المرد الأول والأخير إلى كتاب الله وهذا ما لاحظتموه من أول حلقة من حلقات هذا البرنامج وإلى هذا اليوم، لأن الإمام صلوات الله وسلامه عليه وهو يعلمنا نصاً بليغاً كاملاً هل يُعقل أن الإمام يعلمنا نصاً بليغاً كاملاً وهو بعيدٌ عن القرآن لا يُعقل هذا أبداً، إذاً الزيارة هنا هي تشرح لنا المعنى الموجود في الآية فنحن نسلم على أئمتنا – **وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ، وَالمثَلِ الأَعْلى** – المثَل الأعلى هو هذا الذي جاء مذكوراً كما قلت قبل قليل في الآية السابعة والعشرين من سورة الروم ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المثل الأعلى أهل البيت، المثل الأعلى مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، المثل الأعلى في عمق المعنى الحقيقة المُحَمَّدية، النور الأول، هو هذا المثل الأعلى.

هنا سؤال: هل لله مِثل؟ هذا الجواب يقع في أفقين: يمكن أن نقول نعم لله مِثل ويمكن أن نقول كلا ليس لله مِثل فإن من يعتقد بأن لله مِثل فذلك هو الشرك، ما المراد من هذا الكلام؟ نحن نُنَزِّهُ الباري عن الشريك عن الأنداد عن الشبيه وكذلك عن المثيل عن المثل، الله سبحانه وتعالى ليس له مِثل، ليس له مِثل المثل الذي بمعنى النظير، المِثل الذي بمعنى الشبيه، ما المراد أن يكون لله شريك؟ ما المراد أن يكون لله نِد؟ ما

المُراد أن يكون لله شبيه؟ ما المُراد أن يكون لله مثل؟ القضية هنا في أفق الغِنى، الذات الغنية المُغنية الله سبحانه وتعالى من أسمائه هو الغني وهو المغني، الله هو الغني وهو المغني، هو غنيٌ في ذاتهِ وهو مُغني لكل ما خلق، فهو غنيٌ وهو مُغني، متى ما افترضنا أن يكون هناك شيء في عالم الوهم في عالم الخيال في الواقع الخارجي متى ما افترض الإنسان أن يكون هناك موجود هذا الموجود مستغنٍ عن الله سبحانه وتعالى هذا هو الشرك، الشرك هنا، حقيقة الشرك هي هذه حين نتصور نتوهم نعتقد نظن أن موجوداً هناك وهذا الموجود مستغنٍ عن الله إذاً هذا هو الشريك، إذا كان هناك موجود وهذا الموجود يستغني عن الله يعني قائمٌ بنفسهِ يعني فيه عنى ذاتي أيَّاً كان هذا الموجود، نسميه شريكاً لله، نسميه نداً، نسميه مِثلاً لله مثيل، نقول عنه مَثَل، مثال، مَثَلٌ لله، نقول عنه شبيه، نظير، قل ما شئت من العبارات ليس مهماً العناوين، إذا افترضنا وجود موجود وهذا الموجود مستغني عن الله فقد وقعنا في الشرك وهذا هو الشرك الصريح، لأن الله سبحانه وتعالى الذاتُ الغنية المستغنية المغنية، الله ذاتٌ غنية ومُستغنية عن غيرها وهي مُغنية لغيرها، فإذا تصورنا أن هناك موجوداً يحمل هذه المواصفات أن موجوداً غنيٌ في ذاتهِ مستغنٍ عن الله ومُغنٍ لغيرهِ عنده القدرة على إغناء غيره هذا هو الشرك، ليس مهماً أن نسمي هذا الموجود شريكاً لله أن نسمي هذا الموجود نظيراً نِداً شبيهاً مثيلاً مِثلاً قل ما شئت من العبارات.

وكذلك الإنسان حتى لو كان يعتقد بالله سبحانه وتعالى وبالتوحيد لكن الذي يخطر في قلبهِ بأنه يستطيع أن يستغني عن الله فهذا هو الشرك وهذا هو الكفر، الكفر على مراتب وهذا كفرٌ صريح فحين يعتقد الإنسان بأنه يمكن أن يستغني عن الله أو أنه يملك غنىً ذاتياً أو يتصور أن موجوداً آخر يملك الغنى الذاتي، مثلاً إذا تصورنا بأن الحقيقة المُحَمَّدية حقيقة غنية في ذاتها مستغنية في ذاتها مغنية لغيرها وهي مستغنية عن الله سبحانه وتعالى فقد وقعنا في الشرك الصريح، شرك، هذا شركٌ لا مفر منه، فإذاً حين نقول بأن لله مِثل إذا كان المراد هذا المِثل لله سبحانه وتعالى أن يكون غنياً بذاتهِ مُستغنياً عن الله قادراً على إغناء غيرهِ فهذا هو الشرك وهذا هو المِثل أو المماثل أو الشبيه الذي ننزه الباري سبحانه وتعالى عنه، نحن حين ننزه الباري عن كل ندٍ وعن كل مماثلٍ وعن كل شبيهٍ إنما ننزهه عن كل موجودٍ يمكن أن يقال عنه بأنه غنيٌ في ذاتهِ، إذ كل الموجودات، الموجودات القائمة الآن أو التي ستأتي هي موجودات مفتقرة وفقيرة إلى الله، الوجود الغني والمستغني والمغني هو وجود الله سبحانه وتعالى فقط.

فحين نقول بأن الله سبحانه وتعالى ليس له مِثل، ليس مِثل هذا المِثل يكون غنياً في ذاتهِ يكون مُستغنياً عن غيرهِ يكون قادراً على الإغناء مُغنياً لغيرهِ، أيُّ موجودٍ سميناه بمثل أو غير ذلك، إن كان نعتقد بأنه موجود في الواقع الخارجي أو في أذهاننا في أوهامنا أي صورة تحمل هذه المعاني فذلك هو الشرك ونحن ننفي وجود المماثل بهذا المعنى، أما إذا كان الله سبحانه وتعالى خلق مخلوقاً وهذا المخلوق الله سبحانه وتعالى تجلت

صفاتهُ في هذا المخلوق وأعطى لهذا المخلوق من فيضهِ وجودهِ فكان هذا المخلوق حجاباً فيما بين الله وبين الخلق وباباً يدخل الخلق من خلاله وسبباً يتصل بين الأرض والسماء ووجهاً يتوجه إليه الأولياء إذا كان هذا المخلوق هو الذي تتحدث عنه الزيارة هو المثل الأعلى.

في الآيات القرآنية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ نحن إذا أردنا أن نتبصر في هذا التعبير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقفة قصيرة على هذا المقطع القرآني ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الآية ما قالت ليس مثله شيء قالت ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يعني هناك لله مِثل ولكن ليس هذه النافية تنفي أن يكون هناك شيء مُشابه لمِثل الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لماذا هذا التركيب في العبارة؟ قُلتْ بأن الله لا مِثلَ له، المثل الذي هو مستغنٍ عن غيرهِ غنيٌ في ذاتهِ وقادرٌ على إغناء غيرهِ، هذا المثل نحن ننزه الله منه لا يوجد هكذا مِثل ومن يعتقد بذلك فهو مُشرك لكن يوجد لله مِثْل بهذا المعنى الذي أشرتُ إليه قبل قليل والآية تشير إلى هذه القضية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إذا ندقق النظر في الآية هناك لله مثل والآية ما نفت المثلية وإنما نفت المُشابه للمثل قالت ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ما قالت ليس مثلهُ شيء، قالت ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أدنى تبصر في الآية يظهر هذا المعنى واضحاً يظهر هذا المعنى جلياً.

أقرأ على مسامعكم هذه الرواية، هذا هو الجزء الرابع من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي الرواية عن إبراهيم بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام، هذه الرواية من روايات الأسرار في حديث أهل البيت، هذه الرواية من الروايات العميقة جداً، أنا أوردها وإن شاء الله في مناسبات أخرى أتحدَّثُ عن بعضٍ من معانيها لأننا سنحتاجُ إليها في طوايا الحديث في مواقف أخرى في منازل أخرى من منازل الزيارة الجامعة الكبيرة، إمامنا صلوات الله وسلامه عليه ماذا يقول؟ **يقول: إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً** – الله خلق هذا مخلوق – **إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً** – وضعوا تحت كلمة خلق خطوط حمراء حتى تلتفتوا إليها – **إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت** – منعوت يعني موصوف، الله سبحانه وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت يعني هذا الاسم ليس هو لفظ لا يوصف بالألفاظ – **إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت** – إذاً هذا الاسم الله خلقه هو غير الله هذا – **إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت** – أنا أكرر هذه العبارات حتى تثبت في أذهانكم – **إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت وباللفظ غير مُنطق** – يعني إذاً هو ليس من جنس الكلمات لو كان من جنس الكلمات لنُعِتَ بالحروف ولنطقتهُ الألسنة، إذاً هذا الكلام في أفق آخر، اسم ليس كأسماء البشر

ليس من الألفاظ – **إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت وباللفظ غير مُنطق وبالشخص غير مُجَسَّد** – يعني لا يوجد هناك تجسيد جسماني، الجسم ما هو؟ الجسم الذي يقبل القسمة في أبعاده الثلاث، يعني في الطول والعرض والارتفاع، يعني الجسم هو الذي يملك أبعاداً ثلاثة – **وبالشخص غير مُجَسَّد وبالتشبيه غير موصوف** – ولا تستطيع أن تصفهُ بالعبارات وبالتشبيهات وأن تقول هناك شيء يشبه هذا الاسم – **وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ** – وليس له لون اللون هنا ليس اللون الحسي جميع مراتب اللون يعني الخيال الوهم الفكر لا يستطيع أن يتصورهُ في أي أفق من الأفاق – **وباللون غير مصبوغ منفيٌ عنه الأقطار** – منفيٌ عنه الأقطار يعني ليس له مكان الأقطار هي الجهات الأمكنة – **منفيٌ عنه الأقطار** – يعني هو أسمى أعلى الأمكنة – **مُبَعّدٌ عنهُ الحدود مَحجوبٌ عنه حِسُّ كل متوهم مستترٌ غير مستور** – مستترٌ بذاتهِ ولكن غيرُ مستور يعني قريبٌ من الأشياء وبعيدٌ في نفس الوقت – **مُستَتِرٌ غير مستور فجعلهُ كلمةً تامة** – جعل هذا الاسم – **على أربعة أجزاء** – إلى آخر الرواية.

الرواية فيها تفاصيل، فلنقرأ الرواية لا بأس – **فجعلهُ كلمةً تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها** – لفاقة الخلق الثاني، لأن الحديث هنا عن الخلق الأول، إن الله سبحانه وتعالى خلق أسماً هذا الاسم الذي له هذه الأوصاف أين يكون؟ هذا الاسم هو في عالم الخلق الأول – **إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت وباللفظ غير مُنطق وبالشخص غير مُجَسَّد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ مَنفيٌ عنه الأقطار مُبَعّدٌ عنهُ الحدود مَحجوبٌ عنه حسُّ كل متوهم مستترٌ غير مستور فجعلهُ كلمةً تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر** – هذه الأجزاء تكشف عن البساطة – **ليس منها واحد قبل الآخر** – يعني ليس مركباً وإنما هذه هي التجليات – **ليس منها واحد قبل الآخر فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحَجَبَ واحداً منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أُظهِرت فالظاهِرُ هو الله تبارك وتعالى** – الله عنوان مَجْمَع اسماء الصفات الجمالية والجلالية، الله الذات المستكملة – **فالظاهر هو الله تبارك وتعالى لكل اسمٍ من هذه أربعة أركان** – يعني كل اسمٍ من هذه الاسماء – **أربعةُ أركان فذلك اثنا عشر ركناً، ثم خلق لكل ركنٍ منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها فهو الرحمن الرحيم الملك القدوس الخالِقُ البارئُ المصورُ الحيُّ القيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم العليمُ الخبيرُ السميع البصير الحكيم العزيزُ الجبارُ المتكبرُ العليُّ العظيمُ المقتدرُ القادرُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ البارئُ المنشئُ البديعُ الرفيعُ الجليلُ الكريمُ الرازقُ المحيي المميتُ الباعثُ الوارث فهذه الاسماء وما كان من**

الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاثمئة وستين اسماً فهي نسبةٌ لهذه الاسماء الثلاثة وهذه الاسماء الثلاثة أركان وحُجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلاثة وذلك قوله عزَّ وجل: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الحسْنَى﴾ – وفي روايات أهل البيت نحن الاسماء الحسنى والمعاني واضحة ومرَّ الكلام في ذلك، الحديث هنا عن هذا الاسم الذي خلقهُ الله وأعطاه هذه المواصفات – **بالحروف غير منعوت وباللفظ غير مُنطق وبالشخص غير مُجَسَّد** – إلى آخر ما مرَّ في هذا الحديث، وهذه الخاتمة تذكروها سنحتاج إليها بعد قليل – **وذلك قوله عزَّ وجلَّ** ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الحسْنَى﴾ هذا هو المثل الأعلى.

المثل الأعلى هو هذا الذي جاءت الإشارةُ إليه في أدعية شهر رجب، في دعاءِ ليلة المبعث الليلة السابعة والعشرين: **فأسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته** – هذا اسمٌ مخلوق كما مر في هذه الرواية، ولذلك الدعاء ماذا وصفهُ؟ – **الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم** – لأننا لا نملك ألفاظاً ولا تصوراً ولا خيالاً كما تحدَّثَ إمامنا الصادق في هذه الرواية التي قلت عنها قبل قليل إنها من روايات الأسرار في حديث أهل البيت – **فأسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته** – هذا اسم مخلوق هو غير الله – **فاستقر في ظلك فلا يَخرجُ منك إلى غيرك** – مخلوق يعني ليس مستغنياً ليس غنياً، مخلوق يعني هو مفتقر، مهما أوتي من فضلٍ فهو مفتقر، فحينئذٍ حين نقول هذا مِثلٌ لله، هذا مثل وهذا المثل ليس مستغنياً، المِثْل والمَثَل بمعنى واحد وإن فَرَّقَ اللغويون ولا أريد أن أدخل في التفصيلات اللغوية لكن المَثَل والمِثْل هما بمعنى واحد، قد تكون هناك حيثيات، قد تكون هناك جهات يختلف فيها المَثَل عن المِثْل ولكن بالنتيجة الدلالة واحدة والحقيقة واحدة، فأترك المِثل فلنقل المَثَل إذا كانت هناك حساسية من اللفظ، في الحقيقة لا يوجد هناك أي حساسية لكن لو وجدت الحساسية فأترك القضية قضية اللفظ، المهم الدلالة والمضمون والمعنى – **فأسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقر في ظلك فلا يَخرجُ مِنك إلى غيرك** – ونفس هذا الكلام نحن نقرأه أيضاً في دعاء اليوم السابع والعشرين: **فنسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته** – هذا اسمٌ مخلوق– **فاستقر في ظلك فلا يَخرجُ منك إلى غيرك** – هذا التأكيد بصيغة أفعل التفضيل المُعرَّفة بالألف واللام الأعظم يعني لا يوجد في الخلق ما هو أعظم منه إلا الله – **اللَّهُمَّ إني أسألك من عظمتك بأعظمها** – هي هذه، أنت تقرأ في دعاء البهاء – **اللَّهُمَّ إني أسألك من عظمتك بأعظمها** – هي هذه، هو هذا الاسم الذي هو ليس بالحروف منعوت ولا بالألفاظ

مُنْطَق، هذا الاسم الذي قرأت الحديث قبل قليل في الجزء الرابع من بحار الأنوار والمروي عن إمامنا الصادق – **اللَّهُمَّ إني أسألك من عظمتك بأعظمها وكل عظمتك عظيمة** – الله سبحانه وتعالى العَظَمة عظمته الذاتية ليست فيها أجزاء فهناك في ذاته ما هو أعظم وما هو غير أعظم – **من عظمتك بأعظمها** – في هذا المخلوق في هذا الاسم الذي خلقه الله وهو المَثَلُ الأعلى، فنحن حين نقرأُ في سورة الروم في الآية السابعة والعشرين: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الحديث عن بداية الخلق وعن إعادة عن الوجود عن كل الوجود ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ المثل الأعلى أعظمُ من بدئ الخلق ومن إعادة الخلق، أدنى تبصر في الآية يظهر هذا المعنى جلياً ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ يعني هذا الخلق ما سميناه بعالم الخلق الثاني من الحُجُب من السرادقات من الأستار فالعرش فالكرسي فالسماوات فكل هذه العوالم، هذا كله يدخل في الخلق ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ لكن هناك ما هو أعلى رتبةً ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ المثل الأعلى المتجلي أين؟

﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية واضحة تُشير إلى وجودٍ هذا الوجود اسمه المَثَلُ الأعلى، أنا قلت المفسرون لهم كلام وتأويلات لغوية وبلاغية في الآية ولكن أولئك يذهبون في طريق ونحن ذاهبون في طريقٍ آخر، لأننا شرحنا الآية بنفس الزيارة – **وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ، وَالمثَلِ الأَعْلى** – وهذا المعنى لهذه المَثَلية مر علينا الحديثُ عنه وقرأت عليكم في الحلقات الماضية ما جاء في دعاء الاستئذان لزيارة النبي والأئمة – **الحَمْدُ لله الذي مَنَّ علينا بِحُكّامٍ** – ماذا يفعلون هؤلاء – **يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان** – هذا نوع ورتبة من مراتب المَثَل الأعلى ولكن في العالم الأرضي – **الحَمْدُ لله الذي مَنَّ علينا بِحُكّامٍ يقومون مقامه** – يعني تجلي الإلوهية والربوبية هذه المعاني أين تتجلى؟ تتجلى في الولاية، الولاية أين تظهر؟ تظهر في النبوة والإمامة – **الحَمْدُ لله الذي مَنَّ علينا بِحُكّامٍ يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان.**

تَخَلّقوا بِأخلاقِ الله – هذا الكلام بالنسبة لنا فنحن نبحث عن خصالٍ كالحكمة والعلم والصدق وغير ذلك لكن حين يكون الكلام في مقامات الولاية – **تَخَلّقوا بِأخلاقِ الله** – التخلق بأخلاق الله بالنسبة لتلك المقامات يعني أن تلك المقامات تتجلى فيها الأسماء الحسنى، التخلق بأخلاق الله يعني اسم العليم يتجلى فيهم، يعني اسم القادر يتجلى فيهم وتلك هي الإمامة الكونية – **تَخَلّقوا بِأخلاقِ الله** – بالنسبة لنا نحن نبحث عن خصال وصفات ما يُدرس في علم الأخلاق، أما بالنسبة لتلك المقامات العالية كيف يكون

التخلق بأخلاق الله؟ التخلق بأخلاق الله يعني أن الأسماء الحسنى تتجلى فيهم، يعني أن اسم العليم اسم القادر اسم القاهر يتجلى فيهم، اسم الرحيم وهكذا – **الحَمْدُ لله الذي مَنَّ علينا بِحُكّامٍ يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان** – هذه معاني عميقة جداً وتحتاج إلى تبصر وتحتاج إلى تدبر وتحتاج إلى تأني خصوصاً الاستماع برعاية وبدقة إلى نصوص وكلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا الموضوع من الموضوعات العميقة جداً.

حين نخاطب الأئمة: **وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ، وَالمَثَلِ الأَعْلى** – هذا معنى عميق جداً، وهذا المعنى له مظاهر ومصاديق كثيرة، ما قرأته الآن في دعاء الاستئذان هذي صورة من صور هذا المقام مقام المَثَل الأعلى – **الحَمْدُ لله الذي مَنَّ علينا** – بأي شيءٍ – **بِحُكّامٍ يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان** – يقومون مقامه هذا تجلي صورة ظهور لهذا المقام الواسع وهو مقام المَثَل الأعلى، وما قرأته في الحديث قبل قليل عن هذا الاسم الذي خلقه الله وأشار إليه دعاء ليلة المبعث – **فاستقر في ظِلك فلا يَخرج منك إلى غيرك** – لا يَخرج منك إلى غيرك: يعني هو ليس من عالم الخلق الثاني حتى يكون ممازجاً لعالم الخلق الثاني وإنما هو الخلق الأول هذا معنى – **لا يَخرج منك إلى غيرك** – يعني ليس هناك من ممازجة فيما بينه وبين عالم الخلق الثاني، هناك عالم الخلق الأول هذا – **الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقر في ظلك فلا يَخرجُ منك إلى غيرك** – لا يخرج منك إلى غيرك يعني لا يوجد هناك ممازجة فيما بينه وبين عالم الخلق الثاني، فعالم الخلق الثاني هو من تجلياته وهذا هو المِثل الذي أشارت إليه الآية – **لَيْسَ كَمِثْلِهِ** – يعني أن الخلق الثاني لا يكونُ مماثلاً لمِثل الله وهو في عالم الخلق الأول، في دعاء الصباح الدعاء المروي عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه ماذا نقرأ في هذا الدعاء – **يَا مَنْ دَلَّ عَلى ذَاتِهِ بِذَاتِه وتَنَزَّه عَن مُجانسة مَخلوقاته** – مجانسة يعني مماثلة يعني ممازجة، الله سبحانه وتعالى متنزهٌ عن مجانسة هذا الاسم وهذا الاسم أيضاً متنزهٌ عن مجانسة عالم الخلق الثاني من السرادقات والستر الأعظم والحُجُب والعرش.

هذا الاسم الذي هو المَثَلُ الأعلى والذي إذا تجلى في عالم الأرض تجلى في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، يعني الصورة الظاهرة في العالم الطبيعي لهذا المثل الأعلى مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، لذلك نسلم عليهم في زيارتهم وهذا هو معنى القول البليغ الكامل، القول البليغ الكامل يعني هذه الكلمات خُزانة للأسرار خزانة للمعاني، وما أبينه من هذه المعاني لا تتصورون أن القضية تنتهي عند هذا الحد، معارف أهل البيت أعمق من هذا بكثير جداً وهناك الكثير من الروايات التي لا يسع الوقت لإيرادها والكثير من النصوص والكثير من الحقائق الوقت لا يسع لإيرادها وفي بعض الأحيان لو أردتُ أن أوردها ذلك يؤدي إلى إساءة الفهم لأنني لا أستطيع أن أصرف إساءة الفهم إلا أن أتحدث عن مقدمات لتوضيح المعنى وبالتالي سوف أشذ عن المقصود وهو شرح

الزيارة، أنا مقصودي من هذه الحلقات أن أشرح الزيارة لا أن أتشعب في كل المطالب – **يَا مَنْ دَلَّ عَلى ذَاتِهِ بِذَاتِه وتَنَزَّه عَن مُجانسة مَخلوقاته وجَلَّ عن مُلائمَة كيفياته** – هذا هو دعاء الصباح تنزه عن مجانسة مخلوقاته، الله سبحانه وتعالى أجل وأعزّ وأكرم من أن يُجانس هذا الاسم، وهذا الاسم أجل وأعز وأكرم من أن يجانس المخلوقات التي خُلِقت في عالم الخلق الثاني، لذلك خلقته فاستقر في ظلك، استقر في ظلك العبارة هنا تشير إلى افتقارِهِ المطلق ولذلك هو مستقرٌ في ظلهِ، حتى في التعبير اللغوي العرفي حين يقال فلان يعيش في ظل فلان يعني أنه مُحتاجٌ إليه غاية الاحتياج، هذا الاسم أكثر افتقاراً مِنّا من أي جهة؟

لأن فضل الله عليه أوسع من كل فضلٍ على كل مخلوق، فحينما يكون الفضل أوسع يكون الافتقار أكبر وأعظم، حينما يكون الفضل فضل الله علينا محدوداً بالقياس إلى فضله على ذلك الاسم فإن افتقارنا يكون أقل من افتقار ذلك الاسم، افتقارنا يكون بحدود الفضل، الفضل النازل إلينا محدود بحدودنا، نحن كائنات محدودة وجودات مقيدة الافتقار يكون بقدر وجودنا، وجودنا كله افتقارٌ إلى الله، وجودنا هو حقيقة الفقر إلى الله ولكن لو أردنا وجه مقايسة لتقريب المعنى فذلك الاسم أكثر افتقاراً بل ذلك الاسم هو الافتقار وهو حقيقة الفقر المُطلقة لأن الله قد مَنَّ عليه بكل فضله فكان مفتقراً إلى الله بكل الفقر فلذلك استقر في ظله، استقراره في ظله هو افتقاره.

ذلك الاسم هو ذاتٌ غنية ومغنية ولكن بإغناءٍ من الله، الله سبحانه وتعالى غنيٍ ومغني ومستغني أما هذا الاسم فهو غنيٍ ومغني وليس مستغني، إذا كان مستغنياً فهو مستغنٍ عن عالم الخلق الثاني بهذا اللحاظ، لكنه ليس مستغنياً عن الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى غنيٍ مغني مستغنٍ عن كل شيء، هذا الاسم الذي خلقه الله فاستقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره ليس هناك من ممازجة فيما بينه وبين عالم الخلق الثاني، ومن هنا يظهر لك الفارق الكبير في مراتب مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد على الأرض مع غيرهم من المخلوقات، ويظهر لك معنى إن لأنبياء إنما هم رشحةٌ من رشحاتهم والأنبياء من أشياعهم، ومع ذلك المعاني أعمق وأعمق وأعمق، والله المعاني أعمق، والروايات كثيرة جداً، وهناك من المطالب ما يُذهِل العقول في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهذا المقام له مظاهر له تجليات، من جملة هذه المظاهر من جملة هذه التجليات ما يمكن أن نجده في عالم الذكر في عالم الكتاب الكريم، فحين نقرأُ هذه الرواية وقد مَرّت علينا هذه الرواية وأمثالها الرواية – **عن داوود بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟!** – هذه مراتب تجليات من أنَّهُم المَثَل الأعلى، المَثَل الأعلى في كل طبقةٍ من طبقات الوجود، هم المَثَل الأعلى وذلك هو المقام الأسمى في عالم الخلق الأول حيث استقر الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم استقر في ظل الله وما خرج منه إلى

غيره ذلك هو مقام المَثَل الأعلى، ذلك هو التجلي الأعظم الذي أشارت إليه الأدعية الشريفة مقام التجلي الأعظم هو ذلك المقام، ولكن لهم تجليات كما جاء في دعاء الاستئذان – **يقومون مقامه كما لو كان حاضراً في المكان** – وهناك تجليات لهذا المَثَل الأعلى في عوالم الذكر الحكيم وفي العوالم المعنوية، داوود بن كثير يسأل الإمام الصادق – **أنتم الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟! فقال: يا داوود نَحن الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ ونَحن الزكاة ونَحن الصيام ونَحن الحج ونَحن الشهر الحرام ونَحن البلد الحرام ونَحن كعبة الله ونَحن قبلة الله ونَحن وجه الله قال الله تعالى:** ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾ **ونَحن الآيات ونَحن البينات، وعدونا في كتاب الله عزَّ وجلَّ الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطاغوت والميتةُ والدمُ ولحم الخنزير، يا داوود إن الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضّلنا وجعلنا أمنائه وحفظته وخزانه على ما في السماوات وما في الأرض وجعل لنا أضداداً وأعداءً فسمانا في كتابه وكنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه وسمى أضدادنا وأعدائنا في كتابه وكنى عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين** – والروايات كثيرة في هذا المعنى وفي هذا المضمون، هذه رواية مهمة وسنأتي على شرحها إن شاء الله في الحلقات القادمة.

الرواية: **عن الهيثم التميمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا هيثمُ التميمي إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء** – هذه الرواية قانون قاعدة يمكن أن نستفيد منها في فهم الزيارة الجامعة الكبيرة وفي فهم القرآن وفي فهم العقيدة – **إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، وجاء قومٌ من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً ولا إيمان بظاهرٍ إلا بباطن ولا بباطنٍ إلا بظاهر** – إني مؤمن بظاهركم وباطنكم بسركم وعلانيتكم – فهذا الحديث الموجود في هذا البرنامج إنما يتمسك بهذه القاعدة: فلا إيمان بظاهرٍ من دون باطن ولا إيمان بباطنٍ من دون ظاهر الإيمانُ إيمانٌ بالظاهر وبالباطن هكذا نخاطبهم في زياراتهم – **إني مؤمنٌ موقنٌ بظاهركم وباطنكم بسركم وعلانيتكم** – هناك الأفق المُعلن لأهل البيت وهناك الأفق السري السراني لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ما أذكره من معانٍ مُستلّة من آيات الكتاب ومن الروايات فيها شيءٍ فيها إشمامة من هذا المعنى الباطني، فيها اشمامة من هذا المعنى السري وإلا ليس هذي هي البواطن، البواطن أعمق من ذلك بكثير، وأهل البيت أعمق وأعلى وأعلى، مراتبهم أعلى، هذا شيء أنا أقنصه بوعاءٍ ضيق هو وعائي، قال سيد الأوصياء – **يا كميل القلوب أوعية** – هذه القلوب أوعية مثل الأواني ما أقتنص من هذه المعاني

إنما بهذا الوعاء الصغير بوعائي الصغير، أهل البيت يحتاجون إلى أوعية كبيرة، إلى قلوب كبيرة جداً، إلى قلوب تستطيع أن تتلمس معانيهم ولو من بعيد، لا توجد قلوب تتلمس معانيهم – **إنَّ أمرَنا صَعِبٌ مُسْتَصْعَب لا يَحتَمِلُه لا نَبيٌ مُرسَل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب، مَنْ يَحتَمِلُه يا ابنَ رَسولِ الله؟! قال: نَحنُ نَحتَمِلُه** – مثل هذه المقامات لا تستطيع هذه القلوب وهذه الأوعية مهما كانت كبيرة أن تتلمس معاني أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه الرواية وأمثالها من الروايات التي تتحدث عن أن الصلاة هُم وأن الزكاة هم هذه تجليات من المَثَل الأعلى الدين القرآن من تجليات المثل الأعلى، حين يقول النبي الأعظم القرآن هو الكتاب الصامت وعليٌّ هو الكتاب الناطق، الكتاب الناطق هو من تجليات المثل الأعلى والكتاب الصامت هو من تجليات المثل الأعلى، وهذه التجليات كلها يرتبط بعضها بالبعض الآخر كلها تجمَعُ في هذا المقام في أي مقام؟

في مقام الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته هو مخلوق فاستقر في ظلك استقر لحاجته إليك فلا يخرج منك إلى غيرك ليس له من ممازجة مع عوالم الخلق الثاني، لأن عوالم الخلق الثاني دونه لا توجد مقايسة، دونه في المرتبة، هي من فتات موائده، عالم الخلق الثاني بكل مراتبه هي من فتات من تجليات فتات موائده الكريمة، هذا هو المثل الأعلى وهؤلاء أهل البيت الذين نزورهم ونخاطبهم هم مظهرُ ذلك المثل الأعلى، المثل الأعلى ليس في الدنيا المثل الأعلى محيطٌ بكل تلك العوالم، ذلك الاسم الذي لا يُنعَتُ بالحروف ولا يُنطقُ بالألفاظ ولا يُشَّبه بالأوصاف ذلك الاسم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره، وأهل البيت مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد هم مظاهر لذلك الاسم – **اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى** – هؤلاء أئمتنا – **وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى، وَذَوِى النُّهى، وَأُولِى الحجى، وَكَهْفِ الْوَرى، وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ، وَالمثَلِ الأَعْلى** – وهذا العنوان عنوان فسيح ووسيع والمطالب كثيرة التي ترتبط بهذا العنوان لكنني أكتفي بما ذكرته وبما أشرتُ إليه فالوقت يجري سريعاً وبقيت عندنا بقية نحتاج إلى بيانها فيما بقي من عبارات المقطع الثاني.

وَالمثَلِ الأَعْلى، وَالدَّعْوَةِ الحسْنى، أهل البيت هم الدعوة الحسنى، ما المراد من أن أهل البيت هم الدعوة الحسنى؟ في الأفق الأرضي أهل البيت هم الدعوة الحسنى هم دعوة إبراهيم دعوة الأنبياء طُراً من لدن آدم، آدم أول دعاء دعا به ما هو؟ أول دعاء توسل إلى الله بمُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطمة وبالحسن والحسين والمعنى واضحٌ لديكم ولربما الكثير منكم يحفظ الدعاء المنقول في الروايات الذي دعا به آدم عليه السلام: يا مَحمود بحق مُحَمَّد أو بحق أحمد، يا عالي بحق علي، الدعاء المعروف الذي يتوسل به شيعة أهل البيت، الدعوة الحسنى هو دعوة كل الأنبياء طُراً من لدن آدم إلى لدن إبراهيم وما بعد إبراهيم ولكن صار إبراهيم عنواناً لكل الأنبياء وصار عنواناً لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، في آيات الكتاب الكريم في سورة البقرة ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ

رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ لا أقف عند هذه الآيات فقد وقفت عندها في برنامج قرآننا ويمكن لمن يريد أن يراجع حلقات البرامج السابقة كل البرامج موجودة على موقعنا الإلكتروني موقع قناة المودّة الفضائية ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ هنا بدأت الدعوة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ إمامنا الصادق قال هي ثمرات القلوب هذه الثمرات ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هذه ثمرات القلوب التي جاء ذكرها في موطنٍ آخر في سورة إبراهيم ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ هذي هي ثمرات القلوب التي يتحدث عنها إمامنا الصادق عليه السلام.

هذه الآية السادسة والعشرون بعد المئة من سورة البقرة ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إمامنا الصادق قال: هي ثمرات القلوب وهو يشير إلى ما جاء في سورة إبراهيم في الآية السابعة والثلاثين ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ في روايات أهل البيت يقولون نحن الذين تهوي إلينا وهوت إلينا أفئدة الناس ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ إليهم مجموعة مشخصة ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ في سورة البقرة حين يقول ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ ثم تقول الآية ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ روايات عن أهل البيت تقول منهم يعني من أهل البيت وابعث فيهم في أهل البيت ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ هذه المعاني لا تنطبق حقيقةً إلا على أهل البيت ونفس الكلام في سورة إبراهيم في الآية الخامسة والثلاثين ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ فمن الذين جُنبوا عبادة الأصنام هل هناك غير مُحَمَّد وآل مُحَمَّد جنبوا عبادة الأصنام؟

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ إلى أن يقول: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾

هذه الثمرات ثمرات القلوب كما يقول إمامنا الصادق، قطعاً في أفق من آفاق معاني هذه الآيات.

في سورة الشعراء في الآية الرابعة والثمانين والتي قبلها إبراهيم يدعوا ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ هذا الدعاء في أول أمره في أول دعوته للتوحيد ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ هذا في أول الدعوة ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ متى كانت الاستجابة؟ في سورة مريم في الآية الخمسين الآيات التي قبلها تتحدث عن إبراهيم عليه السلام ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ اعتزل قومه عشيرته ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ يعني لإبراهيم وللأنبياء من ولده ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ والروايات واضحة عليٌّ هنا عَلِيُّنا صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ وهذا المعنى أنت تقرأه في دعاء الندبة، في زيارات أمير المؤمنين هذه المعاني واضحة وجلية ولا أجدُ وقتاً أن أشير إليها، الروايات كثيرة في هذا المطلب.

﴿وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنَى﴾ فأهل البيت هم دعوة الأنبياء التي تجلت في دعوة إبراهيم ولذلك القرآن مِراراً وتكراراً كما لاحظنا في الآيات وهو يُحدِّثُنا عن دعوة إبراهيم، هذه الدعوة التي تجلت في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم الدعوة الحسنى بمعنىً أبعد وبمعنىً أعمق هم الأسماء الحسنى، مر علينا قبل قليل في الحديث الذي تلوته في الجزء الرابع أنه خلق اسماً بالألفاظ غير منعوت، بالحروف غير منعوت وبالألفاظ غير منطق المثل الأعلى في الكتاب الكريم في سورة الأعراف في الآية مية وثمانين من سورة الأعراف ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ونفس المضمون في سورة الإسراء في الآية العاشرة وهذه الآية ذكرت في الحديث الذي قرأته على أسماعكم ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لنذهب إلى روايات أهل البيت هذا هو الجزء الثالث من تفسير البرهان، لنقرأ في كلمات أهل البيت ماذا قالوا؟

الرواية يرويها شيخنا الكليني، **عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ:** ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الحسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ **قال: نَحن والله الأسماء الحسنى،** وَالمثَلِ الأَعْلى، وَالدَّعْوَةِ الحسْنى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الحسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ الدعوة الحسنى هي الدعوة بالأسماء الحسنى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ **قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا.**

الرواية أيضاً عن إمامنا الرضا هذه الرواية عن إمامنا الصادق الرواية ينقلها العياشي في تفسيره عن إمامنا الرضا: **إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ** – الإمام يقول: – **إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا** – يا شمس الشموس ويا أنيس النفوس سيدي يا غريب الغرباء يا مُغيث الشيعة والزوار في يوم الجزاء نستعينُ بك أن تُنيرَ قلوبنا بمعرفتك بمعرفة إمام زماننا بمعرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، نستعين بك على أن نكون في ليلنا وفي نهارنا في فنائكم الطاهر، نستعينُ بك ونعوذ بك يا ابن رسول الله أن تأتي علينا ساعة من الساعات فنكون في الصف الذي يعاديكم، نلجأ إليك يا ابن رسول الله – **إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ وهو قول الله:** ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الحسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ **ثم يقول: قال أبو عبد الله:** – يعني الإمام الصادق – **نَحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل من أحدٍ إلا بمعرفتنا.**

رواية جميلة ينقلها المُحدِّث البحراني عن الشيخ المفيد، رواها في كتابه الاختصاص، عن أبي جعفرٍ، عن إمامنا الباقر، **قال: سمعتُ جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلتُ يا رسول الله ما تقول في عليّ بن أبي طالب؟ فقال: ذاك نفسي، قلت: فما تقول في الحسن والحسين؟ قال: هما روحي وفاطمة أمهما أبنتي يسوؤني ما أساءها ويسرني ما سرها، أُشْهِدُ الله أني حربٌ لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم يا جابر إذا أردت أن تدعوا الله فيستجيب لك فأدعه بأسمائهم فإنها أحب الأسماء إلى الله عزَّ وجلَّ** – هذه أسمائهم التي هي من مظاهر الأسماء الحسنى هم الأسماء الحسنى أما أسمائهم فهي أسماءٌ لمظاهر الأسماء الحسنى – **يا جابر إذا أردت أن تدعوا الله فيستجيب لك فأدعه بأسمائهم فإنها أحب الأسماء إلى الله عزَّ وجلَّ** – هم الأسماء الحسنى كما يقول إمامنا الصادق: نَحن والله الأسماء الحسنى – السلام عليكم سادتي أئمتي، السلام على المَثَل الأعلى والدعوة الحسنى، الدعوة الحسنى هي دعوة إبراهيم والدعوة الحسنى هي ما يتجلى فيهم من أسماء الله الحسنى والآية أشارت إلى ذلك ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الحسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ وهكذا قال إمامنا الصادق: **نَحن والله الأسماء الحسنى** – السلام عليكم سادتي السلام على المثل الأعلى والدعوة الحسنى.

أصلاً في الكتاب الكريم هذا العنوان عنوان الحسنى عنوانٌ خاصٌ بأهل البيت، الدعوة الحسنى دعوة إبراهيم، الأسماء الحسنى هم الأسماء الحسنى كما قال الصادق عليه السلام وهم الحقيقة الحسنى، الدعوة الحسنى يعني الديانة الحسنى، يعني دين الإسلام، دعوة إبراهيم الدعوة الحسنى التي تجلت فيهم، الأسماء الحسنى هم الأسماء الحسنى كما قال صادقهم وهم الحقيقة الحسنى هم حقيقة الولاية حقيقة الدين، حين نقرأُ في الكتاب الكريم ونحن إلى أين نذهب؟ نحن من الكتاب إلى العترة ومن العترة إلى الكتاب ولا أبقانا الله ليومٍ لا نعيش فيه هكذا ونأخذ ديننا من الكتاب والعترة، لا أبقانا الله ليومٍ مثل هذا اليوم.

في سورة الليل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ سعي الناس شتى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ كما هناك ليل وهناك نهار فسعيكم شتى يا بني البشر ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى: اتقى والتقوى ولاية علي ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ اليسرى ولاية عليّ والحسنى ولاية علي ولكنها مراتب، مراتب المعرفة، هناك معرفةٌ هي مرتبة الحسنى وهناك معرفةٌ هي مرتبة اليسرى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ وهناك مرتبةٌ هي التقوى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ التقوى ولاية عليٍّ ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ الحسنى ولاية عليٍّ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ اليسرى ولاية عليٍّ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ كذب بالحسنى هناك شيء اسمه الحسنى يكذبون به ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ هناك شيء اسمه الحسنى، وَالدَّعْوَةِ الحسْنى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ هناك دعوى اسمها الدعوة الحسنى فهناك من يصدق بها وهناك من يكذب بها - وَالمثَلِ الأَعْلى، وَالدَّعْوَةِ الحسْنى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ كذب بالدعوة الحسنى ما هي هذه الحسنى التي يكذب بها؟ أليس هي دعوة أليس فكرة عقيدة: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ ماذا يقول أئمتكم في ذلك؟ أئمتكم يقولون ويقولون ويقولون.

الرواية عن إمامنا الصادق في تفسير علي بن إبراهيم القمي رضوان الله تعالى عليه، في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا

مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالحسْنَى ﴾ **قال: بالولاية** ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ - لأرقى المراتب - ﴿ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالحسْنَى ﴾ **قال: بالولاية** - كذب بالولاية - ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ وإلا بالله عليك ما معنى الحسنى هنا؟ أقرأ السورة أنت، أنتم الآن في شهر رمضان وهذا هو شهر القرآن، هذا هو ربيع القرآن أقرأوه لا تهتموا بالمد وبالقلقلة وبالوقف وبمثل هذه الأشياء التي ينشغل بها الآن الكثيرون، أبحثوا عن عليٍّ في القرآن، فهذا قرآنكم الصامت فابحثوا عن قرآنكم الناطق بين هذه الآيات الصامتة، ابحثوا عن عليٍّ، أقرأوا سورة الليل وحَكِّموا وجدانكم ما معنى وصدق بالحسنى؟ ما هي هذه الحسنى التي يصدق بها الناس ويكذبون بها ﴿ وَصَدَّقَ بِالحسْنَى ﴾ ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ هناك من يصدقون بالحسنى وهناك من يكذبون بالحسنى ما هي هذه الحسنى؟ حتى لو لم نرجع إلى الروايات: الحسنى هي ولاية عليٍّ، الحسنى هي حقيقة الدين، فمن صدق بالحسنى من صدق بحقيقة الدين فذلك هو الإيمان، ومن كذب بالحسنى، فمن صدق بالحسنى أين عاقبته؟ ﴿ وَصَدَّقَ بِالحسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ ﴿ وَكَذَّبَ بِالحسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ وهل العسرى إلا الابتعاد عن جادة الصواب عن جادة عليٍّ وآل علي، فهناك اليسرى وهناك العسرى، اليسرى مع عليٍّ والعسرى مع غيره.

الروايةُ **عن أبي عبد الله الجدلي قال: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام: ألا أخبرك بالحسنة التي من جاء بها أمِنَ من فزع يوم القيامة والسيئة التي من جاء بها كُب على وجهه في نار جهنم؟ قال بلى يا أمير المؤمنين، قال: الحسنةُ حبنا أهل البيت والسيئة بغضنا أهل البيت** - والرواياتُ كثيرةٌ أنا اخترت مجموعة من الروايات لكنني لا أجد وقتاً لقراءتها أو أن أتلوها على مسامعكم لكنها كلها تدور في هذا المضمون هم الدعوة الحسنى ﴿ وَصَدَّقَ بِالحسْنَى ﴾ صدق بعليٍّ وآل علي، صدق بهذه الدعوة، صدق بهؤلاء الذين نسلّم عليهم: **وَالمثَلِ الأَعْلى، وَالدَّعْوَةِ الحسْنى.**

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى، وَذَوِى النُّهى، وَأُولِى الحجى، وَكَهْفِ الْوَرى، وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ، وَالمثَلِ الأَعْلى، وَالدَّعْوَةِ الحسْنى وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ - بقيت هذه العبارات وهي بحاجة إلى شرحٍ كثير لكنني سأوجز الكلام فيها - **وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا** - الحُجَج جمعٌ لحُجّة والحُجَّة هو البرهان، وما تقدم من كل المعاني هو تفسيرٌ وشرحٌ لمعنى الحُجَّة لذا لن أقف هنا لأن اشرح معنى الحُجَّة ما تقدم من أول الزيارة كل العبارات أقرأُ عليكم ما مر من الزيارة فذلك هو تفسير الحجة:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلمِ، وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ، وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ، وَأَبْوابَ الأيمانِ، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ، وَسُلالَةَ النبيينَ، وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى، وَذَوِى النُّهى، وَأُولِى الحجى، وَكَهْفِ الْوَرى، وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ، وَالمثَلِ الأَعْلى، وَالدَّعْوَةِ الحسْنى...

كل هذه المعاني كل هذه العناوين وكل الشرح الذي تقدم تلخصه هذه العبارة: **وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى**. الدنيا واضح معناها هذه التي نحن نعيشُ فيها، ما نسميها بعوالم الشهادة العوالم الحسية العوالم الطبيعية، ليس فقط الكرة الأرضية، الدنيا هو هذا الأفق الوسيع من العالم الطبيعي، هذه المجرات والسماوات كل هذا هو عالم الدنيا، عالم الدنيا هو العالم الذي دون السماء الأولى دون السماء الدنيا، ما دون السماء الدنيا هو عالم الدنيا، وإلا ليس المراد من عالم الدنيا الأرض فقط، ما الأرض إلا ذرة صغيرة في هذا العالم، عالم الدنيا هو العالم الذي هو دون السماء الدنيا، فهم حجج الله على أهل الدنيا، أهل الدنيا في الأرض وفي كل المجرات في كل هذا العالم الوسيع، ونحن من خلال الروايات نجد أن لله الكثير الكثير من المخلوقات في هذا العالم في العالم الدنيوي، ليس في الأرض وإنما في هذا العالم الفسيح، الروايات تحدثنا عن ذلك، تحدثنا عن كثير من المخلوقات عن أعداد هائلة جداً من المخلوقات موجودة في هذا العالم الفسيح في العالم الدنيوي وهو العالم الذي دون السماء الدنيا.

هم حُجُج على كل هذه المخلوقات على المخلوقات التي نعرفها، التي لا نعرفها، التي نسمع أصواتها والتي لا نسمع أصواتها، التي نتمكن من رؤيتها إن كان ذلك بالبصر أو بالعقل والتي لا نتمكن من رؤيتها لا بالبصر ولا بالعقل، وهذا هو معنى الحُجَّة الإطلاقية، الآن الزيارة تتحدث عن الحجة الإطلاقية مثل ما تقدم الكلام عن الإراءة الإطلاقية الشهادة الإطلاقية الولاية الإطلاقية هذه الحجة إطلاقية مطلقة من دون قيود من دون حدود – **وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا** – حجج مطلقة على أهل الدنيا على كل ما في العوالم الدنيوية ما دون السماء الدنيا – **عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ** – الآخرة هو العالم الأخروي أو المراد هو ما يقابل العالم الدنيوي ما يقابل العالم الدنيوي يعني السماوات العوالم الأخرى أو المراد العالم الأخروي – **وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى** – ما المراد من الأولى؟ إذاً هناك ثلاث طبقات: الأولى هي المراتب العالية يعني أول الخلق الثاني، أليس هناك الخلق الأول ومن الخلق الأول تجلى الخلق الثاني وأول ما تجلى من الخلق الثاني السُرادقات والحُجُب والعرش والكرسي، الأولى هي تلكم المراتب العالية من عالم الخلق الثاني يعني العوالم

العلوية ما قد يصطلح عليه بالملكوت الجبروت اللاهوت ما يقع في هذه العناوين، ما يقع تحت عنوان الملكوت في مصطلحات العرفاء في مصطلحات الصوفية الفلاسفة ملكوت جبروت لاهوت هذا العالم الذي نحن فيه يسمى بعالم الناسوت بحسب اصطلاحهم نسبةً إلى الناس، يعني عالم ما دون السماء الدنيا سمي هكذا بعالم الناسوت اصطلاحاً، والعوالم الأخرى التي فوق هذا العالم سميت أيضاً على مراتب منها ما سمي بمراتب الملكوت مراتب الجبروت مراتب اللاهوت.

الأولى هي هذه العوالم – **وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** – مر الكلامُ فيها وإن كان هنا يمكن أن ننظر إلى حيثية أخرى إلى عناية أخرى، يعني حينما نقول في كل مقطع السلام عليكم يمكن أن نجد عناية أخرى في معنى السلام وعناية أخرى في معنى قول الزيارة – **وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** – لكن ذلك يحتاج إلى تطويل في الكلام وأنا أحاول أن اختصر المطالب حتى لا تتشعب على المشاهدين أكثر والمتابعين خصوصاً وإني أعلم هناك الكثير من الأخوة والأخوات ممن يكتبون ويتابعون ويتباحثون في هذه المعاني فلا أريد أن أشتت أذهانهم بكثرة التفاصيل – **وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا** – هذه الدنيا – **وَالآخِرَةِ** – عوالم الآخرة – **وَالأولى** – العوالم العلوية ما بعد عالم الناسوت من طبقات عوالم الملكوت والجبروت واللاهوت.

هناك رواية يرويها شيخنا المجلسي في الجزء الثامن من بحار الأنوار ينقلها عن كتاب الخصال لشيخنا الصدوق رحمة الله عليه، **عن جابر بن يزيد** – جابر الجعفي حامل أسرار أهل البيت – **قال: سألت أبا جعفر** – إمامنا الباقر صلوات الله عليه – **عن قول الله عزَّ وجلَّ:** ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ – أنتم تلاحظون إما أن نذهب إلى القرآن وإما أن نرجع للروايات فنجد أن الروايات مفعمة بآيات القرآن، فنحن ما بين قرآنٍ وبين عليٍّ وآل عليّ وتلك نعمةٌ لا نستطيع أن نشكرها – **عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عزَّ وجلَّ:** ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ **فقال: يا جابر تأويل ذلك أن الله عزَّ وجلَّ إذا افنى هذا الخلق وهذا العالم** – يعني العالم الدنيوي ما دون السماء الدنيا – **أن الله عزَّ وجلَّ إذا افنى هذا الخلق وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عزَّ وجلَّ عالماً غير هذا العالم** – مرت علينا الروايات من الذي يُسكِنُ أهل الجنة في جنانهم في الحلقة الماضية إن الله ينادي عليّاً يأمر عليّاً أن يُسكِن أهل الجنان في جنانهم وأهل النيران في نيرانهم وهنا الإمام يشير إلى تلكم الحقيقة – **أنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا افنى هذا الخلق وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عزَّ وجلَّ عالماً غير هذا العالم** – ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ

هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ - **جدد الله عزَّ وجلَّ عالماً غير هذا العالم** - بعد إفناء هذا العالم - **وجدد خلقاً من غير فحولةٍ ولا إناث يعبدونه ويوحدونه** - الملائكة هذه أوصافهم الملائكة ليس فيهم لا ذكران ولا إناث لا يوجد تزاوج بين الملائكة لا يوجد توالد وتناسل، فلربما من الملائكة أو ربما من خلقٍ يشبه الملائكة - **وجَدد خلقاً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم وسماءً غير هذه السماء تظلهم لعلك ترى أن الله عزَّ وجلَّ إنما خلق هذا العالم الواحد؟** - هذي رؤيا محدودة للبشر - **وترى أن الله عزَّ وجلَّ لم يخلق بشراً غيركم؟! بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين** - الإشارة هنا ليس للقضية الزمانية، الإشارة لكل العوالم في كل عالم هناك آدم، آدم لا بالمعنى البشري بمعنى الاستخلاف والرواية عميقة أنا لا أريد الآن الدخول في شرح الرواية ولكن هذه الرواية تشير إلى هذا المعنى، تشير إلى هذه العوالم المُمتدة العوالم الأولى العوالم الآخرة العوالم الدنيا العوالم التي ستتغير.

أهل البيت هم حُجّة مطلقة على العوالم الآن والعوالم التي ستأتي، وهناك روايات كثيرة تشير إلى هذا المعنى.

أنا أكتفي بهذا القدر أسألكم الدعاء جميعاً وإن شاء الله ألتقيكم في حلقة قادمة على مودة عليٍّ وآل عليّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، في أمان الله.

الحلقة التاسعة عشر

معنى السَّلامُ على محالِّ معرفةِ اللهِ ومساكنِ بركةِ اللهِ ومعادنِ حكمةِ اللهِ

السلام عليكم جميعاً أولياء عليٍّ وآل عليّ ورحمة الله وبركاته هذه الحلقة التاسعة بعد العاشرة من برنامج الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة، عَظَّمَ الله أجوركم فهذه أيامُ سيد الأوصياء وتَقَبَّل الله طاعاتكم كلامنا متواصلٌ في زيارتنا الجامعة الكبيرة في هذا القول البليغ الكامل الذي فاضت به شفاه إمامنا أبي الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه، في الحلقة الماضية تم الكلامُ في المقطع الثاني من المقاطع الرئيسة في هذه الزيارة الشريفة، الزيارةُ كما تعلمون وذكرت ذلك مراراً في الحلقات الماضية تبتدئُ بخمسة مقاطع هذه المقاطع هي الأصول هي القواعد هي الأسس في فهم بقية ما جاء مذكوراً في هذه الزيارة وحتى في فهم بقية الزيارات، مَرَّ علينا الكلامُ في مقطعين.

المقطع الأول:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ، وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ، وَأَبْوابَ الايمانِ، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ، وَسُلالَةَ النَّبِيّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالَمينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

المقطع الثاني:

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى، وَذَوِي النُّهى، وَأُولِي الْحِجى، وَكَهْفِ الْوَرى، وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ، وَالْمَثَلِ الأَعْلى، وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنى، وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

تمَّ الكلامُ في هذين المقطعين في الحلقات الماضية وأشرعُ اليوم في المقطع الثالث من المقاطع الخمسة الأُول من هذه الزيارة الكريمة ماذا يقولُ مقطعنا الثالث؟ **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ** – هذه العناوين الأربعة تتعانق فيما بينها في الدلالة والمضمون والفحوى والمعاني – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ**

اللهِ – أقف عند هذه العناوين من عناوين آل مُحَمَّد صلوات الله عليهم، أبينُ ما أستطيع بيانه بحسب ما يسنح به المجال.

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، أعتقد أن الكلمات من الجهة اللغوية واضحة ولكن بشكلٍ موجز أقول مَحَالّ جمعٌ لمحل ومحل هو اسمُ مكانٍ للحلول، حينما يكون هذا المكان محلاً لي فإني قد حللت فيه، هذا إذا كان الحديثُ عن الأشياء التي لها أبعاد مادية التي لها أجسام، وأما إذا كان الحديث عن معنىً أعمق من ذلك خصوصاً حين يكون الكلام ما وراء الأجسام ما وراء الحدود المادية فإن الحديث سينتقل إلى جهةٍ أخرى، البحثُ يتوجه باتجاهٍ آخر وهو التجلي تقول المحال يعني المجالي، المجالي يعني الوجودات الموجودات التي هي في حقيقتها كالمرائي تتجلى فيها آيات الله سبحانه وتعالى، مرآيا تتجلى فيها الأسماء الحسنى والصفات العليا – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – المعرفة في لغة العرب قد تأتي بمعنى العلم وقد تأتي بمعنى الخبرة، المعرفة في اللغة هذا، المعرفةُ هي العلم والمعرفةُ قد تأتي بمعنى الخبرة، لكن الكلام هنا عن المعرفة في بُعدٍ أعمق من المعنى اللغوي – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – وفقاً للبعد اللغوي وللتركيب اللغوي حين نقول: **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – نحن نسلمُ على الجهات على الأماكن على الموجودات التي هي محلٌ لمعرفة الله سبحانه وتعالى، هذا في المعنى اللغوي بشكلٍ مُجمل لكننا لا نقفُ عند هذا المعنى، المعاني اللغوية في ساحة المعارف الإلهية ليست بشيء، هذه قشور وقشور القشور، الكلامُ عن المعرفة في بعده الأول في بعده الإنساني المعرفة في الأفق الذي نحن نعيش فيه، المعرفة في الأفق الإنساني في الأفق الإنساني الاعتيادي لأمثالنا، المعرفةُ هي غيرُ العلم.

العلمُ صورٌ تنطبعُ في الذهن معلوماتٌ تُختَزنُ في ذاكرة الذهن، صورٌ وإشاراتٌ تتمازج ما بين المخ والدماغ وما بين العقل باعتبار أن المخ إنما هو يمثل الجانب الجسدي للعقل، العقلُ ليس في البدن، العقلُ إشعاعٌ في الروح، العقلُ قدرةٌ نوريةٌ مودعة في الروح، الروحُ فيها من القدرات المعنوية ومن القدرات النورية من جملتها قدرة العقل كما أن الروح فيها قدرة القلب والقلبُ يتجلى يتجسدُ جسدياً في هذا الموجود الذي نختزنه بين أضلاعنا، القلب ذلك الذي يُعَرِّفُه الأحيائيون بأنه ذلك الجسمُ الصنوبريُ الشكل الذي تكون قاعدته إلى الأعلى ورأسه إلى الأسفل وهو مضخة الدم التي نحتفظ بها في صدورنا بين الأضلاع، نحتفظ بها تحت شغافٍ هذا القلبُ هو الذي يتمازجُ مع الروح ليشرق منه معنى الوجدان ومعنى العاطفة ولتتأجج فيه المشاعرُ والأحاسيسُ والمحبةُ والبغضُ إلى كل ذلك من هذه المعاني، وهناك يختبئ الضمير هناك يختبئ الضمير الإنساني ذلك الذي قالوا عنه بأنه صوتُ الحق في أعماق الإنسان يختبئُ في طوايا القلب، هذا القلب الذي هو جسدٌ لحقيقة القلب المعنوي في الروح، قلب الإنسان في بعده الحقيقي في روحه وعقل

الإنسان كذلك، لكن كما أن الإنسان يتجلى جسدياً بهذا الجسد بهذا الجسم وحقيقته في روحه ما وراء الجسم فقلبهُ كذلك وعقلهُ أيضاً يتجسدُ في المخ، العلمُ صورةٌ تنطبعُ في الأذهان وتوجد لها إشاراتٌ كيميائية وأمواج مرسلة إلى المخ وبالتعانق ما بين القوة الروحية القادرة على التمييز وهي قدرة العقل وما بين طوايا وصفحات المخ هناك تكون الصورة العلمية، أما المعرفة فهي أبعدُ من ذلك، المعرفةُ صورُ تنطبع في الذهن، صورٌ تنطبع في العقل في أعلى درجات الوضوح، وفي نفس الوقت تنطبع في القلوب في الوجدان، هذه هي المعرفة صورٌ واضحةٌ جداً في العقل مع صورٍ واضحةٍ جداً في القلب، حينما تتعانق هذه الصور بنفس الدرجة بنفس المرتبة تلكم هي المعرفة لأن الصور العقلية صور جامدة خالية من البُعد الوجداني، المعرفة هي علمٌ ووجدان وتلك هي حقيقة الإيمان الإيمانُ معرفة والمعرفةُ إيمان، الإيمانُ ليس عقلياً وليس قلبياً، الإيمانُ سرٌ عجيبٌ وخلطةٌ لا تماثلها خلطة، إنها مزيجٌ ما بين العقل والوجدان حيث تنطبعُ الصورُ والحقائق في عالم العقل تتجسد بإشاراتٍ ذهنية وتنتقلُ هذه الصورُ وهذه الإشارات إلى عالمٍ فسيحٍ عجيب لا نمتلك عباراتٍ لوصفه إنه عالمُ الوجدان ذلك العالمُ الذي يتواصل مع الله هناك تنطبع الصور، حيثما تعمقت هذه الصور واضحةً جلية وتعانقت مع صورها مع النسخة الأخرى في العالم العقلي هناك المعرفة وهناك الإيمان ولذلك فالإيمانُ قدرة إدراكٍ تختلفُ عن قدرة الإدراك العقلي وعن قدرة الإدراك الوجداني.

إذا أردنا أن نكون منصفين في البحث، الإنسانُ يمتلكُ قدرة العقل ويمتلكُ قدرة الوجدان ويمتلكُ قدرة الإيمان، وبقدر ما يتم التواصل بين العقل وبين الوجدان ينشأ الإيمان يترعرع الإيمان وينمو إلى الدرجة التي ينطمس فيها العقل في الوجدان والوجدانُ في العقل فذلك هو اليقين وهذا المعنى يمكن أن يبلغ إليه من كان في مرتبة سلمان، سلمان الذي أُوتي العلمُ الأول والعلم الآخر هكذا وصفته كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا هو الكلام عن المعرفة في الأفق الإنساني الاعتيادي في أفق الأشياع والأتباع لا في أفق أهل البيت، فما أدراني بعقل أهل البيت وما أدراني بقلوبهم، هنا أتحدثُ عن عقلٍ كعقلي وعن قلبٍ كقلبي أتحدثُ عن عقولنا وعن قلوبنا أما حين يكون الحديثُ عن عقلٍ كعقل عليٍّ أو عن قلبٍ كقلب عليٍّ فما أدراني بذلك، أنا عاجزٌ عن أن أعرف ما يدورُ في كُنه عقل الذي بجانبي لأن لكل عقلٍ نحوٌ من الممازجة ونحوٌ من المعاملة مع ما فيه من المعلومات ليست العقول كلها تتفاعل مع معلوماتها بنفس الدرجة وبنفس الكيفية، العقولُ متباينة، إني أجهلُ أن أعرف كيف يتمازجُ أو يتفاعلُ عقل هذا الذي بجانبي من أمثالي فأنى لي أن أعرف كيف يتمازجُ أو يتفاعلُ عقلُ عليٍّ ذلك العقلُ الإحاطي، ما رأيت شيئاً إلا ورأيتُ الله قبله وبعده ومعه وفيه، ذلك العقل الإحاطي هو العقل الذي تمازجت فيه حقائق الروح مع حقائق الوجدان فكان عليٌّ حقيقةٌ واحدة فكان مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآل حقيقةً واحدة في بعدها في جوهرها العميق لا أريدُ أن أذهب بعيداً في هذه المعاني إنما أردت أن أعطيكم صورة مجملة عن معنى المعرفة –

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ – هذا هو المعنى المجمل لمعنى المعرفة، حين نخاطبهم فنقول: **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – هناك أكثر من أفق وهناك أكثر من اتجاه في هذه المخاطبة معهم صلوات الله عليهم – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – في أفقٍ يتناسب معنا نحن، فهم الجهة التي نأخذُ منها معرفة الله، هم الجهةُ التي تمدنا تفيض علينا بمعرفة الله سبحانه وتعالى، والزيارةُ الجامعةُ الكبيرةُ تفيضُ بهذه المعاني، ماذا تقول الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة ونحن نخاطبهم: **فَالرّاغِبُ عَنْكُمْ مارِقٌ، وَاللاّزِمُ لَكُمْ لاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ في حَقِّكُمْ زاهِقٌ** – وهنا موطن الشاهد – **وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ** – وهل هذا إلا معنى أنهم محال معرفة الله، أنهم محل معرفة الله في بعض نسخ الزيارة الجامعة الكبيرة: السلام على محل معرفة الله، والمعنى واحد لا نريد الدخول في التفاصيل اللغوية – **وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ** – وهل الحقُّ إلا معرفة الله؟!

فهم محالُ معرفة الله، غايةُ ما في الأمر هذه العبارة تفسرُ هذا العنوان: **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – ما المراد من محال معرفة الله؟ أن الحق معهم وفيهم ومنهم وإليهم وهم أهله ومعدنه، محل المكان الذي حلت فيه المعرفة فكيف كانت المعرفة؟ كانت معهم – **وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ** – ولذلك الزيارة الجامعة الكبيرة في مقطعٍ آخر ونحن نخاطبهم: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي** – الخطاب مع آل مُحَمَّد – **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي مَنْ اَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – هذه العبارة هي أيضاً تشرحُ معنى محال معرفة الله في الأفق الأول أنهم الجهةُ التي نأخذُ منها المعرفة، معرفتنا بالله منهم تأتي إذا لم تأتي منهم فتلك ضلال وما تلك بمعرفة – **مَنْ أَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – يعني الذي لا يبدأ بكم فإنه لا يريد الله – **مَنْ أَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ** – الذي لا يبدأ بكم فإنه لا يريد الله – **وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ** – يعني الذي لا يقبل عنكم فما وحد الله – **وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – يعني من لم يتوجه بكم ما قصد الله، إذاً البدايةُ والتوحيدُ والقصدُ والحقُّ والمعرفةُ من أين تأتينا؟! من محال المعرفة، أنت تريد أن تنال المعرفة؟ هناك جهة هذه الجهة هذه أوصافها الحقُ معها وفيها ومنها وإليها وهي أهله ومعدنه، وهذه الجهة هكذا نتعامل معها من أرد الله يبدأ بها لابد أن يبدأ بها ومن وحد الله لابد أن يقبل عنها أن يأخذ منها ومن أراد القصد إلى الله لابد أن يتوجه بها، المعنى أوضح وأدق حين تقول الزيارة: **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ** – نقطة وانتهى الكلام، أصلاً إذا وقفنا عند هذه العبارة وتشبعت بها القلوب لا حاجة إلى أن أستمر في الحديث – **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ** – نقطة انتهى الكلام لا حاجة أن أبدأ بسطرٍ جديد لا كما يُقال نقطة فلنذهب إلى رأس السطر إلى سطرٍ جديد لنفتتح الكلام من جديد – **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ** – نقطة انتهينا رُفِعت

الأقلام وجَفت الصحف كما كان يقول صلى الله عليه وآله وسلم حين يذكر كلاماً يتم فيه المعنى فماذا يقول؟ يقول رُفِعت الأقلام وجفت الصحف.

بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ – رُفِعت الأقلام وجفت الصحف، ولذلك حين يتمازجُ العقلُ مع القلب في معرفة الوجدان والإيمان العبارات هنا عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة هي ممازجة بين عالم العقل وبين عالم الوجدان ممازجة غريبة وعجيبة، خلطةٌ سرية، خلطةٌ سحرية لا يتمكن الواصف من أن يصفها، ممازجة غريبة في هذه الزيارة ما بين عوالم العقل وما بين عوالم الوجدان تغوص بعيداً في أغوار خلجات النفس البشرية لذلك تتسامى المعاني إلى أن يقول الزائر وهو في حيرةٍ بين سطوع البرهان العقلي وبين عذوبة المعنى الوجداني، فحين تتعانق الحجج العقلية مع المعاني النقية الطاهرة التي تنفثها القلوب يذهب الإنسان بعيداً في حيرته ولكن في حيرةٍ لذيذة، في حيرةٍ أحلى من طعم العسل وهو يقول: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ** – الحديث هنا يتجاوز البحث العقلي والبحث الوجداني، هذا هو حديث المعرفة، هذا هو حديثُ الممازجة بين العقل والقلب – **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ** – هنا يقف العقل البشري مع الوجدان البشري يطوف في هذه المعاني.

هذه العبارات لا على نحو التحديد هذه العبارات بسبب طواف العقل والقلب في تلكم الحقائق المقدسة، اللغة هنا تقف عاجزة لكن هذه العبارات هي أبلغ ما تكون فهذا هو القولُ البليغ الكامل، العقلُ والقلب هنا يطوف في هذه الدائرة المقدسة – **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ وَأَجَلَّ خَطَرَكُمْ وَأَوْفَى عَهْدَكُمْ وَأَصْدَقَ وَعْدَكُمْ كَلامُكُمْ نُورٌ** – وهذا هو كلامهم – **كَلامُكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوَى وَفِعْلُكُمُ الْخَيْرُ وَعَادَتُكُمُ الْإِحْسَانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَرَمُ وَشَأْنُكُمُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ** – ولو كانت هناك عبارات أخرى لجيء بها – **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلائِكُمْ** – ليس هناك من طريقٍ إلا الإيمان، والإيمانُ الممازجةُ بين العقل والوجدان وتلكم هي المعرفة، وهذا في أفقٍ المعرفة التي نحن نعيشها، وإلا في أفق معرفة أهل البيت المعاني مختلفة.

هذا هو الجزء الرابع والعشرون من كتاب بحار الأنوار أقتطفً بعضاً من كلمات الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية ينقلها الشيخُ المجلسي عن الاحتجاج لشيخنا الطبرسي رحمة الله عليه، **عن الأصبغ بن نباته قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاءه ابن الكوا فقال: يا أمير المؤمنين قول الله عزَّ وجلَّ:** ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ – يسأله عن معنى هذه الآية – **فقال سيد الأوصياء: نَحنُ البيوت التي أمر الله أن تؤتى من أبوابها نَحنُ باب الله وبيوته التي يؤتى منها** – بيوت، محال المعرفة، هم بيوت الله، هم محالُ معرفة الله – **نَحنُ البيوت التي أمر الله أن تؤتى من أبوابها نَحنُ باب الله وبيوته التي يؤتى منها فمن بايعنا وأقر بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ومن خالفنا وفَضَّلَ علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها، فقال يا أمير المؤمنين:** ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ – سؤال عن آية ثانية والآيات مترابطة في الدلالة – **فقال عليٌّ عليه السلام: فنحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونَحنُ الأعراف الذين لا يُعرَف الله إلا بسبيل معرفتنا** – موطن الشاهد هنا – **ونَحنُ الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ونَحنُ الأعراف يوم القيامة بين الجنة والنار** – هذه مظاهر، هذه آفاق لمعنى الأعراف – **ونَحنُ الأعراف يوم القيامة بين الجنة والنار فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه وذلك بأنَّ الله عزَّ وجلَّ لو شاء عَرَّفَ الناس نفسه حتى يعرفوه ويأتوه من بابه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه قال فمن عَدَلَ عن ولايتنا وفَضَّلَ علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون** – الرواية واضحة في الدلالة والمعنى.

هم بيوت الله، بيوت محال، هم بيوت الله وهم أبواب الله، البيوت لها أبواب هذا في العالم الدنيوي في العالم الحسي في عالم الحقيقة هم بيوت الله وهم أبواب الله وهم معرفة الله، في المعنى الدقيق في المعنى العميق إذا أردانا أن نسلم على الأئمة فنقول: السلام على معرفة الله – هذا التعبير تعبير تقريبي – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – فوجود أهل البيت وجودهم هو معرفة الله ومعرفة الله هو وجودهم ولكن ما يظهر لأمثالنا إنما هو بحسب عقولنا بحسب قدرات الإدراك الموجودة عندنا وإلا فهم بيوت الله وهم أبواب الله، أليس الأبواب هي غير البيوت؟ لكن هذا في الجانب الحسي فهم أبواب الله وهم بيوت الله والأبواب هي البيوت والبيوت هي الأبواب، وهذه البيوت بيوت المعرفة فالمعرفة هي البيوت والمعرفةُ هي الأبواب فالمعرفة هي الأبواب وهي البيوت والبيوت هي المعرفة وهي الأبواب والحقيقةُ هيَ هي، السلام على معرفة الله، هم معرفة الله سبحانه وتعالى وما المراد: السلام على معرفة الله، السلام على نور الله، هذا النور الساطع فيهم صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين والذي الإشارةُ إليه في دعاء الجوشن الكبير، ماذا نقرأُ في دعاء الجوشن في المقطع السابع والأربعين وهذه ليالي دعاء الجوشن، دعاء الجوشن الكبير في المقطع السابع والأربعين: **يَا نُورَ النّور يَا مُنَوِّرَ النّور يَا خَالِقَ النّورَ يا مُدَبِّرَ النّور** – هذه تجليات، هذه مراتب من التجليات – **يَا نُورَ النّور يَا مُنَوِّرَ النّور يَا خَالِقَ النّورَ يا مُدَبِّرَ النّور يَا مُقَدِّرَ النّور يَا نُورَ كُلِّ نُور يَا نُوراً قَبلَ كُلِّ نُور يَا نُوراً بَعدَ كُلِّ نُور يَا نُوراً فَوقَ كُلِّ نُور يَا نُوراً لَيسَ كَمِثْلَه نُور** – هذه معرفة أهل البيت أنا لا أعرف أسرار هذه المعرفة لكنها إشاراتٌ تشير إلى معرفة أهل البيت، هذه معرفة أهل البيت، هذا المقام مقامُ أهل البيت في معرفة الله سبحانه وتعالى – **يَا نُورَ النّور يَا مُنَوِّرَ النّور يَا خَالِقَ النّورَ يا مُدَبِّرَ النّور يَا مُقَدِّرَ النّور يَا نُورَ كُلِّ نُور يَا نُوراً قَبلَ كُلِّ نُور يَا نُوراً بَعدَ كُلِّ نُور يَا نُوراً فَوقَ كُلِّ نُور يَا نُوراً لَيسَ كَمِثْلَه نُور** ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾ هو هذا النور ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ **يَا نُورَ النّور يَا مُنَوِّرَ النّور يَا نُوراً لَيسَ كَمِثْلَه نُور** – هذه هي معرفة أهل البيت.

إشاراتٌ فقط الحقيقة ما هي؟ ذلك شيءٌ محجوبٌ عنا، هذا المعنى يتجلى في نَسَقٍ آخر في المقطع السابع والثلاثين، المقطع الذي مر علينا هو المقطع السابع والأربعون وحتى ترتيب هذه المقاطع هذا الترتيب ليس ترتيباً جزافياً هكذا، أدعية أهل البيت نظام دقيق وفيها شفرات فيها أسرار، هناك فيها شفرة خاصة، هذا في المقطع السابع والثلاثين فيما بين هذا المقطع وذلك المقطع عشرة – **يا من كل شيءٍ خاضعٌ له يا من كلُ شيءٍ خاشعٌ له يا من كلُ شيءٍ كائنٌ له يا من كلُ شيءٍ موجودٌ به يا من كلُ شيءٍ منيبٌ إليه يا من كلُ شيءٍ خائفٌ منه يا من كلُ شيءٍ قائمٌ به يا من كلُ شيءٍ صائرٌ إليه يا من كلُ شيءٍ يسبح بحمده يا من كلُ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه** – كل هذه المعاني تتجلى في وجهه – **يا من كل شيءٍ خاضعٌ له** – كلُ شيءٍ خاضعٌ لوجهه – **يا من كلُ شيءٍ خاشعٌ له** – كلُ شيءٍ خاشعٌ لوجهه – **يا من كلُ شيءٍ كائنٌ له يا من كلُ شيءٍ موجودٌ به يا من كلُ شيءٍ منيبٌ إليه يا من كلُ شيءٍ خائفٌ منه يا من كلُ شيءٍ قائمٌ به** – هذه الأشياء كلُ شيء خاضعٌ له أين تتوجه الأشياء بالخضوع؟ – **يا من كلُ شيءٍ خاشعٌ له** – أين تتوجه الأشياء بالخشوع؟ – **يا من كلُ شيءٍ كائنٌ له** – أين تتوجه الأشياء بكينونتها؟ – **يا من كلُ شيءٍ موجودٌ به** – كيف تتقدمُ وتتقومُ هذه الأشياء بوجودها؟ – **يا من كلُ شيءٍ مُنيبٌ إليه يا من كلُ شيءٍ خائِفٌ منه يا من كلُ شيءٍ قائمٌ به يا من كلُ شيءٍ صَائرٌ إليه يا من كلُ شيءٍ يسبح بِحمده يا من كلُ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه** – كل ذلك سيهلك ويهلك ولكن قبل هلاكه أين كان متوجهاً في خشوعه في

خضوعه في وجوده في كينونته في إنابته في خوفه وفي سائر المعاني، متوجهٌ إلى الجهة التي لا تهلك – **يا من كلُ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه** – هذا الوجه الذي جاء مذكوراً في المقطع السابع والثلاثين هو نفس هذه المعاني التي جاءت في المقطع السابع والأربعين – **يا نور النور** – هذا الوجه هو نور النور، أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معرفتهم تختلفُ عن معرفتنا وسيتبين هذا من خلال ما سأأتي على بيانه في كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أعودُ إلى الأفق الذي كنت أتكلم فيه وهو معرفتنا – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – السلام على الجهة التي تأتينا معرفة الله منها، الكلامُ عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه في تفسير علي بن إبراهيم القمي – **فمن عَدَلَ عَن ولايتنا وفضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون فلا سواء من اعتصمت به المعتصمون لا سواء من اعتصم به الناس ولا سواء حيثُ ذهب من ذهب فإنما ذهب الناس إلى عيونٍ كدرة يفرغُ بعضها في بعض** – عيون كدرة، العيون التي لا يأتيها الفيضُ ولا يأتيها النبعُ من مُحَمّدٍ وآل مُحَمَّد من معدن الطهارة فإنها عيونٌ كدرة في علمها في معرفتها – **فإنما ذهب الناس إلى عيونٍ كدرة يفرغُ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيونٍ صافية** – هناك فارقٌ بين هذه العيون وبين تلكم العيون – **فإنما ذهب الناس إلى عيونٍ كَدرة يفرغُ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيونٍ صافية تَجري عليهم بإذن الله تعالى لا انقطاع لها ولا نفاذ.**

عن سعدٍ بن طريف عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ **قال يا سعد آل مُحَمَّد** – هؤلاء آل مُحَمَّد – **لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه وأعراف** – هم أعراف – **لا يُعرَف الله إلا بسبيل معرفتهم** – وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ، بسبيل معرفتهم، وأعرافٌ هم آل مُحَمَّد – **لا يُعرَفُ الله إلا بسبيل معرفتهم.**

الروايةُ في بصائر الدرجات، **قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: يا عليّ ثلاث أقسمُ أنهن حق** – رسول الله يُقْسِم – **ثلاث أقسمُ أنهن حق إنك والأوصياء** – الأوصياء من ولدك يا أبا الحسن – **إنك والأوصياء عرفاء لا يُعرَفُ الله إلا بسبيل معرفتكم** – هذه القضية الأولى والثانية رسول الله قال – **يا عليّ ثلاث أقسم أنهن حق** – الأولى – **إنَّكَ والأوصياء عرفاء لا يُعرَف الله إلا بسبيل معرفتكم** – الثانية – **وعرفاء لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه** – الثالثة – **وعرفاء لا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه.**

عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله، عن قوله تعالى:

﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ **قال: نَحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منّا** – هناك رابطٌ هذه المعرفة كيف يعرفونه، هناك رابط، هناك ارتباط، هناك جاذبٌ يجذبه إليهم وهناك جاذبٌ يجذبهم إليه – **نَحنُ أصحاب الأعراف فمن عرفناه** – بأي شيءٍ يعرفونه؟ يعرفونه بهذه المعرفة التي نتحدثُ عنها الآن، حين تتمازج العقول مع القلوب في معرفة أهل البيت يسطعُ نور الإيمان – **نَحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منّا ومن كان منّا كان في الجنة** – وأنتم الجنة والله يا آل مُحَمَّد أنتم جنتنا في الدنيا والآخرة – **نَحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منّا ومن كان منّا كان في الجنة ومن أنكرناه كان في النار** – وأنتم جنتنا وبعدكم هو نارنا، كلمات أهل البيت تتوالى كثيرةٌ وفيرة ولكن الوقت لا يكفي لإيرادها أقتطفُ منها شيئاً من هذه الكلمات على نفس هذا النَسَق.

عن أبان بن عمر ختنُ آلُ مِيثم قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام – ختنهم يعني صهرهم – **كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه سفيان بن مصعب العبدي فقال: جعلني الله فِداك ما تقول في قوله تعالى ذكره:** ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ **قال: هم الأوصياء من آل مُحَمَّد الأثنا عشر لا يعرف الله إلا من عرفهم وعرفوه** – كلمة واضحة صريحة جلية – **قال: هم الأوصياء من آل مُحَمَّد الأثنا عشر لا يعرف الله إلا من عرفهم وعرفوه قال فما الأعراف** – وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ – **فما الأعراف جُعلتُ فداك قال: كثائب من مسك** – كثائب جمعُ كثيب والكثيب هو التلة، تل – **قال: كثائب من مسك** – هذه مجرد معاني تقريبية – **قال: كثائب من مسك عليها رسول الله صلى الله عليه وآله والأوصياء يعرفون كلاً بسيماهم فقال سفيان: فلا أقول في ذلك شيئاً من شعر** – لأنه كان شاعراً فقال أبياتاً من جملة ما قال فيها

وأنتم على الأعراف وهي كثائبٌ من المسك ريّاها بكم يتضوعُ

رياها عطرها، الريا العطر، يتضوع يعني ينتشرُ طيباً وطيباً وطيباً، الروايةُ هنا تتكلم بلسان الرمز كثائب من مسك، تلال من المسك، الحديث هنا عن مقامٍ من مقاماتهم عن المكان الذي ثبتت فيه أقدامهم، هم على الأعراف والأعراف كثائب من مسك والمسكُ هو عطرُ رسول الله صلى الله عليه وآله، المسكُ هو عطرُ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، الروايات تترا في ذلك وهنا ينقل شيخنا المجلسي كلاماً عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه ينقلهُ من نهج البلاغة الشريف قال أمير المؤمنين عليه السلام: **إنما الأئمة قوام الله على خلقه وعُرفاءه على عباده لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه –**

الكلمة واضحة لسيد الأوصياء – **إنما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاءه على عباده لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه** – الروايات كثيرة في هذا الجلد وفي مجلدات أخرى عديدة وفي كتب أخرى كثيرة، روايات أهل البيت أحاديثُ أهل البيت بالمئات بل بالآلاف كلها تصبُ في هذه الساقية، كلها تنبعُ من عين هذا النبع، كلها تدلُ على هذه الحقائق لكن أولئك الذين أعمت الدنيا بصائرهم أولئك لا كلام لنا معهم ونحن هنا لسنا في مقام الجدل أو النقاش مع هذا الجاهل أو مع ذلك الضال أو مع ذلك الذي في ريبه يتردد أو مع ذلك الذي لا يعلمُ شيئاً من حديث أهل البيت وإن وضعت له أسماء ومسميات وألقاب، حديثنا هنا هو حديثُ الحب، حديثنا هنا هو حديث الهيام، حديثنا هنا حديث المعرفة مع أولئك الذين تتقطع قلوبهم شوقاً لمعرفة آل مُحَمَّد، حديثنا مع أولياء أهل البيت مع تلك القلوب التي سكن فيها عليٌّ وتتأبى تلك القلوب أن يخرج عليٌّ منها صلوات الله وسلامه عليه، تلك القلوب التي حبست علياً في محبسها، تلك القلوب التي ما فارقت علياً ولا فارقها عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه، حديثنا مع هذه القلوب لا مع أولئك الذين انتكس وجدانهم والذين عثر حظهم عثرةً لا أعتقدُ أن يُقالوا بعدها لا إقالة بعدها إلا برحمةٍ من الله سبحانه وتعالى إلا بشفاعةٍ من إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه فالأمرُ إليه وبيده والحقُّ معه وفيه ومنه وإليه وهو صاحبه وهو معدنه ومرد الأمر إليه.

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، المعنى الأول هم الجهة التي نأخذُ منها معرفة الله سبحانه وتعالى وأعتقد أن في هذه البيانات ما أوضح الصورة من أن معرفة الله على النحو العلمي نأخذها منهم وعلى النحو القانوني الله سبحانه وتعالى وضع قانون وضع سنن وضع قانون فإنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه هذا قانون، هم محال معرفة الله، هم مصدرنا العلمي مصدرنا المعرفي مصدرنا اليقيني وهم مصدرنا التربوي – **وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – هم مصدر المعرفة والعلم – **مَنْ اَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ** – توحيده معرفته تأتي من قبلهم – **وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – الحركة باتجاه الله سبحانه وتعالى لابد أن تكون بواسطتهم – **وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – هذه الباء باء الواسطة باء السببية بسببهم يكون التوجه المعرفةُ منهم وإليهم وبهم صلوات الله عليهم، وقانون المعرفة أنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، فهم من هذه الجهة محال معرفة الله ومن كل تلكم الجهات التي مرت الإشارةُ إليها هم محالُ معرفة الله وهذا بالنسبة لنا في أفق المعرفة الإنسانية، أما حينما يكون المعنى أعمق من ذلك حين يكون المعنى معنى أن البيوت هي الأبواب والأبواب هي البيوت وأن المعرفة هي محال المعرفة ومحال المعرفة هي المعرفة فحينئذٍ يكون الكلام بنحوٍ آخر، ذلك شيءٌ خاصٌ بهم صلوات الله عليهم فنحن هنا نسلم عليهم – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – في أفق معرفتنا كما بينتُ قبل قليل وأيضاً نسلم عليهم على أنهم هم معرفة الله، هم المعنى الأجلى لمعرفة الله

فمعرفة الله ليست صوراً ذهنية وليست عواطف ومشاعر وأحاسيس، معرفة الله هي حقيقة الوجود، هذا الوجود هو معرفة الله وهم معرفة الله.

حين نقرأُ مثلاً في المناجاة الشعبانية وهي من كنوز الأدعية التي وردت عن أهل البيت، حين نقرأ: **إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بَكَ غيرُ مَجهول ومن لاذَ بَكَ غير مخذول ومن أقبلت عليه غير مملول إلهي إنَّ من انتهج بك لمستنير وإن من اعتصم بك لمستجير** – موطن الشاهد هنا: **إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بك غير مَجهول** – غير مجهول يعني أصبح ذاتاً معروفة – **إنَّ من تَعَرَّفَ بك غير مَجهول** – أنا قلت قبل قليل مناجيات الأئمة أدعية الأئمة زياراتهم توجد فيها رموز وشفرات خاصة من اهتدى إليها يستطيع أن يفكك معاني الأدعية ومعاني الزيارات – **إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بك غيُر مَجهول** – الذي يتعرف به هو غير مَجهول، العبارة هنا لا تشير إلى معنىً عُرفي ولا تشير إلى معنىً لغوي في حاق اللغة فقط، إن من تَعَرَّف بك من حلت فيه المعرفة فهو غير مجهول، كيف يكون غير مجهول؟ لأنه سيتمازج مع المعرفة فيعود معرفةً، وهذه المنزلة منزلةٌ خاصة بهم صلوات الله عليهم – **إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بك** – يعني من حلَّت فيه معرفتك – **غير مَجهول** – كيف صار غير مجهول؟ لأنه امتزج بالمعرفة والمعرفة امتزجت به فصار معرفةً لربما هناك إشارة أوضح من ذلك ما جاء في دعاء سيد الشهداء في يوم عرفة، ماذا يقول سيد الشهداء؟

ها أنا أتوسل إليك بفقري إليك وكيف أتوسل إليك بما هو مَحالٌ أن يصل إليك أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يَخفى عليك أم كيف أترجم بِمَقالي وهو مِنك بَرَزَ إليك – هناك قراءتان – **وهو منك بَرَزٌ إليك، وهو منك بَرَزَ إليك** – والقراءتان صحيحتان والمعنى واحد – **أم كيف أترجم بِمقالي وهو منك بَرَزَ إليك** – الذي يتدبر في هذه العبارة يجد المعنى واضحاً – (**إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بك غير مَجهول) أم كيف أترجم بِمقالي وهو منك** – هو مقالي وهو منك – **أم كيف أترجم بِمقالي** – هذا مقالي – **وهو منك بَرَزَ إليك** – التدقيق عند هذه العبارة، أنا قلت قبل قليل الأدعية والزيارات فيها شفرات مفاتح خاصة تُفتح من خلالها الأسرار الكامنة والمودعة في هذه الأدعية وفي هذه الزيارات – **أم كيف أترجم بِمقالي وهو منك** – مقالي وهو منك، هو مقالي وهو منك، منك وبرز إليك – **ها أنا أتوسل إليك بفقري إليك وكيف أتوسل إليك بِما هو مَحالٌ أن يصل إليك أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يَخفى عليك أم كيف أترجم بِمقالي** – الذي هو مقالي – **وهو منك بَرَزَ إليك** – فهو برز مني وهو برز منك وهو برز إليك – **أم كيف أترجم بِمقالي وهو مِنك بَرَزَ إليك** – لا أذهب بعيداً ربما يتقرب المعنى شيئاً فشيئاً كما جاء في سورة الأنفال وهي تخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ما رميت إذ رميت نفي وإثبات ونسبة إلى الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ

رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾ **أم كيف أترجم بِمقالي وهو منك بَرَزَ إليك** – هذه منزلة أهل البيت هذه العبارات لا تنطبق علينا أبداً هذه معرفة أهل البيت – **أم كيف أترجم بِمقالي** – مقالي أنا – **وهو منك** – هو مني ومنك – **وهو منك بَرَزَ إليك** – هذه المنزلة التي تتمازج فيها المعرفة مع الذات فتعود الذات هي المعرفة والمعرفة هي الذات وهذه منزلةٌ ومرتبةٌ خاصة بأهل البيت.

حين نقول: **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – السلام على معرفة الله، ومعرفة الله كما قلت في هذا المقام ليست صوراً ليست أوهاماً، معرفة الله هناك حقيقة، الحقيقة هذه المعنى الذي مرَّ علينا في كثيرٍ من الأدعية في كثيرٍ من النصوص كما مرَّ علينا في دعاء ليلة المبعث الشريف وفي دعاء يوم المبعث الشريف وهو من أهم الأدعية التي تحدثت عن أعمق الحقائق – **فَأسألُكَ بِهِ وَبِاسْمِكَ الأَعظَمِ الأعظَمِ الأَعظَم الأَجَلِّ الأَكْرَم الّذي خَلَقتَهُ فَاسْتَقَرَّ في ظِلِّك فَلا يَخرُجُ مِنكَ إلى غَيرِك** – معرفة أهل البيت هي هذه، القضية ليست صور أو خطرات، مثلاً نحن نقرأ في أدعية شهر رجب: **يَا مَن سَمَا في العِزِّ فَفَاتَ نَواظِرَ الأبصَار** – الحديث هنا عن المعرفة الإنسانية، الحديث حتى عن معرفة الأنبياء، الحديث في هذا الأفق حين قال صلى الله عليه وآله: **ما عرفناك حق معرفتك** – هذه الكلمة منقولة عن النبي الأعظم – **ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حقَّ عبادتك** – هذا الأفق الإنساني هذا أفق النبوات الأرضية – **يَا مَن سَمَا في العِزِّ فَفَاتَ نَواظِرَ الأبصَار وَدَنا في اللُّطفِ.**

هذا في أدعية شهر رجب التي يستحب قراءتها في كل يوم: **يَا مَن سَمَا في العِزِّ فَفَاتَ نَواظِرَ الأبصَار وَدَنا في اللُّطفِ فجاز هواجس الأفكار يا من توحد بالمُلكِ فلا ند له في مكلوت سلطانه وتفرَّد بالآلاء والكبرياء فلا ضِدَ له في جبروت شَانِه يا من حَارت في كبرياء هَيبتهِ دقائقُ لطائِفُ الأوهام وانحسرت دون إدراك عظمَتهِ خطائف أبصار الآنام يا مَن عَنَت الوجوه لهيبته وخضعت الرقاب لعظمته ووجلت القلوب من خِيفَتِه أسألك بهذه المدحة التي لا تنبغي إلا لك** – إلى آخر الدعاء الشريف، حين نردد هذه الكلمات: يا من حارت في كبرياء هيبتهِ دقائق لطائف الأوهام وانحسرت دون إدراك عظمَتهِ خطائف أبصار الآنام، الحديث في أفق المعرفة الإنسانية في أعلاها في أفق المعارف النبوية في عالم الأرض، أما هنا حين تكون الإشارة إلى هذا المضمون في سلامنا على الأئمة – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – السلام على معرفة الله فمعرفة الله ليست صوراً وليست خيالات، معرفة الله حقيقةٌ خُلِقت فاستقرت في ظله فلا تَخرج منه إلى غيره، معرفة الله في أتم مجلاها هو ذلك الاسم الأَعظَمُ الأَعظَم الأعظم الذي خلقتهُ فاستقر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك، هذا هو محل معرفة الله والمحل هنا هو المعرفة والمعرفة هو المحل – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – أنتم سادتي وأوليائي كما يقول حُسيننا صلوات الله عليه: **أم كيف أترجم**

بمقالي وهو منك بَرَزٌ إليك وهو منك بَرَزَ إليك – بَرَزٌ هنا اسم أما بَرَزَ فهو فعل – **أم كيف أترجم بِمقالي وهو منك بَرَزَ إليك** ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ أولئك هم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – هم الذين بسبيلهم وبسببهم نعرف الله سبحانه وتعالى وهم حقيقة معرفة الله في هذا الوجود.

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ. مساكن جمعٌ لمسكن والمسكن هو المكان الذي يُسكن فيه يُستقر فيه، مسكن من السكون والسكون هو الاستقرار هو عدم الحركة، مساكن جمعُ مسكن والمسكن المكان الذي تنتهي فيه الحركة، هناك استقرار لذلك يقال لبيت الإنسان مسكنهُ لماذا؟ لأنه في خارج البيت يسافر يذهب يعمل يتنقل في أجواء الحياة حين يعود إلى بيتهِ فإنه يسكن، كل تلك الحركات قد انقطعت حينما وصل إلى بيتهِ فهو محل السكون محل الاستقرار – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ** – المساكن بنفس الكلام الذي مر أما البركة فالمراد من البركة في لغة العرب الزيادة بارك فيه أضاف إليه أزاد إليه، البركة هي الزيادة وهي النماء في لغة العرب، وشيءٌ مبارك شيءٌ يزداد يوماً فيوم ينمو يوماً فيوم – **وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ** – هذا العنوان إذا أردنا أن نترجمهُ يعني أنهم الجهة أنهم المحل أنهم المسكن الذي حلت فيه بركة الباري سبحانه وتعالى وبركة الباري تفيض وتفيض، بركة الباري تزداد وتزداد، بركة الباري لا انقطاع لها فمن أراد البركة فعليه بهذه المساكن – **وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ** – البركة من هناك تفيض تنمو وتزداد هو هذا المعنى المُجمل لبركة الله سبحانه وتعالى – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – فحيثما حلت المعرفة حلت معها البركة – **وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ** – إذا كانت هذه المعرفة في الأفق الإنساني فإن هذه المعرفة إذا ما حلت في قلوبنا تطهرت هذه القلوب.

إذا حلت معرفة الله في عقل الإنسان في قلب الإنسان فإن ذلك العقل فإن ذلك القلب قد تطهر وقد بدأ ينمو بدأ يزداد نوراً لأن المعرفة الحقيقية تتوالد منها معرفة ومعرفة، أنا قلت المعرفة حين يتعانق المعنى العقلي مع المعنى القلبي أما حين تكون المعلومات العقلية على حِدا والمعلومات القلبية على حِدا فليست هناك من معرفة، هناك إحساس وجداني في القلب وهناك معلومات في العقل هذا الإنسان لا يقال له عنده معرفة هذا الذي يملك علماً في عقلهِ ويملك صوراً في وجدانهِ من دون أن تتعانق هذه المعلومات، كيف تتعانق هذه المعلومات؟ على سبيل المثال من استعان بغير الله ذَل، الاستعانة بغير الله مذلة هذه الحقيقة عقلاً نحن المؤمنون نعتقد بها ويمكن أن نأتي بأدلةٍ كثيرة على اثباتها ويمكن للإنسان أن يرى حوادث في الحياة في التأريخ وفي الواقع المُعاش تُدلل على هذه القضية ويمكن أن يتلمس هذه الأمور في حياتهِ في بعض الأحيان وفي القلب نحس هذا المعنى لكننا في الحياة العملية في كثيرٍ من الأحيان لا نستطيع أن نعمل بهذه القاعدة

فنستعين بغير الله، في أمورٍ كثيرة يجب علينا أن نستعين بالله فقط لكننا لا نستعين بالله لماذا؟ العقل يقر بذلك والقلب يستشعر بذلك لكن القضية ما وصلت إلى الحد الذي تعانق القلب والعقل فحركا الإنسان بذلك الاتجاه، لأن العقل يقول من استعان بغير الله ذل لكن القلب متردد، الذي يحرك الإنسان هو القلب النية، القلب متردد لا يستشعر هذا المعنى بشكل عملي يرددهُ في اللسان والعقل يقرهُ لكن حين يواجه الإنسان الحياة العملية يستعين بغير الله، هذا هو خلاف المعرفة لا تسمى معرفة هذه، المعرفة حين يمتزج العقل مع القلب في نفس الوقت العقل يقول من استعان بغير الله ذل والقلب يدفع الإنسان لأن القلب أيضاً عنده هذه القضية واضحة وقد مُلئ القلب بها، هذه هي المعرفة تعانق بين الفكر العقلي والفكر القلبي، من لم يملك هذه المرتبة لا يقال عنده معرفة حتى لو كانت عنده معلومات كثيرة، لو ملك كل المعلومات في الأرض ما لم يكن هناك تعانق فيما بين الفكر القلبي والعقلي وبأفق واحد متقارب بحيث أن العقل والقلب يعملان في آنٍ واحد في نفس الاتجاه لا أن العقل يقول شيء والقلب يقول شيء، العقل يقول من استعان بغير الله ذل والقلب يقول له لا هذه مخاطرة لابد أن تستعين بفلان وفلان.

هذا مثال أنا لا أقصد المعرفة هي هذه فقط، هذا مثال يقرب المعنى، المعرفة إذاً هي هذه، فحينما تحل المعرفة في قلب فإن البركة تحل في ذلك القلب قطعاً هذا في الأفق الأول إذا كان الحديث عن المعرفة الإنسانية التي هي في الأفق الذي نعيش فيه، أما إذا كان الحديث عن أهل بيت العصمة في مقام الاسم الأَعظمِ الأَعظَمِ الأعظم الأعز الأجلَّ الأكرم تلك قضيةٌ أخرى في تلك المرتبة يكونون هم معرفة الله – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ** – مساكن بركة الله حينما تتجسد معاني المعرفة تتجسد معاني البركة ونحن قطعاً لا نُدرِكُ شيئاً من هذه الحقائق.

في الجزء السادس والعشرين من بحار الأنوار هذه الكلمة ينقلها جابر بن يزيد الجعفي عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، هذه الكلمة ينقلها جابر عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه وبِمسمعٍ من الإمام الباقر الإمام يقول: **يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني** – يحدثهُ عن الحقيقة بكل معناها، يُحدثهُ عن المعرفة وعن البركة: اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ – **يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني أما إثباتُ التوحيد معرفة الله القديم الغائب الذي لا تدركهُ الأبصار وهو يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وهو غيبٌ باطن ستدركهُ كما وصف به نفسه** – ستدركهُ في أي مقام؟ بعد أن تتجلى لك المراتب الأخرى من المعرفة – **يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني أما إثباتُ التوحيد معرفة الله القديم الغائب الذي لا تُدركهُ الأبصار وهو يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وهو غيبٌ باطن ستدركهُ كما وصف به نفسه وأما المعاني** – كيف يتم الإدراك؟ من خلال المعاني – **قال: ستدركهُ**

وهو غيبٌ باطن ستدركهُ كما وصف به نفسه – فكيف ندرك الحقيقة؟ أليس من خلال معناها – **وأما المعاني فنحن معانيه** – نحن معاني الله – **وأما المعاني فنحن معانيه ومظاهرهُ فيكم** – أهل البيت هم معاني الله – **وأما المعاني فنحن معانيه ومظاهرهُ فيكم اخترعنا من نور ذاته وفَوَّض إلينا أمور عباده** – فهم مساكن بركة الله، البركة الفيض أمور العباد مفوضة إليهم هذه البركة مرتبطة بالمعرفة أنا قلت هذه العبارات يرتبط بعضها بالبعض الآخر – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ** – البركة مرتبطة بهذه المعرفة، هذه المساكن هي التي تفيض بفيض الله – **وأما المعاني** – وهي المعرفة – **فنحن معانيه ومظاهرهُ فيكم اخترعنا من نور ذاته وفوَّض إلينا أمور عباده فنحن نفعل بأذنهِ ما نشاء** – هذا هو مقام مساكن بركة الله – **فنحن نفعل بأذنهِ ما نشاء ونَحنُ إذا شئنا شاء الله وإذا أردنا أراد الله ونَحنُ أحلّنا الله عزَّ وجلَّ هذا المحل** – محل المعرفة ومسكن البركة، المسكن هو محل – **ونَحنُ أحلنا الله عزَّ وجلَّ هذا المحل واصطفانا من بين عباده وجعلنا حُجتهُ في بلاده** – فهم محال معرفة الله وهم مساكن بركة الله.

الفيض قادمٌ إلينا منهم والفيض قادمٌ إلينا بهم فهم السبب وهم السبيل – **فما شيءٌ منا** – كما في زيارة الناحية المقدسة في زيارة الندبة حين نزور الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه، الناحية المقدسة هو عنوانٌ لإمام زماننا، الناحية المقدسة ليست عنواناً لزيارةٍ واحدة، الناحية المقدسة هو اسمٌ للإمام الحجة، حينما نقول قد ورد هذا من الناحية المقدسة يعني من الجهة المقدسة، هذا اسمٌ تستعمله الشيعة منذ الأزمنة القديمة فحينما نقول زيارة الناحية المقدسة إما أن تكون هذه الزيارة وردت من الناحية المقدسة أو زيارة نزور بها الناحية المقدسة – **فما شيءٌ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل** – وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، قد يقول قائل وهذا كلامٌ كثيرٌ وكبيرٌ في منازل أهل البيت أقول لا والله ما هو بكثيرٍ ولا هو بكبير، وما معرفتي أنا ومعرفة أمثالي وما كلامي وكلام أمثالي ما هو إلا شيء في منازل أهل البيت لأننا لا نعرف شيئاً.

هناك رواية وهذه الرواية جميلة جداً السائل يسأل الإمام صلوات الله وسلامه عليه والرواية موجودة في الكافي أيضاً أحد الأصحاب وهو يونس بن رباظ – **قال: دخلت أنا وكامل التمار على أبي عبد الله** – وكامل التمار هذا من خواص أهل البيت رواياتهُ تكشف عن هذه الحقيقة، الحقيقة هذه الرواية تحتاج إلى تمعّن تحتاج إلى تبصّر تدبّر، رواية جميلة جداً يونس بن رباظ – **قال: دخلت أنا وكامل التمار على أبي عبد الله عليه السلام فقا له كامل:** – كامل التمار يسأل الإمام – **جُعِلتُ فِدَاك حديثٌ رواهُ فلان، فقال: أذكره، فقال: حدثني أن النبي صلى الله عليه وآله حَدَّثَ عَلِيّاً عليه السلام بألف باب يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله كل باب يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب، فقال: لقد كان ذلك –**

الحديث معروف – **علمني رسول الله ألف بابٍ من العلم ينفتح لي من كل باب ألف باب** – وفي بعض الروايات ينفتح لي من كل باب ألفُ ألف فإذا كان كامل التمار يستكثر المليون في هذا الحديث حدثني رسول الله ألف باب ينفتح لي من كل باب ألف الف يعني يكون مليار، وهناك في نصوص أخرى حدثني علمني ألف ألف باب ينفتح لي من كل باب ألف ألف باب يعني القضية تتجاوز المليار إلى التريليون، الأرقام ليست مهمة هذه الأرقام مسائل تقريبية، الأرقام هنا تشير إلى الغاية النهائية باعتبار أعلى الأرقام في لغة العرب هو الألف فإذا قيل ألفُ ألف فلا يوجد بعد هذا رقم بحسب التعبير العرفي – **أن النبي صلى الله عليه وآله حَدَّثَ عَلِيّاً عليه السلام بألف باب يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله كل باب يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب** – وقلت الأعداد ليست مهمة هناك حديث أنهُ حَدَّثني بألف باب وكفى، بعض الأحاديث نقلت هكذا فلا يعني الأرقام هنا أن هذا الحديث حدثني بألف باب لا يعني أن القضية وقفت عند الف أو كما في هذا الحديث وقفت عند المليون هذه الأرقام تشير إلى الما لا نهايات.

الإمام قال – **لقد كان ذلك، قال: جُعِلتُ فِداك ذلك يظهر لشيعتكم ومواليكم؟** – يعني هذا ألف باب ينفتح من كل باب ألفُ باب هل هذه الأبواب تظهر لشيعتكم ومواليكم، هذه الأبواب من أبواب المعارف والعلوم – **جُعِلتُ فِداك ذلك يظهر لشيعتكم ومواليكم؟** – الإمام ماذا قال؟ – **فقال: بابٌ أو بابان باختلاف مراتب الشيعة** – يعني هذه المليون باب بحسب هذا الحديث بابٌ أو بابان بحسب مراتب الشيعة – **فقلت له: جُعِلتُ فِداك فما يُروى من فضلكم من ألف ألف باب إلا بابٌ أو بابان** – هذا ما يروى وليس كل الروايات وصلت إلينا ولا نحن نذكر هنا في هذا البرنامج كل الروايات.

انتبهوا شيئاً فشيئاً لم تكمل الرواية أنا قلت هذه الرواية بحاجة إلى تبصر – **فقلت له: جُعِلتُ فِداك فما يروى من فضلكم من ألف ألف باب إلا بابٌ أو بابان** – فماذا قال الإمام – **وما عسيتم أن تروا من فضلنا ما ترون من فضلنا إلا أَلِفاً غير معقوفة** – يعني كامل التمار تعجب قال يا ابن رسول الله ما يروى من فضلكم إلا باب أو بابان! الإمام ماذا قال له؟ حتى الباب والبابان نفاهما، ماذا قال الإمام قال – **وما عسيتم** – أنتم ما تبلغون من المنزلة أو من المقدرة أو من المعرفة حتى تعرفوا فضلنا – **وما عسيتم أن تروا من فضلنا** – أنتم ماذا تبلغون حتى تعرفون مقاماتنا ومنازلنا – **وما عسيتم أن تروا من فضلنا ما ترون من فضلنا إلا أَلِفاً غير معقوفة** – يعني حتى أقل من نصف باء، ما هو مقصود الإمام أنه ما ترون إلا أَلِفاً غير معقوفة؟ العلماء اختلفوا في معنى هذا الحديث أنكم ما ترون من فضلنا إلا أَلِفاً غير معقوفة لربما من أفضل من شرح هذا الحديث هو الشيخ البهائي رضوان الله تعالى عليه حين قال بأنهُ في الخط الكوفي القديم الألف ترسم مثل حرف الذال شبيهة بحرف الذال، فحينما قال الإمام صلوات الله وسلامه عليه إنكم ما

رويتم إلا ألفاً غير معقوفة يعني كأنه قال ألف غير كاملة يعني هذه الجهة المعطوفة تحذف يعني يبقى نصف ألف هذا من أفضل التوجيهات التي وجهها الشيخ البهائي أن أعتقد غير ذلك، أعتقد أن مراد الإمام من الألف غير المعطوفة لأنه في الخط الكوفي القديم وحتى في الخط الكوفي الحديث الألف ترسم بأكثر من صورة، الآن حتى في الخط الكوفي الموجود وإن كان الآن الخط الكوفي تشعب، في الخط الكوفي الألف هكذا ترسم، ترسم بشكل مستقيم ثم تعقف، إما تعقف يميناً أو تعقف شمالاً مثل ما قال الشيخ البهائي وكأنها شبيهة بحرف الذال، الألف هي هذه تعقف يميناً أو شمالاً، فالألف هي ألف حينما يقول الإمام ألف غير معقوفة لابد أن تكون ألف أخرى الألف غير المعقوفة هي الألف الصغير التي توضع على حرف الألف لتمييزه عن الهمزة، هذي الألف الصغير أنا أعتقد ذلك بأن المراد من الألف غير المعقوفة لأن الألف في الخط الكوفي لابد أن تكون معقوفة، فالإمام هنا يتحدث عن ألف كاملة ولكن هذه الألف الكاملة تسمى بأنها غير معقوفة فالألف الكاملة في الخط الكوفي التي هي غير معقوفة هي هذه الألف الصغيرة التي توضع على رأس الحروف على رأس الكلمات لتمييز الألف عن الهمزة.

وفي بعض الأحيان قد تستعمل في بعض المصاحف كعلامة للمد، علامة للمد أو علامة مثلاً للألف خصوصاً في رسم المصحف لأنه نحن عندنا نوعان من الرسم هناك ما يسمى برسم القلم وهي الكتابة وقواعد الإملاء المعروفة التي نكتب بها وهناك ما يسمى برسم المصحف حيث كتب بطريقة ما واتفق المسلمون على عدم تغييرها مثل ما تكتب: **الصلوة**، فتوضع ألف قصيرة صغيرة على الواو لتشعر بأن هذه الواو لا تلفظ واو أنما تلفظ ألف فتقرأ: **الصلاة**، هذه هي الألف غير المعقوفة وإلا فالألف في الخط القديم تعقف إما يميناً وإما شمالاً في زمان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

يعني ما رويناه ما جاءنا من الروايات هو بمقدار هذه الألف الصغيرة وبالله عليكم ليس كل الروايات وصلت إلينا رغم أننا نملك أعداد هائلة من الروايات ثم إنني في هذا البرنامج أصلاً لا الوقت يكفي ولا يمكن أن نقرأ كل الروايات أو أن نورد كل الروايات، الإمام هنا في هذه الرواية يتحدث عن كل الروايات بأنها ألفٌ غيرُ معقوفة إذاً أين نحن وأين معرفةُ أهل البيت؟! إذاً أين نحن وأين هي حقيقةُ منازل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟! لا غرابة في ذلك إمامنا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ماذا يقول؟

فإن الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم أو يَخطر على قلب أحدكم – حتى في عالم الخطرات لا توجد خطرات، هل هناك أقوى وأوسع من دائرة الخيال والخطرات؟! حتى في عالم الخطرات أساساً لأننا لا نملك المفردات على التصور نحن نستطيع أن نتصور في عالم الخيال لكن كيف نتصور في عالم الخيال ما لم نملك مفردات، يعني الآن مثلاً حينما يكون الإنسان لم يكن قد سافر إلى مدينة طوكيو مثلاً ويأتي شخص يحدثه فيقول إن مدينة طوكيو مثلاً فيها بنايات عالية مثلاً تشبه هذه

البنايات العالية كالبنايات الموجودة مثلاً في هونغ كونغ وهذا الشخص قد سافر إلى هونغ كونغ أو تشبه مثلاً بنايات موجودة مثلاً في مدينة سدني في أستراليا أو تشبه كذا كذا من البنايات أو تشبه مثلاً في بعض محالها مثلاً بكين في الصين، فيأتي بصور يمكن للمتخيل لأنه يملك هذه المفردات يجمع بين هذه الصور يصنع صورة من خياله لمدينة طوكيو وهو لم يكن قد رآها لكنه استطاع أن يصنع لها صورةً في الخيال معتمداً على بعض المفردات التي يملكها في خزين ذاكرته لأنه رأى هذه المدن، أما إذا لم يكن أصلاً لم يكن قد رأى هونغ كونغ ولم يكن قد رأى سدني أو بكين أو أي مدينة أخرى وهذا الذي يحدثه يقول بأن مدينة طوكيو كذا وكذا تشبه هذه المدن كيف يستطيع أن يرسم صورة في الخيال وهو أساساً لم يكن قد رأى هذه المدن؟ لا يستطيع لأننا في عالم الخيال إذا أردنا أن نتخيل شيئاً لابد أن نملك مفردات بهذه المفردات نستطيع أن نتصور شيئاً في عالم الخيال.

حينما لا نملك مفردات ما عندنا إلا ألف غير معقوفة كما يقول إمامنا الصادق عليه السلام – **وما عسيتم أن تروا من فضلنا** – الإمام يقول له بالنَهر هكذا – **وما عسيتم** – أنت ماذا تتوقع؟ تتوقع أنك تعرف، ما هي معرفتك؟! – **وما عسيتم أن تروا من فضلنا** – كل ما عندنا ما هو إلا ألف غير معقوفة – **فإن الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبر وأعظم مِما يصفه واصفكم أو يَخطر على قلب أحدكم فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون** – وما هذا إلا قبسٌ من حديث أهل البيت، وما هذه إلا نقطةٌ من بحار بحار معارف أهل البيت التي جاءت في رواياتهم والتي يعدها إمامنا الصادق عليه السلام إنها ألفٌ غيرُ معقوفة، إذاً أين نحن نقف وأين أهل البيت يقفون؟ يقفون على كثائب من مسك هم الأعراف كما مرت علينا الروايات، نحن نقف على كثائب من تراب وهم يقفون على كثائب من مسك فبالله عليك كيف نتصور هذه الكثائب من مسك؟! نَحنُ في عالم التراب وهم في عالم المسك وأي مسكٍ؟ في عالم مسك الله سبحانه وتعالى.

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ – البركةُ كما قلت هي الفيض والفيضُ إنما يفيض إليهم من الله ويفيضُ منهم إلينا الله سبحانه وتعالى فتح لهم أبواب الفيض الإشارات في القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى فتح لهم باب الفيض من دون حدود. حينما نقرأ مثلاً في سورة الفتح ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ صحيح ربما يُراد من الفتح النصر، النصر العسكري وهذا موجود في التفاسير لكن القرآن آياته لا تقف عند أفق واحد ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ الفتحُ المبين الفتحُ الذي لا نهاية له ليس فيه مغالق الآية هنا تشير إلى الفتح المُطلق الذي فتحه الله للحقيقة المُحَمَّدية، أفاض عليها فتح لها فيضه وجعل فيه القدرة على أن تفتح الفيض على الوجود ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ المعنى هذا يتجلى في سورة الضحى

في الآية الخامسة ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ هناك عطاء لا حدود له وأنا شرحت هذه الآية فيما مر لا أعيد الكلام ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وحتى في آية الشرح ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ صحيح هناك معانٍ ظاهرية للآية وأنا هنا لست بصدد تفسير هذه الآيات لكن في هذه الآية ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ هذا الصدر هو قلب مُحَمَّد، الصدر المراد من الصدر حين نقول ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الصدر ليس هو الرئتين، الصدر هو القلب وليس هو القفص الصدري ألم نشرح لك قلبك ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ألم نشرح لك قلبك، قلبُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله هو ذلك القلبُ الذي يسعُ العرش ويسعُ الكرسي أليس العرش من نوره ونوري أفضلُ من نور العرش.

قلب المؤمن عرشُ الرحمن هذا المعنى ينطبق حقيقةً على من؟ على قلب مُحَمَّد على قلب عليٍّ على قلب صاحب الأمر، البركةُ النازلةُ والتي فتح الله أبوابها على الحقيقة المُحَمَّدية فيضه هو تجلي أسمائه الحسنى حين يتجلى اسم الرازق أو الرزاق فإن كل الأرزاق ستفيض من الحقيقة المُحَمَّدية، الحقيقة المُحَمَّدية مرآة أسماء الله الحسنى الحقيقة المُحَمَّدية ذلك الاسم الأعظمُ الأعظمُ الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقر في ظلك فلا يخرجُ منك إلى غيرك وإنما يخرجُ منه الفيض، فحين يتجلى اسم الرزّاق أو الرازق في الحقيقة المُحَمَّدية فإن الحقيقة المُحَمَّدية هذه المرآة المقدسة تفيض تعكس هذا الرزق يتجلى منها هذا الرزق بكل معانيه يتجلى هذا الفيض وهكذا كل اسمٍ من الأسماء الحسنى حين تتجلى في الحقيقة المُحَمَّدية فإنها تفيض تفيضُ بركةً فهم مساكن بركة الله، بركةُ الله أسمائه الحسنى لأن النماء ولأن الفيض ولأن الزيادة ولأن الخير منابعها من أسمائه الحسنى وهذه الأسماء الحسنى تجلت في الحقيقة المُحَمَّدية ومن الحقيقة المُحَمَّدية فاض الفيضُ ولذلك كل الكائنات تعيشُ في هذا الفيض، بركتها من تلكم البركة وهذا معنى:

وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ هو هذا الفتح، الفتح الحقيقي أن الله فتح للحقيقة المُحَمَّدية كل البركة وكل الرحمة والحقيقةُ المُحَمَّدية هي الرحمة التي وسعت كل شيء، رحمته التي وسعت كل شيء، لأن كل شيئاً تلبسته الرحمة وفاضت عليه الرحمة فمرد هذه الرحمة إلى مرآة أسمائه الحسنى أسمائه الحسنى تجلت أين؟ في الحقيقة المُحَمَّدية وباب هذه الحقيقة هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد على الأرض، باب هذه الحقيقة السبب الذي يوصلنا بالبركة باب هذه الحقيقة مجلى هذه الحقيقة في الأرض مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، حين يقول صلى الله عليه وآله – **ما عرفناك حق معرفتك** – هذا في الأفق البشري هذا في الأفق الإنساني وإلا

كل أسماء الله قد تجلت في الحقيقة المُحَمَّدية وحتى الاسم المستأثر تجلى فيها وذلك هو معنى مساكن بركة الله – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ** – فهناك المعرفة وهناك البركة ويأتينا هنا – **وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ** – معادن جمعٌ لمعدن والمعدن هو المكان أو الجهة التي يعدن فيها الشيء، يعدن يعني يثبت يقيم – **وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ** – يعني هم الأمكنة هم الجهات هم المحال التي تعدن فيها حكمة الله، معادن الحكمة هنا تستقر حكمة الله، وحكمة الله هي مجمع معرفته وبركته.

كلمة الحكمة في أصلها في لغة العرب الحِكمة أو الحَكمة هي قطعةٌ قد تصنع من حديدٍ أو من شيءٍ آخر أو من جلد أو قد تنسجُ من الوبر توضعُ على مقدمة رأس الحصان عند أنفه وفمه عند مقدمة رأسه عند بوزه عند بوز الحصان توضع حتى يربطُ بها اللجام ومن طريقتها وبواسطتها يستطيع الفارس أن يتحكم بحركة الفرس بحركة الجواد، فهو شيءٌ يوضع على مقدم رأس الفرس على مقدم رأس الجواد رأس أي دابة من الدواب ثم تربط بمنظومة خيوط أو سيور من الجلد إلى اللجام فحين يمسك الفارس الراكب باللجام أو الزمام يستطيع أن يحرك رأس الدابة بأي اتجاهٍ يريد وذلك إنما هو بواسطة الحَكمة أو الحِكمة، الحِكمة إذاً في لغة العرب هي الوسيلة أو الآلة لأي شيءٍ؟ لتوجيه الأمر بالاتجاه الصحيح، هذا المعنى اللغوي في أصله في لغة العرب، الحِكمة كما يقال هي وضع الشيء في محله المناسب الحِكمةُ هي هذه.

الحِكمة بالنسبة لنا هي أعلى درجات العقل أعلى تجليات العقل هي الحِكمة، الحِكمةُ عقلٌ ولكنها أعلى تجليات العقل، فهنا معرفةٌ وهنا بركةٌ، معرفةٌ وبركة تتكامل بالحِكمة – **وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ** – وحكمة الله المراد هنا والمذكورة هنا في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي ولايتهم يعني هم القائمون في مقام المعرفة المتصرفون في مقام البركة في مقام الفيض وإنما أعطيت لهم الولاية بقدر ما عندهم من الحِكمة وإنما ما عندهم الحِكمة بقدر ما عندهم من المعرفة فهم معرفة الله وهم بركة الله وهم حكمة الله.

نحن حين نقرأُ في الكتاب الكريم مثلاً في سورة لقمان ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ إذاً جوهر الحِكمة في الأفق الإنساني هو الشكرُ لله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ما هو جوهر هذه الحِكمة؟ الآية الثانية بعد العاشرة من سورة لقمان ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ إذاً الحِكمةُ هي الشكر وما المراد من الشكر؟ الشكرُ هو الثناء، الثناءُ قد يكون بمعنى المدح، قد يكون بمعنى الحمد ولا أريد الخوض في هذه التفاصيل للحديث عن الجمال الاضطراري والجمال غير الاضطراري مباحث معروفة في كتب الفلسفة لا أريد الخوض في هذه القضية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا

﴿لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ الحكمةُ هي الشكر والشُكرُ هنا هو نفسه الذي إليه الإشارة في الحديث من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق هذي هي الحكمة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ حكمة لقمان هي هذه من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، وفي سورة البقرة حين نقرأ في الآية التاسعة والستين بعد المئتين ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ والحِكمة هنا كما في روايات أهل البيت معرفة الإمام ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ هذا هو الخير الكثير، الخيرُ الكثير ألا يستلزم الشكر، الشكر الموجود في سورة لقمان؟! ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ما هي حكمةُ لقمان؟ ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ . يعني حينما نقوم بقضية مقارنة بين هذه الآية في سورة لقمان وبين هذه الآية في سورة البقرة، الآية في سورة لقمان الآية الثانية بعد العاشرة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ والآية التاسعة والستون بعد المئتين في سورة البقرة ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ هذا الخيرُ الكثير يستلزم الشكر لذلك هنا في آية سورة لقمان ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ الشكر على ماذا؟ هنا الآية تفسر ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وروايات أهل البيت تفسر لنا هذه الحِكمة، الحِكمةُ معرفة الإمام.

في سورة الجمعة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الحِكمة هي هذه نفسها هي عمق الرسالة المُحَمَّدية، عمق الرسالة المُحَمَّدية معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، عمق الرسالة المُحَمَّدية معرفة عليٍّ وآل عليّ، عمق الرسالة المُحَمَّدية معرفة أمام زماننا ومن لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، عمق الرسالة المُحَمَّدية هو هذا.

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ يعني قبل أن يعرفوا الحكمة ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ونفس المعنى: **من لم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية** ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ هي معرفة الإمام وهذه الحكمة التي يدعوا لها مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، من دونها ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ في ضلال الجاهلية، هذا الحديث: **من لم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية**، يتعانق مع هذه الآيات

بشكلٍ واضح ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ كما مر علينا في الآية التاسعة والستين بعد المئتين ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ والروايات قالت في الكافي وفي غير الكافي أن الحِكمة هنا هي معرفة الإمام وهنا ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ والحِكمة هنا آخر مرتبة أعمق شيء في ديانة مُحَمَّد وهي معرفةُ مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ يعني قبل هذه المعرفة ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ **من لم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية** – الحِكمةُ في أفق المعرفة الإنسانية هي بهذا المعنى.

وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ – أن حكمة الله أن معرفة الله معدنها أين؟ أهل البيت هذا هو المعدن الذي تصدرُ منه الحكمة الإلهية إلينا، أما هم في مقامهم هم معادنُ حكمة الله فحكمة الله المتجلية فيهم هي ولايتهم، فما من شيءٍ في هذا الوجود إلا وهو تحت إدارتهم وتحت قدرتهم – **اللهم إني أسألكُ من قدرتك بالقدرة التي استطلت بها على كل شيء** – هذا مظهر من مظاهر القدرة – **وكل قدرتك مستطيلة** – فهذه ليس القدرة الذاتية هذه القدرة المتجلية في الحقيقة المُحَمَّدية وإلا القدرة الذاتية لا توجد فيها مراتب، لو وجدت فيها مراتب لحدث خللٌ في التوحيد، المراتب في مجالي القدرة المراتب في مجالي الأسماء – **اللهم إني أسألكُ من قدرتك** – من هذه تبعيض الحديث عن بعض القدرة – **التي استطلت بها على كل شيء وكل** – باقي مراتب القدرة – **وكل قدرتك مستطيلة** – إشارة إلى مجالي القدرة وليس إلى القدرة الذاتية، القدرة الذاتية لا يوجد فيها تبعيض ولا يوجد فيها مراتب.

هذه هي الحِكمة ومعادن الحِكمة يعني الذات التي منحها الله القدرة المستطيلة – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ** – كان بودي أن استمر في بيان العنوان الرابع – **وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ** – لكن وقت البرنامج انتهى إن شاء الله في الحلقة القادمة أتم الكلام من حيث انتهيت.

عظم الله أجوركم أحباب عليٍّ وآل علي رزقنا لله وإياكم زيارته في الدنيا ومعرفته في ليلنا ونهارنا وانقطاعنا بقلوبنا وعقولنا إليه وفقنا الله وإياكم لخدمة محبيه وأولياءه والمخلصين له وهم المخلصون للإمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه ووفقنا أن نُدفَن في تربته ورزقنا أن نرى وجهه عند ساعات الموت وهو يبشرنا برضوانه وبعفوه وبمحبته لنا، اللهم عَرِّفنا وجه عليٍّ عند الممات وأرنا وجهه ليلة الوحشة في قبورنا، اللهم وفقنا أن نأخذ بحجزة عليٍّ وآل عليٍّ في مواقف يوم القيامة، اللهم وارزقنا أن نشرب من كوثر عليٍّ ومن كأسٍ عليٍّ الأوفى ومن يد عليٍّ وهو يسقي أولياءه وأحباءه على حوض مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله على كوثرهم، اللهم وارزقنا شفاعته بحق عليٍّ، اللهم ارزقنا شفاعة عليٍّ وجوار عليٍّ في الجنان بحق عليّ، أسألكم الدعاء جميعاً أحباب عليّ في أمان الله.

الحلقة العشرون

معنى وحفظةِ سرّ اللهِ وحملةِ كتابِ اللهِ وأَوصياءِ نبيّ اللهِ وذرية رسول اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ

السلام عليكم جميعاً أحباب عليٍّ وآل عليّ، السلام عليكم يا أولياء فَاطِمَة وآلِ فَاطِمَة ورحمة الله وبركاته، هذه الحلقة العشرون من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة من عُمقِ حديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه الحلقة هي آخر حلقةٍ من حلقات هذا البرنامج في أيام هذا الشهر المبارك وإن شاء الله لقاءنا يتجدد على قناة المودة الفضائية بعد تصرم وانقضاء أيام شهر رمضان حيث نتواصل معكم في حديث مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في ذلك القول البليغ الكامل الذي فاضت به شفاه إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه الزيارة الجامعة الكبيرة النص المعرفي الخالص والعقيدة المُحَمَّدية العلوية الصافية، كلامنا متواصلٌ في هذه الأفاق النورية في أفاق نورية مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد نحن قد وصلنا إلى المقطع الثالث من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة وأكرر القول بأن هذه المقاطع الخمسة يجب الالتفات إليها ويجب النظر إليها بتمعن وبتأمل لأن هذه المقاطع الخمسة تمثل الأصول التي تتفرع عليها سائر المعاني في الزيارة الجامعة الكبيرة وحتى في الزيارات الأخرى.

المقطع الثالث نخاطب به آل مُحَمَّد صلوات الله عليهم: **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ،** آخر الحديث كان عند هذا العنوان – **وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ** – بقية المقطع أحاول أن أتم الحديث فيه وأن ألملم أطراف الحديث حتى نتم الكلام في هذا المقطع وإن شاء الله تعالى إذا شرعنا في فصلٍ جديدٍ من فصول هذا البرنامج أن تكون البداية من المقطع الرابع من بداية المقطع الرابع، بقية المقطع الثالث: **وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ، وَحَمَلَةِ كِتابِ اللهِ، وأَوْصِياءِ نَبِيِّ اللهِ، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** – ومن غيركم.

وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ، أعتقد أن البُنية اللغوية لهذا العنوان واضحة لا تحتاج إلى طويل مكوث عند جوانبها لبيان المعاني اللغوية، حَفَظَة جمعٌ لحافظ والحافظ هو المُراقِب والراعي والحاوي للشيء، حافظ السر هو الذي يحوي السر بين جوانبه فيرعاه ويراقبهُ ويخاف عليه أن يتبدى، والسر هو شيءٌ خفي، السرُ هو السر، السر

هو الذي لا يخرج من السريرة والسريرة هي باطن النفس الإنسانية التي لا تتبدى لناظرٍ أو لسامع، السريرة ما خَفيَ عن الحواس، السرائر ما خفي عن النظر عن السمع عن اللمس عن الشم عن الذوق وما خفي حتى الخيال فإن الخيال سيكون بعيداً عن السريرة وإنما الوهم قد يتوهم، الخيال لا يكون خيالاً إلا أن يكون مستنداً إلى مفرداتٍ واقعية يتركب الخيال منها أما الوهم فهو الذي لا يستند إلى مفرداتٍ واقعية، الوهم هو الذي يصنع المفردات، الإنسان في قوة الوهم مفردات الوهم حينما يركب الوهم صوراً الوهم هو الذي يصنع هذه المفردات ولذا لا قيمة للوهم أما الخيال فله قيمة وما قيمة الآداب والفنون إلا أن منشأها من الخيال، لو كانت الآداب والفنون تنشأ من الوهم لَمَا كان لها قيمة، قيمة الآداب وقيمة الفنون أنها تنشأ من الخيال والخيال يعتمد على مفردات واقعية لكنه يستطيع أن يتلاعب فيها أن يضيف إليها أن يُضخّمها أن يُصَغِّرها إلى غير ذلك، قيمة الأدب والفن من هنا نشأت، وعلى أي حال لسنا في صدد الحديث عن هذا المطلب.

السرُ هو ما مازج السريرة ما كان في السريرة والسريرة باطن النفس والسريرة كل شيءٍ يبعد عن الحواس وحتى عن عالم الخيال – **وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ** – فهم حافظون لسر الله، أما ما هو سر الله؟ سر الله شيءٌ لا نستطيع أن ندركه، هو ما هو سري وما هو سرك؟! أنا لا أستطيع أن أدرك سرك وأنت لا تستطيع أن تُدرك سري فأنى لي ولك أن ندرك سر الله، لكن هناك من يُدرك هذا السر وهم الحَفَظَة، حَفَظَةُ سر الله نحن هكذا نخاطبهم: حفظة سر الله، بل هم سر الله كما مر في العناوين السابقة هم محال معرفة الله وقلنا كما جاء في رواياتهم هم البيوت وهم الأبواب فالبيوت هي الأبواب والأبواب هي البيوت، محال معرفة الله فالمحال هي المعرفة والمعرفة هي المحال – **وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ** – فالحَفَظَةُ هم سرُ الله وسر الله هنا هم الحَفَظة، ما هو هذا السر؟ أنا قلت قبل قليل هو سرٌ نحن لا ندركهُ والكلام هنا في هذا العنوان:

وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ – ليس الحديث عن سر عقائدي وليس الحديث عن سرٍ تكويني هناك شيءٌ فيما بينهم وبين الله، العقول تصل إلى حدٍ وتقف، تقدم في الحلقات الماضية كلامٌ عن الأسرار وأوردت رواياتٍ عديدة وقرأتها من مصادرها: **إنَّ حَديثَنا إنَّ أمرَنا صَعِبٌ مُسْتَصعَبٌ ذَكْوانٌ أَجْرَد لاَ يَحتَمِلهُ إلاَّ نَبيٌ مُرسَل أَو مَلَكٌ مُقَرَّب أو عَبدٌ امتَحَنَ الله قَلبَهُ للإيمَان.**

وهناك أفقٌ آخر: **إنَّ حَديثَنا إنَّ أمرَنا صَعِبٌ مُسْتَصعَبٌ لاَ يَحتَمِلهُ لا نَبيٌ مُرسَل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا عَبدٌ امتَحَن الله قَلبهُ للإيمَان قُلنَا فَمَن يَحتَمِلهُ يا ابنَ رسول الله؟ قَالَ: مَنْ شِئنا.**

وهناك أفقٌ أعمق من هذا: **إنَّ أمرَنَا إنَّ حَديثَنا صَعِبٌ مُسْتَصعَبٌ لاَ يَحتَمِلهُ لا نَبيٌ مُرسَل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا عَبدٌ امتَحَن الله قَلبهُ للإيمَان، فَمَن يَحتَمِلهُ يا ابنَ رسول الله؟ قَالَ: نَحْنَ نَحْتَمِلُه.**

هو خاصٌ بهم، الحديث هنا حينما تقول الزيارة الشريفة: **وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ.** ليس الحديث في هذه الأفاق،

الحديث في معنىً أعمق وأبعد ولا حتى في حديث مقامات سريرتهم: **إني مؤمن بظاهركم وباطنكم بسركم وعلانيتكم**. ومرَّ الحديثُ أيضاً: **إن أمرنا سِرٌّ في سِرّ، سِرٌّ على سِر، سرٌّ مستسر، سرٌّ مقنع بالسر، سرٌّ لا يفيد إلا سر**. مرت هذه الروايات وقرأتها من مصادرها وتحدثت عنها وأنا لا أريد أن أعود إلى هذه المطالب فقد مرَّ الحديث في هذه المطالب في الحلقات الماضية، القضية هنا أعمق وأعمق لكننا لا نملك إلا الإشارة، الحديث هنا ليس عن عقائد وعن مطالب علمية وعن معارف، العقائد والمطالب العلمية والمعارف يمكن للعقول أن تُدركها وكل عقلٍ بحسبهِ وكل عقلٍ بحسب الأفق الذي هو فيه.

على سبيل المثال ما جاء في الرواية التي يرويها شيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه عن اليقطيني عن بعض أهل المدائن – **قال: كتبتُ إلى أبي مُحَمَّد** – والمراد هنا إمامنا الزاكي العسكري صلوات الله عليه – **قال: كتبتُ إلى أبي مُحَمَّدٍ عليه السلام رُويَ لنا عن آبائكم أن حديثكم صَعِبٌ مستصعَبٌ لا يَحتملهُ مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌ مُرسل ولا مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان** – ذكرت قبل قليل بأنَّه في أفقٍ من الأفاق فمن يحتمله؟ قال من شئنا، وفي أفقٍ من الأفاق قال نحن نحتمله ذلك هو السر المستسر، الإمام هنا يعطي للحديث وجهاً آخر، الحديث هنا عن البُعد العقائدي وعن البُعد المعرفي عن البُعد النوراني في معرفة أهل البيت – **قال: فجاءهُ الجواب إنما ما معناه إن المَلَك لا يحتملهُ في جوفهِ حتى يُخرجهُ إلى مَلكٍ مثله ولا يَحتملهُ نبيٌ حتى يخرجهُ إلى نبيٍ مثله ولا يحتملهُ مؤمنٌ حتى يُخرجهُ إلى مؤمنٍ مثله إنما معناه أن لا يحتملهُ في قلبه من حلاوة ما هو في صدرهِ حتى يُخرجهُ إلى غيره** – الرواية هنا تتحدث عن بُعدٍ معرفي عن بُعدٍ عقائدي يمكن أن يُنقل بالكلام، هذا سرٌ من الأسرار في الأفق الإنساني في الأفق البشري الاعتيادي.

حين نتحدث عن السر في الزيارة هنا – **وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ** – نتحدث عن شيءٍ أعمق وأعمق وأعمق ربما تصل الإشارةُ به إلى خاصة أولياء أهل البيت كما جاء في وصف سلمان في وصف سلمان المُحَمَّدي، الروايات تقول عن أئمتنا كان سلمان مُحَدَّثاً المُحدَّث هو الذي له جهة تواصل واتصال بعالم الغيب بعوالم ما بعد الظاهر، إني مؤمن بظاهركم وباطنكم، المُحَدَّث الذي له صلة بعالم باطن أهل البيت، إني مؤمن بظاهركم وباطنكم بما وراء الظاهر، إني مؤمنٌ بسركم وعلانيتكم في أفق السر وحين أتحدَّث عن أن سلمان وأمثال سلمان لهم صلة بباطن أهل البيت بسر أهل البيت لا بالمعنى الموجود في الزيارة، المعنى الموجود في الزيارة، الزيارة هنا تشير إلى ذلك المقام – **إنَّ لَنَا مَعَ الله حَالات لا يَسَعُنا فيها لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نَبيٌ مُرسَل** – الزيارة تتحدث عن هذا المقام – **إنَّ لَنَا مَعَ الله حَالات لا يَسَعُنا فيها لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نَبيٌ مُرسَل** – لكن حين أتحدث فأقول إن سلمان له صلةٌ بعالم باطن أهل البيت بعالم سر أهل البيت فذلك

فيما يتناسب ومقام سلمان، كان سلمان مُحَدَّثاً قيل يا ابن رسول الله كيف كان مُحَدَّثاً؟ قال: كان مُحَدَّثاً عن إمامهِ، هناك صلةٌ في باطن أهل البيت، القضية ليس قضية تحديث كلامي، الرواية هذه التي قرأتها تتحدث عن شيءٍ يُنقل بالكلام، أما هناك شيء لا يُنقل بالكلام كما في حالة سلمان، كان سلمان مُحَدَّثاً، كيف كان محدَّثاً؟ قال: كان مُحَدَّثاً عن إمامهِ.

ربما في هذه الرواية التي يرويها المفضل بن عمر عن ابي عبد الله صلوات الله عليه لربما فيها شيءٌ من إشارة إلى مثل هذا المضمون، إمامنا ماذا قال؟ – **إنَّ أمرَنَا صَعِبٌ مُسْتَصعَبٌ لا يَحتَمِلُه إلاَّ صُدُورٌ مُشرِقة وَقُلُوبٌ مُنيرة وَأفئِدةٌ سَليمة وَأخلاقٌ حَسَنَة** – فأنى لنا بهذه المعاني – **إنَّ أمرَنَا صَعِبٌ مُسْتَصعَبٌ لا يَحتَمِلُه إلاَّ صدورٌ مُشرِقة** – صدور مشرقة أشرقت بنور الطهارة وإنما أشرقت بنور الطهارة لاندكاكها في معدن الطهارة في معدن القدس، لاندكاكها في ذلك الأفق الأبعد، إني مؤمنٌ بظاهركم وباطنكم نحن نؤمن بظاهر أهل البيت الإيمان بباطنهم فقط في اللسان لا نملك اندكاكاً قلبياً أو روحياً في باطن أهل البيت تلكم مراتب عالية الحديث هنا عن الصدور المشرقة الصدور التي تندك في ذلك الجانب – **إنَّ أمرَنَا صَعِبٌ مُسْتَصعَبٌ لا يَحتَمِلُه إلاَّ صدورٌ مُشرِقة وَقُلُوبٌ مُنيرة وَأفئِدةٌ سَليمة وَأخلاقٌ حَسَنَة لأنَّ الله قَد أَخَذَ عَلى شَيعتِنا المِيثَاقَ فَمَنْ وَفَى لَنَا وَفَى الله لَه بَالجنَّة وَمَنْ أبغضَنا وَلَم يُؤَدّي إلينَا حَقَّنا فَهوَ في النَّار** – فهناك جنةٌ في الدنيا وهناك نارٌ في الدنيا، كما أن هناك جنةً في الآخرة ونار في الآخرة، هناك جنةٌ في الدنيا وهناك نارٌ في الدنيا لكنها تتصور بصورة هذا العالم بما يناسب هذا العالم – **لأنَّ الله قَد أَخَذَ عَلى شَيعتِنا المِيثَاقَ فَمَنْ وَفَى لَنَا وَفَى الله لَه بَالجنَّة وَمَنْ أبغضَنا وَلَم يُؤَدّي إلينَا حَقَّنا فَهوَ في النَّار وإنَّ عِندنَا سِرَّاً مِنَ الله مَا كَلَّفَ اللهُ بِهِ أَحداً غَيرَنا ثُمَّ أَمَرَنا بِتَبليغِهِ فَبَلّغنَاه فَلَم نَجِد لَهُ أَهْلاً وَلاَ مَوضِعاً** – هذا التبليغ ليس تبليغاً بالألفاظ وبالكلام.

كان سلمان مُحَدَّثاً – **إنَّا لا نَعُدُّ الرّجُل مِن أصحابِنَا فَقيهاً حَتّى يَكونَ مُحَدَّثاً قِيلَ يا ابن رسولِ الله أَوَيكونُ المؤمِنَ مُحَدَّثاً؟** – المؤمن من أمثالنا يكون مُحَدَّثاً – **قال: نعم يكون مُفَهَّماً** – التفهيم مُفَهَّم يأتي من خارج لا من داخل لا قضية تَفَهُّم أنا أتفهم، مُفَهَّم تفهيم من الخارج – **قال: نعم يكون مُفَهَّماً والمُفَهَّمُ مُحَدَّث** – هذه مقامات كمقامات سلمان رضوان الله تعالى عليه نحن لا ندركها ولا نستطيع أن نتصورها كما أنَّ الجاهل لا يعرف معنى العالِم، كما أن الصبي لا يعرف معنى البلوغ لو حَدَّثت الصبي الطفل الصغير عن البلوغ عن بلوغ الرجال لا يعرف معنى البلوغ لو حدثتهُ عن شؤونات البلوغ وتفريعات البلوغ لا يتصورها حتى يصل إلى مرحلة البلوغ ويُدرك تلك التفريعات بنفسهِ، حين نتحدث عن هذه المقامات نحن فقط نتحدث عنها كحال الذي يوصف بأنه يحب الصالحين وليس منهم، هذا الذي يحب الصالحين يمدح

الصالحين يُعدد أوصافهم، أنا قد أمتلك قدرةً وطلاقةً لسانية، القدرة اللسانية والطلاقة اللسانية على الوصف هذه الذلاقة في الكلام لا تعني أنني أدرك هذه المعاني على حقيقتها مجرد أن الإنسان يكون طَلِق اللسان ذلق اللسان قادراً على الكلام قادراً على التسطير والوصف لا يعني ذلك أنه يُدرك الحقائق، هذه قضايا بعيدة المنال ينالها الإنسان بالتوفيق بتوفيقٍ من أهل البيت كما نالها سلمان، كان سلمان مُحَدَّثاً كيف كان مُحدَّثاً، ولذلك الروايات تقول أوتي سلمان ماذا أوتي؟ أوتي العلمُ الأول والعلم الآخر، أوتي العلمُ الأول والعلم الآخر لمن أوتي؟ أعطي سلمان العلم الأول والعلم الآخر ولذا في بعض الروايات من عرفهُ كان مؤمناً ومن أنكرهُ كان كافراً، هذا الكلام لا لجهة سلمان بما هو سلمان هذا الكلام لجهة اندكاك سلمان في أهل البيت، من هذه الجهة من عرفهُ كان مؤمناً وإلا سلمان ليس ميزاناً للإيمان وللكفر.

عليٌّ كان ميزاناً للإيمان وللكفر، حسينٌ كان ميزاناً للإيمان وللكفر، اندكاك سلمان في عليٍّ من هذه الجهة أكسبهُ هذا المعنى فمن عرفهُ كان مؤمناً ومن أنكرهُ كان كافراً، ومعرفة أولياء أهل البيت التي نشكر الله عليها في زيارة عاشوراء وفي غيرها من الزيارات، معرفة أولياء أهل البيت بهذا اللحاظ، أولياء أهل البيت الذين اندكوا ولذلك في زيارة عاشوراء لماذا هذا التأكيد على معرفة أولياء أهل البيت؟ لأن أصحاب الحسين كانوا في هذه المنزلة اندكوا في حُسين وآل حسين، فلذلك هذا التأكيد الواضح على معرفة أولياء أهل البيت في زيارة عاشوراء ولو كان المقام يسنح بذلك لقرأنا هذه المقاطع ووقفنا عندها لكن الوقت لا يكفيني للدخول في هذه التفاصيل ربما أتناولها في وقتٍ آخر، إمامنا ماذا يقول؟

وإن عندنا سراً من الله ما كَلَّف الله به أحداً غيرنا ثم أمرنا بتبليغهِ فبلغناه فلم نجد له أهلاً ولا موضعاً ولا حَمَلةً يَحملونه حتى خَلَق الله لِذلِكَ قَوماً خُلقوا من طينة مُحَمَّد وذريتهِ صلى الله عليهم ومِنْ نُورِهِم صنعهم الله بفضل صُنعِ رَحمته فبلغناهم عن الله ما أمرنا فقبلوه واحتملوا ذلك ولَم تضطرب قلوبهم ومالت أرواحهم إلى معرفتنا وسرنا والبحث عن أمرنا وإن الله خلق أقواماً للنار وأمرنا أن نبلغهم ذلك فبلغناه فاشْمَأزَّت قلوبهم منه ونفروا عنه وردوه علينا ولَم يَحتملوه وكذبوا به – قطعاً هذا التبليغ لأهل النار بحسبهم التبليغ المناسب لهم، أما التبليغ عن المرتبة الأولى مثل سلمان وأمثال سلمان فالتبليغ ليس باللفظ – **ولَم يَحتملوه وكذبوا به وطبع الله على قلوبهم ثم أطلق ألسنتهم ببعض الحق فهم ينطقون به لفظاً وقلوبهم مُنكرةٌ له ثم بكى** – والحديث هنا ليس عن الأعداء، الحديث هنا عن طبقة تؤمن بألسنتها تلاحظون – **وإنَّ الله خلق أقواماً للنار وأمرنا أن نبلغهم ذلك فبلّغناه فاشْمَأزَّت قلوبهم منه ونفروا عنه وردوه علينا ولَم يَحتملوه وكذبوا به وطبع الله على قلوبهم** – هذا التبليغ ليس في مرحلة الألفاظ هذا في مرحلة خارج مرحلة الألفاظ – **ثُمَّ أطلق ألسنتهم** – هذا في مرحلة الألفاظ – **ثُمَّ أَطلقَ**

ألسنَتَهُم بَبَعضَ الَحقَّ فَهُم يَنطِقونَ بِهَ لَفظاً وقلوبهم مُنكرةٌ له ثُمَّ بَكَى عَليهَ السَّلام وَرَفَع يَديهَ وَقَال: اللَّهُمَّ إنَّ هَذهِ الشَرذمة الُمطيعين لِأمرِكَ قَليلون اللَّهُمَّ فَاجْعَل مَحيَاهُم مَحيَانَا ومَمَاتَهُم مَمَاتَنا وَلا تُسَلِّط عَليهِم عَدوّاً فَإنَّكَ إنْ سَلَّطتَ عَليهم عَدوَّاً لَنْ تُعْبَد – الحديث هنا فيه جهات عديدة أنا أوردتهُ فقط من هذه الجهة وهو قول الإمام الصادق عليه السلام: **وَإنَّ عِندنَا سِرَّاً مِنَ الله مَا كَلَّفَ الله بِهِ أَحَدَاً غَيرنَا** – أنا أوردتهُ من هذه الجهة.

هناك رواية قريبة من هذه الألفاظ أقرأها للفائدة لوجود شيء من الاختلاف فيما بين هذه الرواية، الرواية في الكافي هذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، الرواية منقولة **عن مُحمَّد بن عبد الخالق وأبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يا أبا مُحَمَّد** – أبو مُحَمَّد هي كنية أبي بصير، أبو بصير يُكنى بكنيتين يكنى بأبي مُحَمَّد فهذه كنيتهُ كنية باسم ولدهِ ويُكنى بأبي بصير لأنه كان ضريراً كان بصيراً – **عن مُحمَّد بن عبد الخَالِق وأبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يا أبا مُحَمَّد إن عندنا واللهِ سراً من سر الله وعِلمَاً من عِلمِ الله والله ما يَحتمله مَلَكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان والله ما كَلَّفَ الله ذلك أحداً غيرنا ولا استعبد بذلك أحداً غَيرَنا وإن عِندنا سِرَّاً من سِرَّ الله وعلماً من علم الله أمرنا الله بتبليغهِ** – يعني هناك سر هذا خاصٌ بهم السر الأول – **إن عندنا والله سراً من سر الله وعلماً من علم الله والله ما يحتملهُ مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌ مُرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبهُ للإيمان والله ما كَلَّفَ الله ذلك أحداً غيرنا ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا** – هذا خاصٌ بهم – **وإن عندنا سِرَّاً** – هذا نوعٌ آخر – **وإن عندنا سِرَّاً من سِرِّ الله وعلماً من علم الله** – وهو الذي تحدثت عنه الرواية قبل قليل – **وإن عندنا سِرَّاً من سِرِّ الله وعلماً من علم الله أمرنا الله بتبليغهِ فبلغنا عن الله عزَّ وجلَّ ما أمرنا بتبليغهِ فلم نَجِد له موضعاً ولا أهلاً ولا حَمَّالةً يحتملونه حتى خلق الله لذلك أقواماً خُلِقوا من طينةٍ خُلق منها مُحَمَّدٌ وآله وذريته، ومن نورٍ خلق الله منه مُحَمَّداً وذريته وصنعهم بفضل رحمته التي صنع منها مُحَمَّداً وذريته فبلّغنا عن الله ما أمرنا بتبليغهِ فقبلوه واحتملوا ذلك، فبلغهم ذلك عنا فقبلوه واحتملوه** – أيضاً في نصٍ آخر – **وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا فلولا أنهم خُلِقوا من هذا لَمَا كانوا كذلك لا والله ما احتملوه ثم قال: إن الله خلق أقواماً لجهنم والنار فأمرنا أن نبلّغهم منا ذلك بلغناهم واشْمَأزّوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردوه علينا ولَم يَحتملوه وكذبوا به وقالوا ساحرٌ كذاب فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحق فهم ينطقون به وقلوبهم مُنكِرة ليكون ذلك دفعاً عن أوليائهِ وأهل طاعته ولولا ذلك ما عُبد الله في أرضه فأمرنا بالكفِّ عنهم والستر والكتمان فاكتموا عمن أمر الله بالكفِّ عنه واستروا عمن أمر الله**

بالستر والكتمان عنه – يعني استروا حقيقته لا تكشفوا حقيقته – **قال: ثم رفع يدهُ وبكى وقال: اللَّهُمَّ إنَّ هؤلاءِ لَشَرذَمَةٌ قَليلُون فَاجْعَل مَحيَانا مَحيَاهُم ومَمَاتَنا مَمَاتَهُم وَلا تُسَلِّط عَليهم عَدوَّاً لَكَ فَتفجَعَنا بِهِم فَإنَّك إنْ أفجعتَنا بِهِم لَم تُعبَد أبَداً في أرضِك وصَلّى الله على مُحَمَّدٍ وآلهِ وسَلّم تَسليماً** – الحديث فيه حقائق كثيرة، الحديث هذا بحاجة إلى حلقة أو أكثر من حلقة لشرحهِ أنا أوردتهُ فقط لأجل السطور الأولى – **إنَّ عِندنَا والله سِرَّاً من سر الله وعلماً من علم الله والله ما يحتملهُ مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌ مُرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبهُ للإيمان والله ما كَلَّف الله ذلك أحداً غيرنا ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا** – هذا هو سر الله الذي لا يُبَلَّغُ بالكلام لا يُنقل بالحديث.

هذا هو سر الله الذي إليه الإشارة هنا في هذه الزيارة: **وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ** – وإلا لو خرج منهم إلى غيرهم لَمَا كان سِرَّ الله، سِرُّ الله الذي لا يخرج منهم إلى غيرهم، وهم سر الله كما جاء في دعاء يوم المبعث ونَحنُ نقرأ في دعاء يوم المبعث عن الأسم الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقر في ظلك فلا يخرج مِنكَ إلى غيرك، أليس هو هذا السِرّ – **فَأَسْأَلُكَ بِهِ وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمْ الأُجَلِّ الأَكْرَمْ** – فَأسْأَلُكَ بِهِ: أسألك بشهر رجب وهذا له دلالة فشهر رجب هو مظهرٌ من مظاهر الولاية العلوية – **فَأَسْأَلُكَ بِهِ وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأعْظَمِ الأَعْظَمْ الأُجَلِّ الأَكْرَمْ الَّذي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ في ظَلِّك فَلاَ يَخْرُجُ مِنكَ إلى غَيرِكْ** – لماذا؟ لأنه هذا هو سر الله، السر الذي لا يخرج إلى غير صاحب السر، وهذا هو السر الذي تحدثت عنه روايات البحار وروايات الكافي وأحاديث كثيرة جداً، وهو السر الذي قال عنه أئمتنا فمن يحتملهُ قالوا نحن، نحن نحتمله، هذه طبقات وأفاق من السر وهم حَفَظَةُ سر الله، هم حَفَظَة سر الله في الأفق الذي أشارت إليه رواية الكافي قبل قليل وهم سر الله في الأفق الذي أشار إليه دعاء يوم المبعث: **خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ في ظَلِّك فَلاَ يَخْرُجُ مِنكَ إلى غَيرِكْ**.

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ – وما عساني أتحدث عن سر الله إني لا أعرفهُ ولا يعرفهُ غيري فهل يتمكن المرء أن يتحدث عن شيءٍ لا يعرفهُ؟! أوليس ذلك من الحمق، أوليس ذلك من الحمق أن نتحدث عن شيءٍ لا نعرفهُ، نحن نملك فقط الإشارات إليه من بعيد كقائل يقول هذه السماء من هذه الجهة فماذا نعرف عن السماء هل نعرف شيئاً؟ هناك من دلنا فقال هذه هي السماء، لو لم يرشدنا أحد إلى أن هذه هي السماء لَمَا عرفنا أنَّ هذه هي السماء، فنقول هذه هي السماء، هم أرشدونا قالوا نحن سر الله، نحن حفظة سر الله، نقول هؤلاء هم حَفَظَةُ سر الله كيف يحفظونه؟ ما هو سر الله؟ ذلك شيءٌ لا نعرفهُ، لو كنا نعرفه لَمَا كان سراً، فهل نعرف الله حتى نعرف سره؟ – **وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ** – ولكننا نشير إليهم بما أشاروا به إلى أنفسهم فهذه إشارة من إشارات هذا القول البليغ

الكامل قالت الزيارة: **وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ** – فإني أقولها وأقول بأن القول مني ما قالهُ آل مُحَمَّد ما بلغني عنهم وما لم يبلغني، يقولونه سواء بلغني أم لم يبلغني، ما أسروا وما أعلنوا، هم يقولون هكذا: من أراد أن يستكمل الإيمان كل الإيمان فليقل القول مني ما قالهُ آل مُحَمَّد ما بلغني عنهم وما لم يبلغني، أنا مُصدِّقٌ به مُذعِنٌ بهِ مُقرٌّ به، ما بلغني عنهم وما لم يبلغني وأي افتراضٍ من القول يُفترض أنهم قالوه أو سيقولونه فإني مصدقٌ به، القول مني ما قاله آل مُحَمَّد ما بلغني عنهم وما لم يبلغني، القول مني قول آل مُحَمَّد فيما أسروا وما أعلنوا.

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ، وَحَمَلَةِ كِتابِ اللهِ – هذا عنوان جديد وعنوان واسع أنا سأتحدث عن جانبٍ منه وجوانب أخرى أتناولها في مقامات أخرى إن شاء الله، لأن هذا العنوان عنوان كتاب الله عنوانٌ وسيعٌ جداً في فكر أهل البيت وعنوانٌ عميقٌ جداً في فكر أهل البيت، كتاب الله من أوسع العناوين التي تحدث عنها أهل البيت ومن أعمق العناوين التي جاءت الإشارات والرموز والتلويحات في كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لِذا أنا سأتحدث عن جانب حتى أتمكن أن أفيَ بالحديث عن بقية العناوين حتى تتم هذه الحلقة فتكون يعني بنهايتها قد أتممت الحديث في المقطع الثالث من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة.

وَحَمَلَةِ كِتابِ اللهِ، الكتاب في لغة العرب يعني المجموع ولذلك يقال كتيبة، كتيبة هي المجموعة من الجند، ويقال كتابة الكتابة هي جمعٌ للحروف وللكلمات كتب في لغة العرب جمع والكتاب هو الحقيقة الجامعة – **وَحَمَلَةِ كِتابِ اللهِ** – فلننظر إلى هذا المضمون، لننظر إلى كتاب الله إلى القرآن وإلا كتاب الله هنا له دلالات كثيرة، أنا هنا أتناول فقط هذه الدلالة أن المراد من كتاب الله هو القرآن الكتاب الصامت، فهم حَمَلةٌ لهذا الكتاب حَمَلة كتاب الله، ماذا في كتاب الله؟ هذا الكتاب الصامت هو عبارة عن مفاتيح هذه المفاتيح تفتح أبواباً من المعارف والحقائق لا يفتحها إلا هم ولا يدخل من خلالها إلا هم وإنما يخرج إلينا ما يخرج من خلال هذه الأبواب، إن كان ذلك في أفق الألفاظ، في أفق العبارة، في أفق الإشارة أو كان ذلك في أفق اللطائف لأهل اللطائف من أمثال سلمان، كان سلمان مُحَدَّثاً، اللطائف لا تأتي بالكلام مُحدَّثاً عن إمامهِ، اللطائف هي التي تنتقل من الإمام إلى سلمان عبر الوصال المعنوي عبر الاندكاك في باطن أهل البيت وفي المقام السري لأهل البيت، إني مؤمنٌ بظاهركم وباطنكم، إني مؤمن بسركم وعلانيتكم حين أقول هكذا وأقول مؤمن يعني هناك مجالٌ للإنسان أن يصل إلى هذا الباطن أن يصل إلى هذا السر ولكن من يصل إلى ذلك؟ هل نحن الذين نغط في هذه الحُجُب وفي هذه الظلمات من الجهل من الابتعاد ومن الهجران لأهل البيت، الذين يستطيعون أن يصلوا إلى تلكم المقامات سلمان وأمثال سلمان رضوان الله تعالى

عليهم، الحديث في أفق هذا الكتاب، أفق هذا الكتاب الذي هو مجمع الأسرار، أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حَدَّثونا عن هذا الكتاب، على سبيل المثال لنأخذ مثالاً مما حَدَّثَ به أهل البيت:

مثلاً هذه الرواية هذا هو الجزء الثالث من بحار الأنوار الرواية، **عن وهب بن وهب القرشي سَمِعتُ الصادق عليه السلام يقول: قَدِمَ وفدٌ من فلسطين على الباقر عليه السلام** – وهذا يُشعر بأن من شيعة أهل البيت كانوا في فلسطين في تلكم الأعصار في زمن الإمام الباقر عليه السلام – **قَدِمَ وفدٌ من فلسطين على الباقر عليه السلام فَسَألوه عن مسائل فأجابهم ثم سألوه عن الصَمَد فقال: تفسيرهُ فيه** – من جُملةِ التفسير – **الصَمَد خَمسةُ أحرف** – ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أنا أوردت هذه الرواية لا للاستدلال بعمقها وهي عميقة فعلاً لكنني أوردت هذه الرواية لأشير إلى جهة من جهات التفسير وإلى ناحية من نواحي التفسير عند أهل البيت.

الصَّمَدُ خَمسة أحرف فالألف دليلٌ على إنيته – على أنية الباري سبحانه وتعالى – **فالألف دليلٌ على أنيته وهو قولهُ عزَّ وجلَّ:** ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ – والإنية هنا هي ما يشير إليه الضمير هو، الإشارة إلى الهوية وهنا معانٍ عميقة جداً – **فالألف دليلٌ على إنيته وهو قولهُ عزَّ وجلَّ:** ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ – الإنية هنا هي الهوية – **وذلك تنبيهٌ وإشارةٌ إلى الغائبِ عن دَركِ الَحواس واللام دليلٌ على إلهيتهِ بأنهُ هو الله، والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع** – باعتبار الصاد هنا من الأحرف الشمسية والأحرف الشمسية تدغم اللام – **والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع ويظهران في الكتابة دليلان على أن إلهيتهُ لطيفةٌ خافية لا يُدرك بالَحواس ولا يقع في لسان واصف ولا أذن سامع لأن تفسير الإله هو الذي أَلَهَ الَخلق عن درك مائيتهِ وكيفيتهِ بَحسٍ أو بوهم لا بل هو مُبدِعُ الأوهام وخَالِقُ الَحواس وإنَّما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليلٌ على أن الله سبحانه أظهر ربوبيتهُ في إبداع الخلق وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة فإذا نظر عبدٌ إلى نفسهِ لَم يرى روحه كما أن لام الصمد لا تتبين ولا تدخل في حاسةٍ من حواسهِ الخَمس فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولَطُف فمتى تفكر العبد في مائية الباري وكيفيته أَله فيه وتَحير ولَم تحط فكرتهُ بشيءٍ يُتصور له لأنه عزَّ وجلَّ خالق الصور فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عزَّ وجلَّ خالقُهم ومُرَكِّبُ أرواحهم في أجسادهم وأما الصاد فدليلٌ على أنه عزَّ وجلَّ صادق وقوله صدق وكلامه صدق ودعا عباده إلى إتباع الصدق بالصدق ووعد بالصدق دار الصدق وأما الميم فدليلٌ على مُلكهِ وأنهُ الملك الحق لَم يزل ولا يزال ولا يزول مُلكه وأما الدال فدليلٌ على**

دوام مُلكه وأنهُ عزَّ وجلَّ دائمٌ تعالى عن الكون والزوال بل هو الله عزَّ وجلَّ مكون الكائنات الذي كان بتكوينه كل كائن – هذه الرواية لا تتحدث عن مناسبات لفظية بين مثلاً الميم مع المُلك والدال مع الدوام، هذه الحروف لها دلالات عميقة جداً، هذه الحروف قبل أن تكون في القرآن لها دلالات فلمَّا جاءت في القرآن صارت لها دلالات أعمق سيأتي بيان ذلك – **ثم قال عليه السلام: لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزَّ وجلَّ حَمَلَةً لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد** – فقط من كلمة الصمد– **لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزَّ وجلَّ حَمَلَةً لنشرت التوحيد** – وقد قالها عليٌّ: وكل القرآن في النقطة وأنا النقطة.

وما عجبٌ في ذلك نورهم واحد ﴿نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء﴾ **لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزَّ وجلَّ حَمَلَةً لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد وكيف لي بذلك ولَم يَجد جدي أمير المؤمنين عليه السلام حَمَلةً لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين الجوانح مني علماً جَمّاً هاهٍ هاه ألا لا أجد من يَحمله ألا وأني عليكم من الله الحُجة البالغة فلا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور، ثم قال الباقر: الحمد لله الذي مَنَّ علينا ووفقنا لعبادتهِ، الحمد لله الذي مَنَّ علينا ووفقنا لعبادتهِ الأحد الصمد الذي لَم يلد ولَم يولد ولَم يكن له كُفواً أحد وجنبنا عبادة الأوثان حمداً سرمداً وشكراً واصبا وقولهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ يقول الله عزَّ وجلَّ: لَم يلد فيكون له ولد يرثهُ ملكه ولَم يولد فيكون له والد يُشركهُ في ربوبيته ومُلكه ولَم يكن له كفواً أحد فيُعازهُ في سلطانه** – يُعازهُ يعني يشاركهُ في عزتهِ في سلطانه.

هذه الرواية نموذج من عشرات بل مئات من كلمات أهل البيت التي جاءت في بيان حقائق معاني القرآن وتلاحظون الجهات والنواحي التي ذهب إليها الإمام آخِذاً من حروف القرآن وكأن هذه الحروف كل حرف من هذه الحروف خُزانة، وفعلاً هي خُزانة، خُزانة الأسرار أنا قلت قبل قليل بأن القرآن مفاتيح وهذه المفاتيح تؤدي إلى أبواب وهذه الأبواب تؤدي إلى خزائن والخزائن هم أهل البيت صلوات الله عليهم، هم المفاتيح وهم الأبواب وهم الخزائن وهم القرآن هم القرآن الناطق هؤلاء هم حَمَلَة كتاب الله كما قلت بأن هذه الحروف حينما يتحدث الإمام عن الميم والملك، عن الدال والدوام ليست مناسبة لغوية للتشابه بين حرف الميم وبين حرف الميم الموجود في أول كلمة المُلك وبين حرف الدال وبين حرف الدال الموجود في كلمة الدوام، هذه الحروف أساساً لها دلالات لها معاني قبل أن تكون في القرآن، كل القضايا لها إشارات ولها

دلائل وإلى هذا إمامنا يشير، إمامنا أمير المؤمنين حين يقول: **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعدهُ ومعه وفيه.** هناك إشارات نحن لا ندركها لكن الأئمة فقط من بعيد قالوا لنا يا هؤلاء يا من تحبوننا هناك أشياء في هذا الوجود أشاروا إلينا من بعيد كما يشير الأب إلى طفلهِ.

على سبيل المثال مثلاً هذه الرواية، الرواية جاءت في معاني الحروف وروايات عديدة كثيرة هذه الرواية منقولة **عن الأصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سأل عثمان بن عفان رسول الله صلى الله عليه وآله** – هذا هو الجزء الثاني من بحار الأنوار والرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن معاني الأخبار للشيخ الصدوق وعن مصادر أخرى أوردت هذه الرواية – **سأل عثمان بن عفان رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله: ما تفسير أبجد؟** – أبجد هوز حطي كلمن – **ما تفسير أبجد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعلموا تفسير أبجد فإن فيه الأعاجيب كلها، ويلٌ لعالِم جَهِلَ تفسيره** – أيُّ تفسير، ليس تفسير في الحدود اللفظية هناك دلالات عميقة جداً.

هناك ترابط بين هذه الموجودات الكلام ليس في حدود قواميس اللغة – **ويلٌ لعالِم جَهِلَ تفسيره، فقيل يا رسول الله ما تفسير أبجد؟ قال: أما الألف فألاء الله حرفٌ من أسْمائهِ وأما الباء فبهجة الله وأما الجيم فجنة الله وجلال الله وجَمَالُه وأما الدال فدين الله وأما هوز فالهاء هاء الهاوية فويلٌ لمن هوى في النار وأما الواو فويلٌ لأهل النار وأما الزاي فزاويةٌ في النار فنعوذ بالله مَما في الزاوية يعني زوايا جهنم وأما حُطي فالحاء حطوط الخطايا عن المستغفرين في ليلة القدر وما نزل به جبرئل مع الملائكة إلى مطلع الفجر وأما الطاء فطوبى لهم وحسن مئاب وهي شجرةٌ غرسها الله عزَّ وجلَّ ونفخ فيها من روحه** – شجرة طوبى منبتها في بيت عليٍّ صلوات الله عليه هكذا تقول الروايات – **وأما الطاء فطوبى لهم وحسن مئاب وهي شجرةٌ غرسها الله عزَّ وجلَّ ونفخ فيها من روحه وأن أغصانها لَتُرى من وراء سور الجنة تُنبت بالحلي والحُلل متدلية على أفواههم** – أي شجرةٍ هذه؟

هذه شجرة عليٍّ كلها رموز، هذه الأحاديث كل حديث بحاجة إلى ساعات وساعات في الشرح والبيان – **وأما الياء فيد الله فوق خلقه سبحانه وتعالى عمَّا يشركون وأما كلمن فالكاف كلام الله لا تبديل لكلمات الله ولن تجد من دونه ملتحداً وأما اللام فإلمامُ أهل الجنة بينهم في الزيارة والتحية والسلام وتلاوم أهل النار فيما بينهم وأما الميم فملك الله الذي لا يزول ودوام الله الذي لا يفنى وأما النون فنون والقلم وما يسطرون فالقلم قلمٌ من نور وكتابٌ من نور في لوحٍ محفوظ يشهدهُ المقربون وكفى بالله شهيداً وأما صعفص فالصاد صاعٌ بصاع وفصٌ بفص يعني الجزاء بالجزاء وكما تدين تُدان إن الله لا يريد ظلماً للعباد وأما قرشت يعني قرشهم فحشرهم** – قرشهم جمعهم – **يعني قرشهم فحشرهم**

ونشرهم إلى يوم القيامة فقضى بينهم بالحق وهم لا يُظلمون – هناك روايات تفصل أكثر في بقية الحروف أنا هنا فقط أورد نماذج وأمثلة لست في مقام الاستقصاء لأنني لو كنت في مقام الاستقصاء فهذا يعني أقف عند زاوية واحدة وبالتالي ينتهي وقت البرنامج وما تمكنت من الحديث عن تلكم الزاوية أو عن تلكم الجهة، ليس فقط الحروف لها دلالات حتى النغمات الموسيقية حتى النوتات حتى الأصوات، هذه النوتة الموسيقية لها معانٍ هذه الأصوات لها معانٍ، كل شيءٍ في هذا الوجود له دلالة – **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه** – حين أتحدث عن النوتة الموسيقية لا أعني النوتة الموسيقية الشيطانية التي منشأها من إبليس حتى هذه لها دلالات وإنما أتحدث عن موسيقى الوجود، الوجود كله نغمٌ موسيقي.

هذه رواية على سبيل المثال الرواية أيضاً يرويها الشيخ الصدوق في معاني الأخبار، الرواية منقولة هنا عن سيد الشهداء بسندٍ مفصل عن الأئمة عن سيد الشهداء – **جاء يهوديٌ إلى النبي** – الحقيقة الرواية طويلة أنا أتركها إن شاء الله لوقتٍ آخر الرواية هذه فيها تفصيل وتفريع لكل الحروف من الألف إلى الياء أنا أشير إلى مصدرها يمكنكم أن تراجعوها لأن الوقت قد انقضى منه شطرٌ كبير، الرواية صفحة: 319 من الجزء الثاني من بحار الأنوار وهو قد نقلها عن معاني الأخبار في معاني حروف الهجاء من الألف إلى الياء، أنا أورد رواية أخرى.

الرواية أيضاً ينقلها عن معاني الأخبار ينقلها الشيخ المجلسي، **عن الحارث بن الأعور قال: بينا أنا أسير مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الحيرة** – الحيرة بجانب الكوفة – **إذا نَحنُ بديراني** – لأن الحيرة كان فيها سكانها من النصارى ولا زالت إلى اليوم أثار الأديرة والكنائس القديمة موجودة في منطقة الحيرة – **بَينَا أنا أسير مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الحيرة إذا نَحنُ بديراني يضرب بالناقوس قال: فقال عليٌّ بن أبي طالب يا حارث أتدري ما يقول هذا الناقوس؟** – الناقوس صوتٌ نغمٌ موسيقي – **قلت: الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم قال: إنه يضربُ مثل الدنيا وخرابها ويقول** – ماذا يقول هذا الناقوس في هذه النغمة الموسيقية؟ عليٌّ هذا الذي يتحدث ما رأيتُ شيئاً، حين يقول ما رأيت شيئاً ليس مقصود الرؤية البصرية يتحدث بالرؤية المحيطة، الرؤية المحيطة هي العلم، الرؤية المحيطة في نفس الوقت يسمع ويرى ويشم ويذوق، الرؤية الإحاطية هذه ليس رؤية البصر يعني الإمام حين يقول ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه يعني إذا شم شيئاً لا يكون هذا المعنى أيضاً فقط الأشياء التي يراها بعينه؟! قطعاً الحديث ليس عن رؤية بصرية هذا رؤيا إحاطية هذه رؤية عليٍّ المعنى عميق وواسع جداً، فماذا يقول عليّ؟ قال هذا الناقوس هكذا يقول:

لا إله إلا الله حقاً حقا صِدقاً صِدقاً إن الدنيا قد غرتنا وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا – تلاحظون هناك

إيقاع في الكلمات – **لا إله إلا الله حَقّاً حَقّا صِدقاً صِدقاً إنَّ الدنيا قد غرتنا وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا يا ابن الدنيا مهلاً مهلاً، يا ابن الدنيا دقاً دقاً، يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً تُفني الدنيا قرناً قرناً ما من يومٍ يمضي عنا إلا وهي أوهى منا ركنا، قد ضيعنا داراً تبقى واستوطنا داراً تفنى، لسنا ندري ما فرطنا فيها إلا لو قد متنا، لسنا ندري ما فرطنا فيها إلا لو قد متنا** – يعني بعد الموت تنكشف الحقائق – **قال الحارث يا أمير المؤمنين النصارى يعلمون ذلك؟ قال: لو يعلمون ذلك لَمَا اتَخذوا المسيح إلهاً من دون الله عزَّ وجلَّ قال: فذهبت إلى الديراني فقلت له بِحق المسيح عليك لَمَا ضربت بالناقوس على الجهة التي تضربها** – يعني دُق لي الناقوس كما كنت تدقه – **قال: فأخذ يضرب وأنا أقولها حرفاً حرفاً مع النغمات حتى بلغ إلى قولهِ إلا لو لقد متنا** – إلى قول الأمير – **فقال: بِحق نبيكم من أخبرك بهذا؟ قلت: هذا الرجل الذي كان معي أمس** – يبدو أن الديراني لأن حتماً يصعد إلى مكان عالي حتى يحرك الناقوس بواسطة الحبل فيبدو أنه قد رآهُ مع الأمير – **فقال: بِحق نبيكم من أخبرك بهذا؟ قلت: هذا الرجل الذي كان معي أمس قال: وهل بينه وبين النبي من قرابة؟ قلت: هو ابن عمهِ قال: بِحق نبيكم أسَمِع هذا من نبيكم؟ قال: قلتُ نعم فأسلم ثم قال: والله إني وجدت في التوراة أنه يكون في آخر الأنبياء نبيٌ وهو يفسر ما يقول الناقوس** – وهذا مثال أنا قلت لست في مقام الاستقصاء والله لو أردت أن استقصي الروايات الواردة في تفسير الأصوات الموجودة في الوجود لاحتجنا إلى ساعات وساعات.

روايات كثيرة عن الأئمة في تفسير الأصوات في تفسير الحروف في تفسير كل ظاهرة من ظواهر الوجود وهذا كله عبقٌ من الكتاب، الكتاب تبيانٌ لكل شيء وهؤلاء هم حَمَلة كتاب الله، لو سألتهم من أين جئتم بهذا؟ لقالوا جئنا بها واضحةً من كتاب الله هكذا هم يقولون حينما يتحدثون عن الحقائق يقولون نحن نجيء بها من عينٍ صافية من كتاب الله وهم كتاب الله الناطق، وهذه مظاهر مظاهر فقط من معاني كتاب الله وإلا القضية أعمق بكثير، نحن نسلّم عليهم هكذا: **السَّلامُ على حَمَلة كتاب الله**، ماذا يقول أئمتنا صلوات الله عليهم؟ نحن في شهر القرآن في شهر كتاب الله، هذا الشهر شهر كتاب الله لا لأجل المد والإدغام ولا لأجل القراءات المختلفة التي ما أنزل الله بها من سلطان ولا لأجل الانشغال بالقلقلة والترقيق وأمثال هذه الأمور، هذا القرآن أنزلهُ الله للتدبر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ ما قال أفلا يمدون القرآن مداً بحركتين أو بأربع حركات ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ لكننا كيف نتدبر القرآن؟ لابد أن نذهب إلى الذين عندهم المفاتيح وهم الأبواب وهم الخزائن إمامنا السجاد يقول آيات الكتاب خزائن، الخزائن قطعاً تكون

مقفلة، أين نجد المفاتيح؟ أين نجد الشفرة التي نفتح بها هذه الخزائن؟ الشفرةُ عند عليٍّ وآل عليّ الشفرة هناك.

عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه: **يا جابر إن للقرآن بطناً وللبطن ظهراً، يا جابر وليس شيءٌ أبعد من عقول الرجال منه إن الآية لينزل أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء وهو كلامٌ متصلٌ يتصرف على وجوه.**

عن إمامنا الباقر: **من فَسَّر القرآن برأيه فأصاب لَم يؤجر** – أصاب من قبيل هكذا يعني أصاب كالذي يصيب ويخيب – **من فَسَّر القرآن برأيه فأصاب لَم يؤجر** – لماذا؟ لأنه أصاب هكذا جزافاً – **وإن أخطأ كان إثمهُ عليه** – أين هذه المدرسة من تلكم المدرسة التي تقول من اجتهد فأصاب له أجران وأخطأ فله أجر هذه مدرسة معاوية وأسلاف معاوية – **من فَسَّر القرآن برأيه فأصاب لَم يؤجر وإن أخطأ كان إثمهُ عليه – إمامنا الباقر يقول: ما علمتم فقولوا** – ما علمتم يعني ما أخذتم من مصدر العلم الحقيقي هو هذا العلم – **ما علمتم فقولوا وما لَم تعلموا فقولوا الله أعلم** – إذا علمتم بشيء فقولوا وما لم تعلموا فقولوا الله أعلم – **فإن الرجل ينزع بالآية** – يعني يذهب بها بعيداً – **فيخرُ بها أبعد ما بين السماء والأرض** – يعني يذهبُ بها بعيداً في بيان معناها – **فيخرُ بها** – يخرُ إلى أين يخر إلى هاوية الجهل – **فيخرُ بها أبعد ما بين السماء والأرض.**

عن صادق الآل: **من فسر القرآن برأيه إن أصاب لَم يؤجر وإن أخطأ فهو أبعد من السماء.**

عن صادق الآل: **ليس أبعدُ أو ليس أبعدَ من عقول الرجال من القرآن.**

عن صادق العترة يقول: **قال أبي** – يعني الباقر صلوات الله عليه – **ما ضرب رجلٌ القرآن بعضه ببعضٍ إلا كفر** – ضرب بعضه ببعض هكذا بحسب آراءه وأخذ يفسر هذه الآية بتلكم الآية من دون أن يكون عالماً بالمُحكَمِ والمُتشابِه بالناسخ والمنسوخ بالمجمل والمبين بكل هذه التفاصيل التي علمها خاصٌ فقط بمن خوطب به.

رواية جميلة عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، هذا مقطع من رسالة الإمام هذه الرواية يرويها البرقي رحمة الله عليه في المحاسن، من رسالة، مقطع من رسالة يكتبها الإمام الصادق – **وإن القرآن أمثالٌ لقومٍ يعلمون دون غيرهم** – أمثال ما المراد من الأمثال؟ الأمثال يعني شفرات المَثَل ما هو؟ المثل هو عبارة هذه العبارة تتحدث عن حقيقة ووراء هذه الحقيقة قصة وأحداث ووقائع هذا معنى المثل، يعني القرآن عبارة عن شفرات، شفرات تكشف عن الحقيقة ليس الكلام في الدلالة العربية والفظ العربي هذا وجهٌ من وجوه القرآن وقطعاً هذا نحن لا ننكره هذه قضايا بديهية نحن نتحدث فيما وراء اللفظ – **وإن القرآن**

أمثالٌ لقومٍ يعلمون دون غيرهم ولقومٍ يتلونه حقُّ تلاوته – حقُّ التلاوة لا بالإدغام وبالسكت وبالوصل وبإخراج الحروف من مخارجها وذلك شيءٌ جيد وحَسَن أن نخرج الحروف من مخارجها وأن نقف عند مواضع الوقف لكن لا أن تكون الغاية القصوى من القرآن هي هذه الأمور، هذه أمور سطحية والعجيب أن الناس منشغلة بهذه الأمور السطحية، حقُّ التلاوة هو معرفة معاني القرآن – **وإن القرآن أمثالٌ لقومٍ يعلمون دون غيرهم ولقومٍ يتلونه حقُّ تلاوته وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه فأمَّا غيرهم** – الذين يتلونه حقَّ تلاوته هم آل مُحَمَّد هكذا بيّنت الروايات وهي الحقيقة الواضحة – **فأمَّا غيرهم فما أشد إشكاله عليهم ما أشد الإشكال وأبعده من مذاهب قلوبهم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه ليس شيءٌ بأبعد من الرجال من تفسير القرآن وإنما أراد الله في ذلك** – لماذا جعل تفسير القرآن بعيداً – **وإنما أراد الله في ذلك أن ينتهوا إلى بابه وصراطه وأن يعيدوهم وينتهوا في قوله إلى طاعته بكتابه والناطقين عن أمره وأن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا عن أنفسهم قال الله عزَّ وجلَّ:**

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ من الذي يستنبطونه منهم؟ ذلك الذي لا يعرفُ معنى إبا يعني الحشيش من الذين يستنبطونه منهم؟

فأما غيرهم فليس يعلم ذلك أبداً فإياك وتلاوة القرآن برأيك فإن الناس غير مشتركين في علمه كاشتراكهم فيما سواه من الأمور ولا قادرين عليه ولا على تأويله إلا من حده وبابه الذي جعله الله له – له باب واحد فقط، الرواية بحاجة إلى أن أقرأها مئة مرة على مسامعكم وبحاجة إلى شرح ولكن ماذا نصنع للوقت الوقتُ يجري سريعاً، هذه الرواية بحاجة إلى أن نقف عندها طويلاً، هذه الرواية أنا أنقلها من تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للمحدث الجليل أبي الحسن النباطي العملي رضوان الله تعالى عليه هو ينقلها عن محاسن البرقي وهي موجودةٌ في البحار أيضاً.

رواية هنا ينقلها السيد هاشم البحراني ينقلها عن الشيخ الصدوق أوردها في الغيبة في غيبة الصدوق، الرواية: **عن جابر بن يزيد الجعفي عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سَمُرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لعن الله المجادلين في دين الله على لسان سبعين نبياً ومن جادل في آيات الله فقد كفر قال الله عزَّ وجلَّ:** ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ – المجادلة تأتي من الجهل ولذلك أنا مراراً أكرر بأن المجادلات لا تنفع الناس، المجادلات هذه الموجودة على الفضائيات المجادلات الموجودة على الإنترنيت إن كان فيها منفعة في بعض الحالات فمنفعتها قليلة جداً، المنفعة أن نتدبر في القرآن وأن نتعلم ما يقول أهل البيت، المناقشات والمجادلات لا تعود بكثير فائدة على

الناس، الفائدة هو في التدبر في التبصر، ويستمر رسول الله في الحديث بعد أن يورد الآية:

﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ **ومن فسر القرآن برأيه فقد أفترى على الله الكذب ومن أفتى بغير علمٍ لعنته ملائكة السماء والأرض** – بغير علمٍ من آل مُحَمَّد – **من أفتى بغير علمٍ لعنته ملائكة السماء والأرض كلُ بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار، قال عبد الرحمن بن سَمُرة فقلت: يا رسول الله أرشدني إلى النجاة** – إذا كانت القضية بهذه الخطورة – **أرشدني إلى النجاة، فقال: يا ابن سمرة إذا اختلفت الأهواء وتفرقت الآراء فعليك بعليّ بن أبي طالب فإنه إمامُ أُمَّتي وخليفتي عليهم من بعدي وهو الفاروق الذي يتميز به بين الحق والباطل من سأله أجابه ومن استرشده أرشده ومن طلب الحق عنده وجده ومن التمس الهدى لديه صادفه ومن لجأ إليه أمنه** – ونحن نلجأ إليك يا أمير المؤمنين، أَمِنَ من لجأ إليك يا أبا الحسن – **ومن لجأ إليه أمنه ومن استمسك به أنجاه ومن اقتدى به هدى يا ابن سمرة سَلِمَ منكم من سَلَّمَ ووالاه** – هنا البحث عن السلامة الحقيقية هذه السلامة الحقيقية الباحث عن التأمين، التأمين هنا التأمين عند عليٍّ، الباحث عن الضمان الصحي الضمان الصحي صحة الدين وصحة العقول وصحة العقيدة هنا، هذه مؤسسة الضمان الصحي، ضمان صحة الأديان، ضمان صحة المعارف، ضمان صحة العقول.

إذا كانت هناك دعايات وإعلانات على القنوات الفضائية أو على شبكات الإنترنيت لمؤسسات التأمين مؤسسات الضمان الصحي نحن هنا إعلاننا ودعايتنا فقط لهذه المؤسسة هذه القناة قناة محتكرة لهذه المؤسسة لمؤسسة الضمان الصحي أي مؤسسة؟ مؤسسة عليٍّ في ضمان صحة العقول وفي ضمان صحة المعتقدات وفي ضمان صحة الأديان – **يا ابن سَمُرة سَلَمَ منكم من سَلَّمَ ووالاه وهلك من رد عليه وعاداه، يا ابن سَمُرة إن علياً مني روحه من روحي وطينته من طينتي وهو أخي وأنا أخوه وهو زوجُ ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وإن منه إمامي أمتي وأبنيَّ وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائم أمتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً** – والله لو عندنا فقط هذه الرواية لكفى بها خريطة كاملة لمسيرة الحياة، لو عندنا فقط هذه الرواية، هذه الرواية بينت لنا كيف نتعامل مع الكتاب ومع العترة، ما هي وديعةُ رسول الله؟ وديعةُ رسول الله الكتاب والعترة، هذه الرواية وحدها لو كنا نملك فقط هذه الرواية، هذه الرواية خريطة كاملة، خريطة مفصلة لكيفية التعامل مع وديعة رسول الله.

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ، وَحَمَلَةِ كِتابِ اللهِ، وَأَوْصِياءِ نَبِيِّ اللهِ – وصفٌ آخر عنوانٌ آخر وإن كان الحديث عن العنوان السابق يحتاج إلى تطويل

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله كما يقول سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه، فهم حَمَلةُ كتاب الله بل هم كتاب الله وكفى بذلك كلاماً – **وأَوْصِياءِ نَبِيِّ اللهِ** – وبعد كل هذا أفلا يكونون أوصياءً لنبي الله؟! وأنا هنا لا أريد أن أتحدث عن معنى الوصية فذلك موضوعٌ واسع أنا أحاول أن أللم أطراف الحديث، هم أوصياءُ نبي الله الوصية هي سر مُحَمَّد وسر مُحَمَّد انتقل إليهم بل هو فيهم بل هم مُحَمَّد أولهم مُحَمَّد وأوسطهم مُحَمَّد وآخرهم مُحَمَّد كلهم مُحَمَّد، الوصيةُ هي هذه وهذا معنىً واسع وعميق، هم أوصياء نبي الله هم أوصياء مُحَمَّد هم مُحَمَّد، الوصيةُ في عمقها في بعدها العميق هي هذه لكننا نتحدث في الأفق الظاهر من الوصية وهي الخلافة، الخلافة خلافة الدين والدنيا، خلافتهم على الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنا أشير إلى جهتين:

الجهة الأولى هل نحن بحاجة إلى نثبت بالأدلة أنهم هم أوصياء مُحَمَّد صلى الله عليه وآله؟! أنا لست في هذا المقام وإني لا أريد أن أصرف شيئاً من وقتي في مثل هذه المسائل الجانبية، ولذلك نحن في هذه القناة نحاول قدر الإمكان أن نبتعد عن مسألة النقاشات والجدالات بقدر ما نتمكن وحتى في موقعنا الإلكتروني سنحاول الابتعاد قدر ما نتمكن لأن هذا مضيعة ويعود بالقسوة على القلوب، القلوب التي تريد أن تعرف مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد أن تبتعد عن كل ما يقسيها، الجدال والمراء والنِقاش لا يعود بالنورانية والروحانية على القلوب، القلوب التي تفعم بالحب كيف تفعم القلوب بالحب ونحن نغذيها بالجدل والنقاش؟ نعم قد يكون الجدل والنقاش وفي حالات نادرة جداً جداً جداً فيه فائدة، الجدل والنقاش لا فائدة فيه، المعرفة، السعي إلى المعرفة عمر الإنسان قصير، سنوات والإنسان ما يدري ربما يصاب بمرض ربما يصاب بعوق ربما يصاب ويصاب بأمورٍ كثيرة تطرأ عليه في الحياة فتحول فيما بينه وبين الوصول إلى معرفة أهل البيت، إذا كان هناك من فرصة في حياتنا فلنملأ هذه الفرصة في معرفة أهل البيت، نحاول قدر الإمكان أن نحصل ما نتمكن من تحصيله من معرفة أهل البيت ولندع الأمور الأخرى جانباً وليقل فلان وعلان وليقولوا ما يقولوا.

الإنسان حينما يُمدد على فراش الموت، هل ينفعه فلان أو علان ما الذي ينفعه؟ ﴿**إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ والقلب السليم ذلك القلبُ المفعم بمعرفة أهل البيت، لنبحث عن القلب السليم، سواء رضيت الجهة الفلانية أم لم ترضى (يطبهم طوب) القضية قضية الإنسان يبحث عن مصلحته كل الناس يبحثون عن مصالحهم العاقل ﴿**أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾ هذا الخطاب الذي يصدعُ به القرآن ﴿**أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾ أولوا الألباب من هم؟ أصحاب العقول صاحب العقل هو الذي يبحث عن مصلحته ومصلحة الإنسان في عاقبة أمره وعاقبة أمر الإنسان عند أهل البيت ومع أهل البيت، والرباط الوثيق الذي يربطنا بأهل البيت هي

هذه القلوب، هذه القلوب إذا حُشيت بالجهالات وحشيت بالكلام وبالشكوك والريب والكلام الذي لا نفع فيد ولا فائدة فيه، هذه القلوب ستكون مظلمة أجعلوا هذه القلوب مشرقة بمعرفة أهل البيت، قطعاً أنا أتحدث مع أولئك الذين تهش قلوبهم إلى حديث أهل البيت أما أولئك الذين في ريبهم يترددون لا شأن لنا بهم هم في طريق ونحن في طريق ولا نريد أن نلتقي بهم لا في نقاش ولا في جدل ولا في حديث ذلك مضيعة للوقت.

فحينما نتحدث عن أنهم أوصياء أنا فقط أشير إلى هذه الجهة فقط أشير إلى هذا المطلب، هناك قضايا واضحة لا تحتاج إلى أدلة ولا تحتاج إلى إثباتات قضايا بيّنة صريحة جليّة يعني هل من المعقول هل من المنطقي أن يأتي إنسان فيناقش بأن الشمس تخرج في النهار أو لا تخرج أصلاً هو النهار آتي من الشمس يعني الآن إذا يأتينا إنسان ويناقشنا بأن الشمس تخرج في النهار أو لا تخرج؟ هذا مجنون، النهار هو يأتي من الشمس لو لم تكن الشمس ما كان هناك نهار، هناك قضايا بديهية واضحة لكن ماذا تفعل للقلوب التي لا تفقه وللبصائر التي يعشعش فيها الحسد والعناد والحقد، ماذا تفعل للذوات المريضة للضمائر المنتكسة للفطر المشوهة، هناك قضية واضحة مثلاً الآن على سبيل المثال المَلاحدة الدهريون الطبيعيون سمي ما شئت الذين ينكرون وجود الله هناك قصة طريفة وربما الكثير منكم سمع بها، أحد الزنادقة من المعروفين بكثرة الجدل وقوة النقاش في بغداد كان في بغداد، فقيل له إن فلان من أصحاب جعفر بن مُحَمَّد الصادق هذا رجل له علم وله كلام من أهل الكلام من أهل الجدل والنقاش والبحث في العقائد، صار الاتفاق أن يلتقوا في مكان معين للنقاش في هذه القضية في قضية وجود الله لأن هذا الزنديق ينكر وجود الله ويقول بأن العالم نشأ هكذا من دون خالق، هؤلاء الذين يُسمون بالطبيعيين بالدهرين بالزنادقة لهم أسماء عديدة، الذين يقولون بأن الكون نشأ من وحده من دون خالق، نشأ بحكم الطبيعة.

فاتفقوا على وقت مثلاً في اليوم الفلاني في الساعة العاشرة هذا الرجل الذي هو من أصحاب إمامنا الصادق تأخر وصل مثلاً بعد ساعة أو ساعتين فهو ماذا تصور؟ تصور بأنَّ صاحب الإمام الصادق كأنه فَرّ من النقاش، فلمَّا دخل فقالوا له ما أخرك؟ قال رأيتُ شيئاً عجيباً حينما جئتُ في طريقي إليكم أردت أن أعبر النهر كانت هناك شجرة على شاطئ النهر وإذا بها فُجأةً من دون سبب اقتلعت من الأرض ثم تقطعت أُزيلت الأغصان تقطعت العروق والسيقان وتقسمت إلى أجزاء ثم هذه الأجزاء نُشِرت لوحدها ورتبت ثم صُفّت بحيث تحولت إلى أي شيءٍ؟ تحولت إلى زورق وجاءت المسامير فربطت الأخشاب وتحولت الشجرة لوحدها قطعت فتحولت إلى زورق ثم جاء القير فطلى الزورق ثم الزورق ذهب دخل إلى النهر إلى نهر دجلة ثم بدأ الناس يركبون والزورق يأخذ الناس إلى الجانب الثاني ينزلون، لوحده يسير لا يسيره أحد ويركبون ناس يأتون إلى الجانب الثاني فقال هذا الزنديق قال: ما لك أنت مجنون قال من هو المجنون أنا أم أنت، إذا

أنت زورق من أخشاب رفضت أن يكوّن لوحده، هذا الكون بعظمته كيف تقبل أن يكون من دون خالق؟! من هو المجنون من هو أولى بوصف الجنون أنا أم أنت؟!

هذي قضية واضحة أن هذا الكون له خالق الذي يريد أن ينكر فلينكر هذي قضية راجعة إليه، هو نفسه الآن بكلامه هذا أثبت وجود الله، مثل هؤلاء نحن الآن لا نملك الوقت لأن ندخل معهم في نقاش نحن بحاجة إلى أن نتنور بمعارف أهل البيت لسنا بحاجة إلى أن ندخل في النقاش مع هؤلاء، هؤلاء هم يخصمون أنفسهم بأنفسهم، قضية الوصية نفس الشيء، قضية الوصية واضحة مثل هذه القضية، يعني الآن أنت حينما تأتي إلى شخص فتقول له مثلاً مدير مدرسة يعني أنت الآن أطفالك تضعهم في مدرسة أهلية مثلاً، واحد يضع أطفاله في مدرسة أهلية ويدفع أموال شهرياً لهذه المدرسة ويأخذون منه مبالغ ويومياً المدرسة ترسل له رسالة أدفع كذا من المال ويومياً تريد المدرسة ويريد مدير المدرسة من أرباب الأطفال من أولياء أمور الأطفال أن يأتوا فيساهموا في إنجاز مشاريع المدرسة وهؤلاء أولياء الأمور يدفعون الأموال فُجأة يسمعون بأن مدير المدرسة ترك المدرسة وذهب سافر إلى البندقية يريد يروح يتونس فسافر إلى فينيسيا يقضي أيامه هناك وترك المدرسة فيأتون يسألون يقولون يعني المدرسة المدير لَمَّا سافر ترك شخصاً ينوب عنه أو لا؟ يقولون لهم لا ماذا يفعلون؟ ألا تثور ثائرة أولياء الأمور؟ ألا يخرجون أطفالهم من المدرسة ويطالبون بإسترجاع أموالهم؟ أي مدير مدرسة هذا؟ هذا مدير المدرسة لص قد يكون يريد أن يسرق أموال الناس أحمق غبي سمي ما شئت، هذا لص نصاب محتال غبي ما عنده مسؤولية، كيف يترك المدرسة هكذا من دون شخص ينوب عنه مع أنه يوجد معلمون وفراشون وناس يخدمون في المدرسة لكنه ما ترك مسؤول.

الآن مثلاً يدخل الزوج الرجل إلى بيته فيشم وقت الدخول رائحة شيء يحترق شيء محترق داخل البيت، البيت مليء بالدخان يسرع إلى أين يذهب؟ إلى المطبخ يجد قدراً من المرق موضوع على الطباخ تركته زوجته ذهبت نامت، خرجت إلى الجيران، ذهبت إلى السوق إلى أي مكان جلست في الحديقة، تركت القدر من دون مراقبة خرجت إلى خارج البيت ذهبت لتجلب أحد أطفالها من المدرسة أحترق القدر بما فيه وأمتلأ البيت بالدخان ولو لم يأتي في اللحظة المناسبة ربما أدى هذا الحريق إلى احتراق البيت بكامله، حينما تعود زوجته ماذا يقول لها؟ ألا يقول لها كيف تركت القدر هكذا إما أن تطفئي النار وإما أن تتركي أحداً يراقب لماذا لم تكلفي مثلاً واحدة من نساء الجيران؟ لماذا لم تكلفي بنتك الفلانية أن تأتي؟ لماذا لم تخابريني تلفونياً تتصلي بي فأأتي حتى أراقب القدر؟ يطالبها بوجود الخليفة على قدرٍ من المرق على قدرٍ فيه عدة طماطات وقطع من البطاطا وشيء من لحمٍ وعظم.

قضية بديهية واضحة لا تحتاج إلى بحث، هذه الخليقة تترك بدون وصي كيف يمكن هذا؟ هذي مسائل

بديهية موجودة في حياتنا من الوضوح لا تحتاج إلى جدل، الذي يجادل مع هؤلاء يقضي وقته في فراغ، يقضي وقته في شيء لا فائدة فيه، أنا ادعوا جميع إخواني من المتكلمين من المحدثين أن ضُخوا في الناس حديث أهل البيت لا علاقة لنا بهؤلاء هؤلاء ناس عميان هؤلاء عوران حولان ما الفائدة من الجدل والنقاش معهم؟ الناس بحاجة إلى أن تعرف أهل البيت، شيعةُ أهل البيت زمان طويل وقرون وحديثهم بعيد، الآن في هذه الزمان تهيأت لنا تهيأت وسائل النشر والحديث والبث والنشر والانتشار، أحيوا أمر أهل البيت رحم الله من أحيا أمرنا، إحياء أمر أهل البيت لا بالنقاش والجدل الفارغ والبحث في طوايا الصحاح الستة أو غيرها كي نجد هنا رواية وهناك رواية ونقتنص هناك حديث وهنا حديث، ما فائدة ذلك، أرجعوا إلى الكافي إلى الكتب الأربعة إلى البحار إلى حديث آل مُحَمَّد، إلى كتب الشيخ الصدوق واسبحوا في هذا البحر الخِضَمّ في بحر خِضَمّ في بحر أهل البيت، غوصوا في هذه البحار وأخرجوا للناس اللآلئ أخرجوا للناس اليواقيت والمرجان من بحار آل مُحَمَّد، الناس بحاجة إلى هذا التوجه لسنا بحاجة إلى أن نثبت أن آل مُحَمَّد أوصياء بصحة حديث وأأتي بحديث فأناقش في سنده وقال الرجاليُّ فلان كذا وقال علان كذا، من هم هؤلاء الرجاليون؟!

هؤلاء آل مُحَمَّد يدلون على أنفسهم بأنفسهم، القضية واضحة وبديهية جداً جداً جداً، الآن توجد مراحيض في مختلف البلدان في البلدان المتطورة مراحيض بالأجرة يدخلون لها بالأجرة، في البلدان المتطورة مثلاً هنا في بريطانيا هناك مراحيض بالأجرة تدفع وتدخل، موجود أجهزة من خلال الجهاز موجود كومبيوتر تدفع للكومبيوتر يفتح لك الباب ما تدفع لا يفتح لك الباب في البلدان غير المتطورة لابد أن يوجد هناك شخص يتابع هذه المراحيض الداخل والخارج، لو أن هذا صاحب المراحيض وضع أبنه على المراحيض هل يترك المراحيض؟ يضع أبنه في مكانه إذا ذهب في شأنٍ من شؤونه، إذا رجع ووجد أبنه ترك المراحيض ألا يعاتب أو يعاقب أبنه لأنه لم يترك أحداً مكانه حتى لو قال له بأن أمي اتصلت بجهاز الموبايل وقالت قضية مهمة في البيت أختك فلانة صار فيها ما صار، لا يقبل أبوه منه هذا العذر، يقول لماذا لم تترك أحداً وهي مراحيض. أُمَّة كامله ليس فقط أُمَّة الناس، الناس ليس فقط الذين كانوا يعيشون في المدينة دين مُحَمَّد وآل مُحَمَّد دين لكل البشرية رحمة للعاملين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعني أن مُحَمَّد يتيه العالمين هكذا من دون أوصياء، هل يُقبل هذا؟ هل هناك منطق؟ أبسط الأمور في الحياة لَمَّا قتل الرئيس الأمريكي كندي نائب الرئيس الأمريكي وهو في الطائرة وهذي قضية معروفة وهو في الطائرة أدى القسم، أدى القسم على أن يكون رئيس هذا بحسب قوانين الولايات المتحدة، نائب الرئيس في حال يموت الرئيس أو يحدث حادث نائب الرئيس يصبح رئيساً أدى القسم وهو في الطائرة لماذا؟ هل هناك مشكلة؟ لئلا يحدث فراغ دستوري

لمدة ساعة أو ساعتين، والآن هذه الخلافات الموجودة في كل دول العالم خصوصاً مثلاً في دولنا العربية في الدول الإسلامية من الذي يخلف الملك من الذي يخلف الرئيس وهذي قضية معقدة لماذا حينما يكون الحديث عن دين الله عن حكم الله عن شريعة الله لابد أن مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله يترك الأُمَّة هكذا هدراً من دون وصي؟! أبو بكر نفسه نَصَّ على عمر وعمر نفسه نصب مجلساً سماه بمجلس الشورى، فلماذا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله ترك الأُمَّة هكذا هدراً، القضية واضحة والمسائل بينة لذلك أنا ما أريد أن أطيل أكثر أورد لكم هذه الرواية فقط كان بودي أن أورد روايات عديدة فقط أذكر مصادرها، هناك رواية طويلة جداً لكن الوقت ما يكفي أن أوردها.

الرواية موجود في الجزء الثالث والعشرين من بحار الأنوار الحديث الثاني منقول عن تفسير العياشي في صفحة: 59 صفحة: 60، صفحة: 61، صفحة: 62، صفحة: 63، الرواية طويلة وما عندي وقت أن أقرأها على مسامعكم، أقرأ رواية أقصر منها وهناك روايات أخرى أيضاً، رواية أقصر منها، الرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه وكذلك ينقلها الشيخ الطوسي، الشيخ الصدوق نقلها في الإكمال والشيخ الطوسي نقلها في الأمالي: **عن مقاتل بن سليمان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد النبيين ووصيي سيد الوصيين وأوصيائي سادة الأوصياء إن آدم سأل الله عزَّ وجلَّ أن يَجعل له وصياً صالِحاً فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه إني أكرمت الأنبياء بالنبوة ثم اخترتُ خلقي وجَعَلتُ خيارهم الأوصياء ثم أوحى الله عزَّ وجلَّ إليه يا آدم أوصي إلى شيث فأوصى آدم إلى شِيث وهو هبة الله بن آدم وأوصى شِيث أو شَيث إلى ابنه شبَّان وهو ابنُ نزلة الحوراء التي أنزلها الله على آدم من الجنة فزوجها ابنه شيثاً وأوصى شبَّان إلى مَحلث وأوصى مَحلث إلى مَحوق وأوصى مَحوق إلى عميشا وأوصى عميشا إلى أخنوخ وهو أدريس النبي وأوصى إدريس إلى ناحور ودفعها ناحور إلى نوحٍ النبي وأوصى نوحٌ إلى سام وأوصى سام إلى عثامر وأوصى عثامر إلى برعي ثاشا وأوصى برعي ثاشا إلى يافث وأوصى يافث إلى بره وأوصى بره إلى جفيسا وأوصى جفيسا إلى عمران ودفعها عمران إلى إبراهيم الخليل وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل** – وإسماعيل كان له خطان من الأوصياء خط في بني إسرائيل وخط في آل إبراهيم.

الآن الرواية تتحدث عن خط أوصيائه في بني إسرائيل – **وأوصى جفيسا إلى عمران ودفعها عمران إلى إبراهيم الخليل وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل وأوصى إسماعيل إلى إسحاق وأوصى إسحاق إلى يعقوب وأوصى يعقوب إلى يوسف وأوصى يوسف إلى يثريا وأوصى يثريا إلى شعيب ودفعها شعيب إلى موسى بن عمران وأوصى موسى بن عمران إلى يوشع بن نون وأوصى يوشع بن نون إلى داوود**

وأوصى داوود إلى سليمان وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا وأوصى آصف بن برخيا إلى زكريا ودفعها زكريا إلى عيسى بن مريم وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر وأوصى منذر إلى سليمة وأوصى سليمة إلى بردة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ودفعها إليَّ برده وأنا أدفعها إليك يا عليّ وأنت تدفعها إلى وصيك ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك واحدٌ بعد واحد حتى يدفع – تدفع الوصية – **إلى خير أهل الأرض بعدك ولتكفرن بك الأُمَّة** – إلى خير أهل الأرض بعدك يعني إلى صاحب الأمر حتى تصل إلى خير أهل الأرض إلى الحجة بن الحسن – **ولتكفرن بك الأُمَّة يا عليّ ولتختلفن عليك اختلافاً شديداً الثابت عليك كالمقيم معي والشاذ عنك في النار والنارُ مثوىً للكافرين** – طبعاً الرواية هنا ما ذكرت كل الأوصياء لكل نبيٍ إثنا عشر وصي، الآن ذكرت الوصي الأول، الروايات التي ذكرت الأوصياء ذكرت جانباً من ذلك، يعني مثلاً الآن أوصياء إسماعيل الرواية هنا ذكرت أوصى إسماعيل إلى إسحاق وهو خطُّ الوصاية في بني إسرائيل، هناك خطُّ الوصاية في آل إبراهيم في الديانة الحنيفية لأن الديانة اليهودية ما نسخت الديانة الحنيفية، فهناك أوصياء من إسماعيل وصلوا إلى الديانة اليهودية، وهناك أوصياء من إسماعيل وصلوا بالديانة الحنيفية إلى مُحَمَّدٍ صلى الله علية وآله وخاتمة الأوصياء أبو طالب وأبو طالب أخذ الوصاية عن عبد المطلب وعبد المطلب أخذ الوصاية عن أجداده من أجداد النبي وإلى هذا تشير الروايات إلى أن أجداده كانوا من الأنبياء لأن أجداد النبي كانوا من أوصياء إبراهيم والروايات تقول بأن أوصياء إبراهيم أنبياء وأبو طالب كان آخر وصي من أوصياء إبراهيم لكنه كان محجوجاً بمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

وإن شاء الله يأتينا يوم من الأيام ونتحدث عن نبوة أبي طالب وعن وصية أبي طالب ودعني من قول أولئك الذين يريدون أن يثبتوا إسلامه هو متى كفر حتى نأتي لنثبت إسلامه؟ كان وصياً كما يقول أئمتنا من أوصياء إبراهيم، وهم قالوا لنا بأن أوصياء إبراهيم أنبياء، الوصيةُ ممتدةٌ من لدن آدم إلى يومنا هذا، في يومنا هذا الذي يحمل الوصية هو إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه وبعد ذلك تريدُ مني أن أدخل في جدلٍ أو في نقاشٍ عقيمٍ لا فائدة فيه أن أثبت لقومٍ ضلوا وأضلوا عن طريق آل مُحَمَّد، فأن نقضي وقتاً أوقات طويلة في إثبات أن عليّاً كان هو الوصي ما قيمة هذا الكلام؟ عليٌّ وصي وعليٌّ دالٌ على نفسهِ بنفسه وليس محتاجاً لي ولا لغيري لأدافع عنه إنما نحن نتوسلُ بحديثهم وبمعارفهم نريد أن نقترب منهم، أنا هنا أبحثُ عن مصلحتي وأنتم أبحثوا عن مصالحكم، العاقل الذي يبحث عن مصلحته أبحثوا عن مصالحكم، مصالحنا أن نقترب من أهل البيت، الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر فيها آخرون، أبحثوا عن التجارة المربحة، أنا هنا أعمل تاجراً في هذه الدنيا، فلنبحث في سوق الدنيا في تجارة الدنيا لنبحث عن التجارة المربحة حتى لو لم

تعجب الآخرين، أليس هناك من التجار من يعمل في بضائع معينة ربما الآخرون لا تعجبهم لا يروق لهم أن يعملوا بهذه التجارة لكن هو يعلم بأن التجارة المربحة هنا، نحن نعلم علم اليقين التجارة المربحة هنا، الأرباح العظيمة هنا، من أراد أن يربح وينال الأرباح والفوائد العظيمة هنا عند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

هنا في الزيارة الجامعة علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً أقوله إذا زرت واحداً منكم الأرباح والتجارات والأموال الحقيقية هنا: **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ، وَحَمَلَةِ كِتابِ اللهِ، وَأَوْصِياءِ نَبِيِّ اللهِ، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.** هم أوصياءه وهم ذريته، هل في ذلك شك أنهم ذريةُ رسول الله؟! لكنني لابد أن أقف عند هذه العبارة، هل هناك من شك في أن جعفر بن مُحَمَّد الصادق من ذرية رسول الله؟! هل هناك شك من أن الإمام العسكري من ذرية رسول الله؟! هل هناك شك في أن الحجة بن الحسن صلوات الله عليهما من ذرية رسول الله؟! هذي قضايا واضحة لا تحتاج إلى بحث ولا تحتاج إلى شرح ولكن مع ذلك نحن نوردُ بعضاً من كلماتهم صلوات الله عليهم، نوردُ بعضاً من المعاني التي جاءت في هذا السياق.

هذا هو الجزء الثالث والأربعون من بحار الأنوار من بحار أنوارهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه رواية تنقل لنا مناقشة بين سعيد بن جُبير والحجاج، وسعيد بن جُبير علمه من علمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، سعيد بن جبير من أصحاب إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه هو يأخذُ من تلكم العين الطاهرة، الخبر منقول عن عامر الشعبي وهو من علماء الأمويين معروف من هو عامر الشعبي أنه قال: **بعث إليَّ الحجاج ذات ليلة فخشيتُ** – هذا هو منهم ويخاف من الحجاج – **بعث إليَّ الحجاج ذات ليلة فخشيتُ فقمتُ فتوضأت وأوصيت** – هذا يوصي، هذا يجوز له أن يوصي أما مُحَمَّد صلى الله عليه وآله لا يوصي بالأُمَّة – **بعث إليَّ الحجاج ذات ليلة** – هذا هو الاندفاع الفطري توقع أن يموت فيوصي لابد أن يوصي – **بَعَثَ إليَّ الحجاج ذات ليلة فخشيتُ فقمتُ فتوضأت وأوصيت ثم دخلتُ عليه فنظرت فإذا نطعٌ منشور** – نطع هذي قطعة من الجلد، الحجاج النطع موجود عنده دائماً لأنه من الصباح إلى المساء يذبح بالناس النطع هذي قطعة من الجلد يضعون عليه الشخص الذي يذبح فيذبحونه حتى لا يتسخ المكان المجلس بدماء المذبوح – **فنظرت فإذا نطعٌ منشور والسيف مسلول فسلمت فرد عليَّ السلام وقال: لا تَخف فقد أمنتك الليلة وغداً إلى الظهر وأجلسني عنده ثم أشار فأُوتي برجل مقيد بالكبول والأغلال فوضعوه بين يديه فقال: إن هذا الشيخ يقول إن الحسن والحسين كانا أبني رسول الله صلى الله عليه وآله ليأتيني بحجةٍ من القرآن وإلا لأضربن عنقه** – هذا الشيخ هو سعدي بن جبير – **فقلت: يَجب أن تَحل قيده فإنه إذا احتج فإنه لا مَحالة يذهب وإن لَم يَحتج فإن السيف لا يقطع**

هذا الحديد – هذا يدل ماذا؟ يدل على أن السلاسل والأغلال والكبول كانت حتى على رقبته – **فحلوا قيوده وكبوله فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير فحزنتُ بذلك وقلت كيف يَجدُ حجةً على ذلك من القرآن، فقال له الحجاج: أأتني بِحجةٍ من القرآن على ما أدعيت وإلا أضرب عنقك فقال له: أنتظر فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك فقال: أنتظر فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحيم ثم قال:** ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾ **إلى قوله:** ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ **ثم سكت وقال للحجاج أقرأ ما بعده فقرأ** ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ **فقال سعيد كيف يلحق ها هنا عيسى؟! قال: إنه كان من ذريته، قال: إن كان عيسى من ذرية إبراهيم ولَم يكن له أب بل كان ابن أبنته فنُسب إليه مع بعده فالحسنُ والحَسين أولى أن ينسبا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مع قربهما منه** – إلى آخر الكلام القصة فيها تفصيل أنا أكتفي بهذا الموطن، القرآن صريح وواضح وهذا الكلام موجود في الروايات وإنما سعيد بن جبير أخذ هذا الكلام من الأئمة من إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه.

هنا رواية جميلة ينقلها علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، هو هذا القرآن وهؤلاء آل مُحَمَّد وهم الذين يعرفون قرآنهم، تلاحظون هذا عامر الشعبي ماذا قال؟ عامر الشعبي لَمَّا الحجاج طلب من سعيد بن جبير حجة ودليل من القرآن على أن الحسن والحسين هم أولاد رسول الله فعامر الشعبي لأن علمه مأخوذ من جهة بني أمية ماذا قال؟ – **فحزنتُ بذلك وقلتُ كيفَ يَجدُ حجةً على ذلك من القرآن** – من أين يأتي بحجة؟ فجاء بالحجة سعيد لأنه جاء بها من أهل القرآن لم يأتي بها من عنده، جاء بها من أهل القرآن واضحةً صريحةً، أعود إلى رواية علي بن إبراهيم – **عن أبي الجارود عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: قال لي أبو جعفر: يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين عليهما السلام؟! قلتُ: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله** – باعتبار أبو الجارود من الشيعة، هو في مقطع من حياته أبو الجارود أنحرف عن أهل البيت، النتيجة الآن الحديث ليس عن أبي الجارود – **قال لي أبو جعفر: يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين عليهم السلام؟! قلتُ: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله قال: فبأي شيءٍ احتججتم عليهم؟! قلتُ: بقول الله عزَّ وجلَّ في عيسى بن مريم:**

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ **إلى قوله:** ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ **وجعل عيسى من ذرية إبراهيم، قال: فأي شيئاً قالوا لكم؟ قلتُ: قالوا: قد يكون ولدُ الابنة من الولد ولا يكون من الصلب** – لاحظوا الشيطنة في الجدل، هذا الذي نحن نقول عنه لا فائدة من الجدل، القرآن صريح أن عيسى من ذرية

إبراهيم فماذا قالوا؟ قالوا: قد يكون ولد الابنة من الوَلد أو من الولد ولا يكون من الصلب، يمكن أن يسمى ابن الابنة ابن ولكن لا يكون من الصلب، ليس ولداً صلبياً لأن الولد الصلبي يختلف – **قال: فبأي شيءٍ احتججتم عليهم؟! قال: قلت احتججنا عليهم بقول الله تعالى:**

﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ﴾ **قال: فأيُّ شيءٍ قالوا لكم؟ قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبنيَّ رجلٍ واحد فيقول أبناءنا وإنما هما ابن واحد** – يعني كون عنده ولدان مرةً يقول ولدي مرة يقول أولادي أبناءنا – **قال: قد يكون في كلام العرب أبنيَّ رجلٍ واحد فيقول أبناءنا وإنما هما ابن واحد** – يعني أبناء عليّ – **قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: والله يا أبا الجارود لأعطينكها من كتاب الله تُسمي لصلب رسول الله** – لأعطيك دليلاً أن الحسن والحسين أولاد صُلبيين لمُحَمَّد، هو هذا قرآنهم هم يعرفونه – **والله يا أبا الجارود لأعطينكها من كتاب الله تسمي لصلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا يردها إلا كافر قلتُ: جُعلتُ فداك وأين؟! قال: حيث قال الله:** ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ **إلى أن ينتهي إلى قوله:** ﴿وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾ – حلائل أبناءكم يعني حلائل أبناءكم الذين من أصلابكم – **فسلهم يا أبا الجارود هل حل لرسول الله نكاح حليلتهما؟!** – حلائل أبنائكم من أصلابكم، يعني الرجل لا يجوز له أن يتزوج زوجة ابنه الذي من صلبه، الآية هنا ماذا تقصد؟ تقصد أبناء الابن فقط أو أبناء الابن وأبناء البنت بإجماع المسلمين؟ الآية تقصد أبناء الأبناء وأبناء البنات ﴿وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾ يعني أبناء البنات أيضاً هم أولاد صلبيون، الآية صريحة واضحة، أنا قلت هو قرآنهم هم يعرفون به، نحن لا نستغرب ذلك، نحن نستغربُ من ذلك الذي يَدعُ آل مُحَمَّد ويذهب إلى غيرهم يتعلم القرآن من غيرهم، نستغرب من الذين يتعلمون قراءة القرآن عند غير آل مُحَمَّد ويتعلمون تفسير القرآن عند غير آل مُحَمَّد ويكتبون في القرآن عن غير آل مُحَمَّد ويتحدثون على المنابر وهم من شيعة أهل البيت عن غير آل مُحَمَّد، الاستغراب من هؤلاء، نحن لا نستغرب القرآن قرآنهم والآيات آياتهم وهم أعرف به ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ ﴿وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾ يعني حلائل أبناء الابن وحلائل أبناء البنت من أصلابكم – **فسلهم يا أبا الجارود هل حل لرسول الله نكاح حليلتهما؟!** – يعني حليلة الحسن والحسين؟ – **فإن قالوا نعم فكذبوا والله وفجروا وإن قالوا لا فهما والله أبناه لصلبه وما حَرُمَتا عليه** – يعني ما حرمت حليلتا الحسن والحسين على رسول الله – **إلا للصلب** – إلا لأنهما من أبناءه الصلبين، لا أعتقد أن المطلب بحاجة إلى تطويل أكثر من ذلك.

لكن فقط هذي رواية جميلة أختم بها الحديث وإن كان بودي أن أورد روايات عديدة، هذي الرواية هدية لكم يا شيعة أهل البيت، أنا أختم بها حديثي باعتبار أن هذه الحلقة آخر حلقة من حلقات برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة في شهر رمضان المبارك إن شاء الله نعود نلتقي على مودّة أوصياء رسول الله على مودّة ذرية رسول الله على مودّة سيد الأوصياء نلتقيكم إن شاء الله بعد شهر رمضان وفي أيام شهر رمضان لقاءاتنا متواصلة معكم في برامج أخرى إن شاء الله.

هذي رواية ينقلها الشيخ المجلسي من تفسير فرات بن إبراهيم هو الحديث فيها عن أهل الكوفة وإنما الحديث عن أهل الكوفة لأن شيعة أهل البيت حين الحديث كانوا من أهل الكوفة وإلا شيعة أهل البيت الآن موجودون، هذه الرواية لا تخص أهل الكوفة الحديث عن أهل الكوفة لأنه في الزمان الذي قيل فيه هذا الكلام كان شيعة أهل البيت في الكوفة، هذه الرواية لشيعة أهل البيت، أنتم في فلسطين إخواننا أحباءنا في فلسطين إخواننا أحباءنا في مصر في موريتانيا في المغرب في كل بقعة من البقاع في إيران في الحجاز في الخليج في العراق في النجف الشريف في كل مكان في شرق الأرض في غربها في أوربا في الولايات المتحدة في أستراليا في كل مكانٍ من هذا العالم أنى وجدتم هذه الرواية وهذا الحديث لكم يا شيعة أهل البيت.

عن عبد الله بن الوليد قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فقال لنا: ممن أنتم؟ – الإمام يسألهم ممن أنتم؟ وهذا السؤال يوجه لنا نحن هنا في لندن، لو قدمنا على أبي عبد الله فسيقول لنا ممن أنتم نقول نحن من شيعتكم هنا في لندن وأنتم في غزة تقولون ذلك وأنتم هناك في القاهرة تقولون ذلك وأنتم في طهران تقولون ذلك وأنتم في كربلاء تقولون ذلك وأنتم في دمشق في جوار السيدة تقولون ذلك وفي كل مكان – **فقال لنا: ممن أنتم؟ فقلنا له: من أهل الكوفة، فقال لنا: إنه ليس بلدٌ من البلدان ولا مِصر من الأمصار أكثر مُحِبَّاً لنا من أهل الكوفة** – وهنيئاً لكم يا أهل الكوفة هنيئاً لكم يا أهل النجف يا أهل العراق – **إنه ليس بلدٌ من البلدان ولا مِصر من الأمصار أكثر مُحِبَّاً لنا من أهل الكوفة إن الله هداكم لأمرٍ** – يا شيعة أهل البيت في كل مكان يا شيعة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **إن الله هداكم لأمرٍ جَهِلَهُ الناس** – هذه نعمةٌ لا يمكن أن تُشكَر – **إن الله هداكم لأمرٍ جهله الناس فأجبتمونا وأحببتمونا وأبغضنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس وأتبعتمونا وخالفنا الناس** – هذا الخطاب ليس لأهل الكوفة فقط، أهل الكوفة أعلى عيناً به، أهل العراق أعلى عيناً به، هذا الخطاب لكل الشيعة في كل مكان في مشرق الأرض وفي مغربها في فرنسا في أوكرانيا في أي مكان في لتوانيا في أي مكان أينما تواجد شيعة أهل البيت في الكويت في الإمارات في أي مكان في عمان وفي اليمن في أي بقعةٍ من بقاع العالم – **إن الله هداكم لأمرٍ جَهِلَهُ الناس فأجبتمونا وأحببتمونا وأبغضنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس وأتبعتمونا وخالفنا الناس** –

الإمام يدعوا يقول: – **فجعل الله مَحياكم مَحيانا ومَماتكم مَماتنا فأشهد على أبي** – الإمام الصادق يقول: – **فأشهد على أبي أنه كان يقول: ما بين أحدكم** – يا شيعة أهل البيت – **وبين أن يغتبط** – يعني أن تصيبه السعادة – **ما بين أحدكم وبين أن يغتبط** – تصيبه السعادة – **ويرى ما تقرُّ به عينه إلا أن تبلغ نفسه ها هنا** – يعني حين الاحتضار – **ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما تقرُّ به عينه إلا أن تبلغ نفسه ها هنا وأومأ بيده إلى حلقه وقد قال الله في كتابه:**

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ **فيقول: فنحن ذريةُ رسول الله صلى الله عليه وآله** – ونحن هنا نخاطبهم: **وأَوْصِياءِ نَبِيِّ اللهِ، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه** – وها هم يدعون لنا أن يجعل الله محيانا محياهم ومماتنا مماتهم، نحن معكم سادتي آل مُحَمَّد، معكم في كل نفس ومعكم صلوات الله عليكم مع كل طرفةٍ تطرف بها عيوننا، مَعَكم مَعَكُم لا مع غيركم، آخر الحديث أقرأ على مسامعكم فقرات من الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين، هذه غير الزيارة الجامعة الكبيرة موجودة في المفاتيح صفحات يمكن أن تقلب مفاتيح الجنان فتجد العنوان الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين، أقرأ منها هذي السطور وأنا هنا أخاطبهم، أخاطب أئمتي يا أوصياء نبي الله يا ذرية رسول الله هم ذريته هم أولاده الصلبيين هم أولاده من صلبه، كل نبيٍ ذريته من صُلبه وولدي من صلب عليٍّ وفاطمة، سادتي آل مُحَمَّد نحن قرأنا في المقطع الثالث وقد تم المقطع الثالث لنعيد قرأته للتبرك به، وأسألكم الدعاء هذه الليلة ليلة القدر من أفضل أوقات الدعاء نحن إن شاء الله ما ننساكم من الدعاء وأنتم لا تنسونا أيضاً من الدعاء ومن الزيارة خصوصاً للذين يطوفون عند الحسين عليه السلام أو لأولئك الغرباء من شيعة أهل البيت في شرق الأرض أو في غربها أولئك الذين تملأ قلوبهم اللهفة والشوق إلى زيارة الحسين لكن هناك من العوائق التي تعوق فيما بينهم وبين ذلك، نلتمسهم الدعاء والزيارة من قريبٍ ومن بعيد.

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ، وَحَمَلَةِ كِتابِ اللهِ، وأَوْصِياءِ نَبِيِّ اللهِ، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

نخاطبهم نخاطب هؤلاء الذين خاطبتهم الزيارة الجامعة الكبيرة:

يَا مَوَالِيَّ فلو عاينكم المصطفى وسهام الأُمَّةِ مُغرَقَةٌ في أكبادكم ورماحهم مشرعةٌ في نُحُورِكُم وسُيُوفُهَا مُولَغَةٌ في دِماءِكُمْ يَشْفي أَبْنَاءُ العَوَاهِرِ غَليلَ الفِسقَ مِنْ وَرَعِكُمْ وغَيضَ الكَفْرِ مِن إيمَانِكُمْ وأنتم بين صريعٍ في المِحرَاب قَد فَلَقَ السَّيفُ هَامَتَه ...

الحقيقة لا أستطيع أن أُكمِل العبارات، يمكنكم أن تراجعوا العبارات أسألكم الدعاء وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ

الفهرست

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : القسم الثاني 1

يا زهـراء 3

الحلقة الحادية عشر : معنى وَقادَةَ الأُمَمِ وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ 5

الحلقة الثانية عشر : معنى وَعَناصِرَ الأبرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ 26

الحلقة الثالثة عشر : معنى وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ 47

الحلقة الرابعة عشر : معنى وَأَبْوابَ الإيمان، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ 70

الحلقة الخامسة عشرة : معنى وسُلالَةَ النبيينَ وَصَفْوَةَ المرْسَلينَ

وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالمينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ 91

الحلقة السادسة عشر : معنى أَئمَّةِ الهُدى ومَصابيحِ الدُّجى وأعلامِ التُّقى 113

الحلقة السابعة عشر : معنى وَذَوِى النُّهى وَأُولِى الحِجى وَكَهْفِ الْوَرى 138

الحلقة الثامنة عشر : معنى وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ وَالمَثَلِ الأَعْلى وَالدَّعْوَةِ الحُسْنى وَحُجَجِ

اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ 160

الحلقة التاسعة عشر : معنى السَّلامُ على محالِّ معرفةِ اللهِ

ومساكنِ بركةِ اللهِ ومعادنِ حكمةِ اللهِ 185

الحلقة العشرون : معنى وحفظةِ سرِّ اللهِ وحملةِ كتابِ اللهِ وأَوصياءِ نبيِّ الله

وذرية رسول اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ ورحمةُ الله وبركاتُهُ 207

الختام 234

الفهرست 235